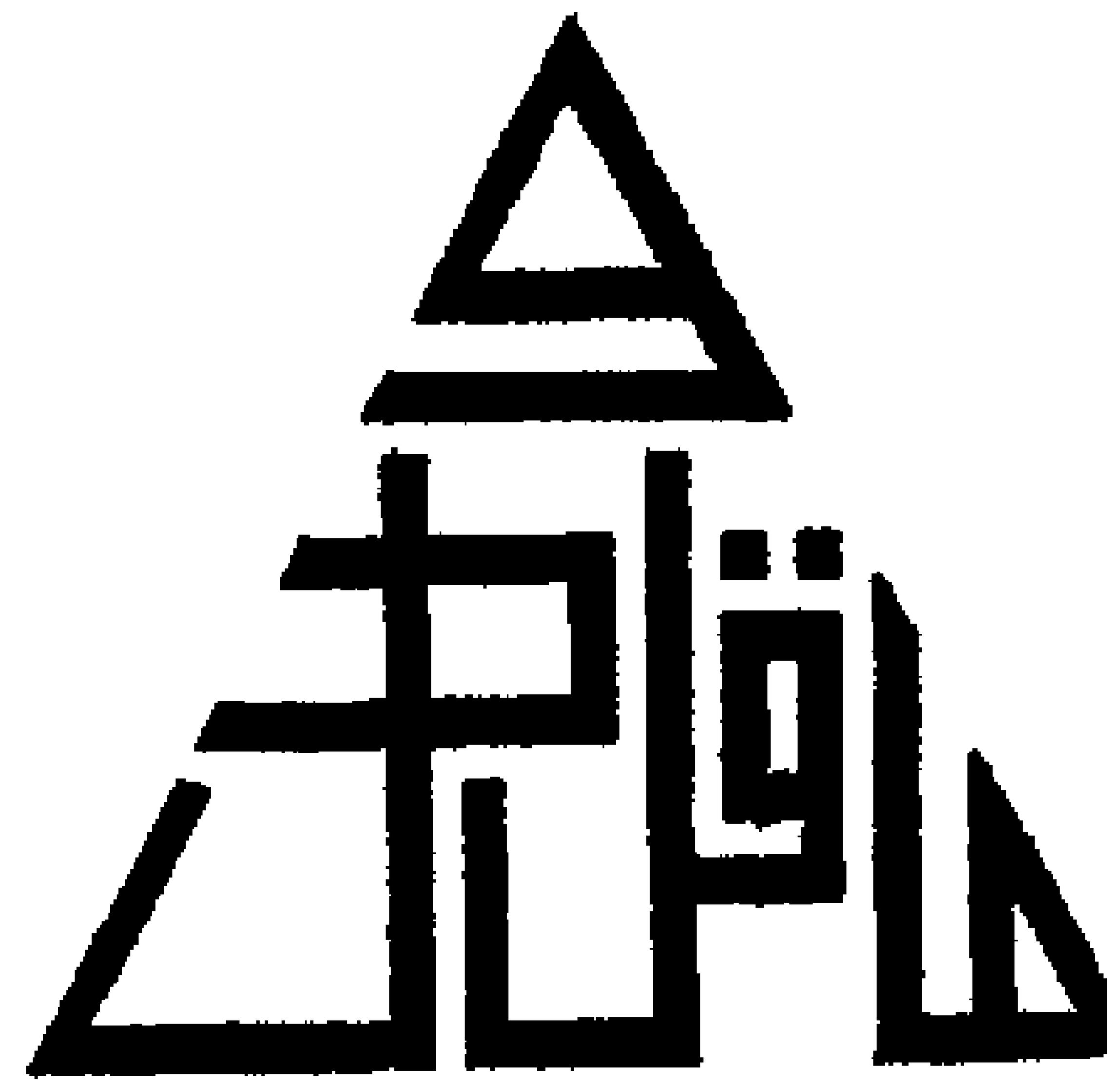


الأول

للمـــؤلف

تاييس	عن أناتول فرانس	
الزنبقة الحمراء		
أفروديت القديمة	عن پيرلويس	[نفدت]
أفروديت الجديدة		
طرطوف	عن موليير [بطلب وزارة المعارف]	
عدوّ المجتمع		
فى الحياة والحب		
باريس		
ماقــل ودل	[أجزاء مسلسلة تصدر سنويا]	
الصحافة المصرية منذ نشأتها الى اليوم	بالفرنسـية	[نفدت]
الاصلاح فى مصر منذ ثورة ١٩١٩		
قبور فى جنة الحب	تحت الطبع	
ثقافة وصحـافة		

تحت الطبع :

عروس الشرق	**ماقل ودل**
بالاشتراك مع الدكتور أحمد موسى	الثالث والرابع
مجلدان مصوران فى ١٠٠٠ صفحة	مجلدان مصوران فى ٥٠٠ صفحة
فى القطع الكبير	فى القطع الصغير

الاهـــداء

إلى أمي !

الى التي مات عنها أبي وهي في سن العشرين ، وعمـري خمسة أشهر، فوقفت الى جانبي أربعة وثلاثين عاما تدفع عني الجهل والألم بمـا وراءهما من ظلمات .

الى التي تحبني لنفسي أكثر ممـا تحبني لنفسها، يزداد حبها على الأيام في الرضا والغضب، في البعد والقـرب، في الصحة والمرض، في اليأس والأمل، في الفقر والغنى .

الى التي أحببت المرأة من أجلها ، لأنهـا علمتني مـدى ما تستطيعه المرأة الفاضلة من خير .

الى التي لو وقفت كل حياتي للدفاع عن المرأة لمـا استطعت الوفاء بذرّة من جميلها .

إليك، أمّاه، أضع هذه الكلمات، تحت قدميك !

الصاوي

مقدمة

للأستاذ الجليل أنطون بك

رئيس تحرير « الاهرام »

ليس مؤلف هذه المجموعة، ولا مجموعته هذه ، فى حاجة الى التقديم .

أما المؤلف فقد اقتعد مكانه فى عالم الكتابة بما أنتجته قريحته من التصانيف الطريفة .

وأما هذه المجموعة — وهى منتخبة مما يكتبه كل يوم فى «الأهرام» بعنوان «ماقل ودل» — فقد عرفها القراء قبل أن تضمها دفتا هذا الكتاب .

لهذا كان المؤلِّف والمؤلَّف فى غنى عن التقديم والتعريف .
ولكن الأستاذ الصاوى — على ما فى كتابته من جرأة ، وعلى ما فى آرائه أحيانا من تطرف — رجل يغلب عليه الحياء .

وهذا دليــل على أن قول «بوفون» إن « الإنشاء هو الرجل* » ليس دائمـا بالقول الصحيح . فان « موليــير » مثلا ، وهو الكاتب الروائى الهزلى الذى أضحكت رواياته الخالدة الأجيال المتعاقبــة، كان فى حياته الخاصة أشــدّ ما يكون الانسان حزنا وكآبة .

فلم يكن بد، والصاوى حيِي خجول، من أن يتقدّم أحد أصدقائه فيأخذ يده بيده، ويأخذ كتابه باليد الأخرى، ويقول للقـــراء :

«هذا هو الصاوى، وهذا كتابه !» .

طلب الىَّ فى كثير من التردّد أن أقوم بهذه المهمة ، عن حسن ظن بإخلاصى؛ فقبلتها أنا من غير تردّد، عن حسن ظن بفائدة هذه المجموعة .

قد يكون غيرى أولى منى بتقديم سائر مؤلفات الصاوى؛ وقد أكون أولى من غيرى بتقديم هذه المجموعة، لأنى دارجت

---

* Le style c'est l'homme (Buffon)

كاتبها من أول عهده بكتابتها ،وتابعت هذه المقالات من بداية ظهورها .

لا أزال أذكر «أحمد الصاوي محمد أفندي» يوم كان موظفا صغيرا بمصلحة المناجم والمحاجر، وهو شاب فى مقتبل العمر، يجرب خطواته الأولى فى ميدان الكتابة . أذكره ، وهو يحمل مقالته الى «الأهرام» ، محاولا أن يطلع عليها أيا كان ، قبل أن يدفعها الى رياسة التحرير .

وقد شاءت الظروف أن أكون مرارا ذلك الذى يلقاه ليستأنس برأيه . فكنت أشجعه وأشدد من عزيمته،لأنى كنت أحس من خلال تلك السطور المعدودة نفسا تواقة الى الجهر بما تعتقد، كما كنت ألمح فى عينى كاتبها بريقا منبعثا عن ميل الى النقد والتقريع ، وأتبين من وراء ابتسامته الساخرة جنوحا الى الاصلاح عن طريق الاستهزاء، وإذ كنت أجد فى شكل تقديم تلك المقالات للنشر كثيرا من التواضع والحياء، كنت أقرأ فى عنوانها «ما قل ودل» كثيرا من الفخر والجرأة .

ثم، لم يكد يصلب عوده ويشتد ساعده، حتى وقع له،

وهو على ما وصــفنا ، ما لم يكن بدّ من وقوعه : طلّق منصبه فى الحكومة، والمنصب الحكومىّ أعزّ أمانى شباننا وأحلاها، وانصرف عنه غير آسف عليه، ولا وجل مما يخبئه له المستقبل، لأنه كان بفطــرته طموحا الى الحــرية، نزوعا الى « الحيــاة البوهيمية» . وما كاد يستقر له ما أراد من الانطلاق من قيود « الوظيفــة » حتى قصــد الى باريس لأوّل مرة رغبة منــه فى زيادة التعلم والتحصيل .

ذهب الى باريس ليأخذ منهــا ، فتم له ما أراد ، ولكنها أخذت منه أيضا، فاستولت عليه كما تستولى على غيره، وطبعته بطابعها الخاص ، حتى ان أمانته لهــا اليوم أشد من أمانتــه لنفسه . وإنى لأذكر ما كان يكتبه لى من تلك العاصمة معربا عن شدّة أمله بالتوفيق فى مزاولة الصحافة وخدمة الأدب .

ولمــا عاد الى مصر، وقد اتسعت دائرة معارفه وامتد أفق أفكاره ، انضم الى هيئة تحرير « الأهرام » وأخذ يدوّن ملحوظاته اليوميــة تحت عنوان ثابت ، حتى أصــبح العنوان

يدل على الامضاء ، والامضاء يدل على العنوان ، كأن هــذا وذاك لفظان مترادفان .

وقد شاءت الظروف أيضا بعــد ذلك أن أكون بمقتضى عملى فى « الأهرام » أول من يقرأ « ما قل ودل » ويقدمها للطبع . وهكذا أرانى أول القراء اطلاعا عليها ، وأعرف الناس بالشخص أو الحادث الذى أوحاها . وكثيرا ما أناقش كاتبها ويناقشنى مغزاها ومرماها . فسرعان ما يبــدل ويحور ، لأنه غير متعنت فى ما يريده من الاصلاح ، بل هو يدافع عن رأيه عامدا الى الصلابة حينا ، والى الملاينة أحيانا ، لا يهمه القالب الذى يبرز فيــه فكره ، ما دام قد أتيح له ابرازه . وقد يكون هــذا الرأى مخالفاً لمـا تواضع عليه الناس ، مناقضا لمـا جرى به العرف ، ولكنه لا يبالى مايقال ولا يعبأ بما يوجه اليه من نقد ، بل يقول كلمته ، تصريحاً أو تلويحاً ، ويمشى . وكثيرا ما يكتب المرة والمرتين فى موضوع لا يتفق وهوى الجمهور ، فتشتد الحملة عليه ، فيترك الموضوع أسابيع أو شهورا ، ثم يعود اليه حتى يغرزه فى رءوس القراء . وهكذا أصبح قراؤه يحتملون منه ما لا يحتملونه

من غيره، ونشأ بينه و بينهم اشـتراك روحى هو أقصى ما يطمع فيه الكاتب .

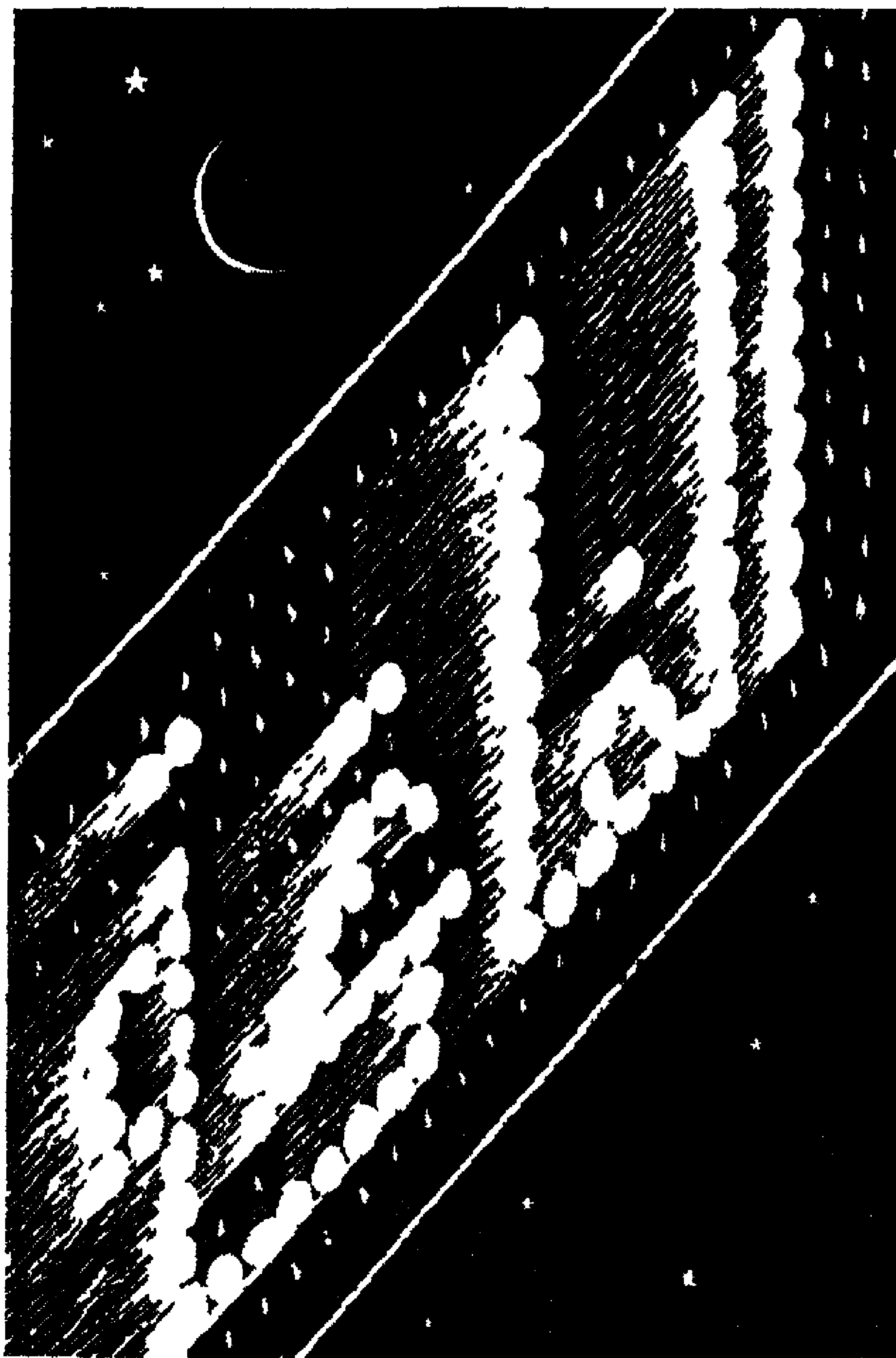
بعض مقالات « ما قل ودل » وليـد الحوادث اليومية العـابرة يذهب معها و ينطوى بطيها ، والبعض الآخر يتناول موضوعات اجتماعية وخلقية وقومية ثابتة لاتضيع بهجتها ، ولا تبلى جدتها . فسألته تخير طائفة من هذا النوع الأخير وجمعها فى هذا الكتاب ، فكنت مسئولا عن تقديمها اليوم للقراء .

والآن أرى أنه لايليق بكتاب عنوانه « ماقل ودل » أن تجاوز مقدمته حدّ ما كتبتُ، بل كان من حق هذه المقدّمة، مراعاة للنظير، أن تحصر فى بضعة سطور ، لافى بضع صفحات . ولكنى أردت التغلب على حياء صديقى الصاوى، فتبسطت بعض التبسط فى تقديمه وتقديم كتابه للقراء .

فهذا هو الصاوى، وهذا كتابه !

أنطون الجميّل

القاهرة فى أوّل يوليه سنة ١٩٣٤



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . نشكره، ونطمع فى المزيد من فضله وإحسانه، ونسأله تعالى أن يوفقنا دائما الى الوفاء بعهدنا لقومنا، إن العهد كان مسئولا .

أما بعد فقد أسلفنا الوعد فى كتاب « باريس » لأصدقائنا القراء بأن نخرج لهم كتابين أو ثلاثة فى العام تكون فيها للمشتركين مزايا السبق الى الفضل، وقد لبوا نداءنا واستجابوا دعاءنا، فأخرجنا لهم هذين الجزءين الأول والثانى من مجموعة «ماقل ودل» بعشرة قروش، وجعلنا سعرهما بعد الطبع عشرين قرشا، تفريقا، كما قلنا فى « باريس » أيضا ، بين المشترك المساهم فى نشر الأدب ، العامل على إذاعة الثقافة، والآخذ بيد المؤلف على إخراج ثمرات فكره، و بين القارئ العارض الذى لا يثق إلا بما يراه رأى العين .

ولقد كان أوّل مشترك عندى فى هذه المجموعة هو حضرة صاحب العزة جرجس أنطون بك مدير المستشفى القبطى بالقاهرة الذى اشترك فى عشر نسخ ثم حضرة صاحب العزة إسماعيل بك الحكيم المستشار، بالاسكندرية، فى عشر نسخ أيضا .

وقد طبعنا ستين نسخة على ورق «إمبريال» ثمين وجلدناها بالشجران وجعلنا عشر نسخ منها للهدايا مرقومة من ١ الى ١٠ والخمسين الأخرى المرقومة من ١١ الى ٦٠ للاشتراك مقابل جنيهين مصريين للنسخة الواحدة فكان أوّل مشترك هو الأستاذ ألبير القو من الاسكندرية، ثم السيدة م . ع هانم .

وإنى شاكر لحضرات المشتركين جميعا جميل ثقتهم وحسن ظنهم ونعدهم بمضاعفة الجهد فى خدمتهم ونرجو أن نوفق قريبا الى إخراج سلسلة كتب قيمة فى حجم « ما قل ودل » بحيث يظهر منها جزء كل ثلاثة أشهر بانتظام وبذلك تتكون فى وقت قصير مكتبة جديدة أنيقة يسهل حملها فى الجيب وتزين البيت وتجمع بين الثقافة والطرافة .

وإنى مدين بالشكر لصديق النبيل الأستاذ أنطون الجميل بك

الذى أكرمنى بتقديمى وتقديم كتابى هذا لقرائى بأسلوبه الجذاب ولا غرو فقد عوّدنى دائما عطفه الخلاب .

ونشكر أصدقاءنا الفنانين الذين زانوا هذا الكتاب بلمحات من فنهم النابغ حضرات الأساتذة حسين يوسف أمين وراغب عياد ومحمد حسن وعلى الديب و ب. أسعد و م. الغرابلى ومنسى واوقا وصاروخان وسانتيز .

ونشكر الأستاذ الجليل محمد أسعد براده بك ، مدير دار الكتب المصرية ، على رقيق تشجيعه لهذا العمل وحسن ارتياحه اليه ، كما نشكر صديقنا الفاضل محمد نديم أفندى ملاحظ مطبعة دار الكتب المصرية على ما بذله من جهد وفن وعناية فى اخراج هذا الكتاب .

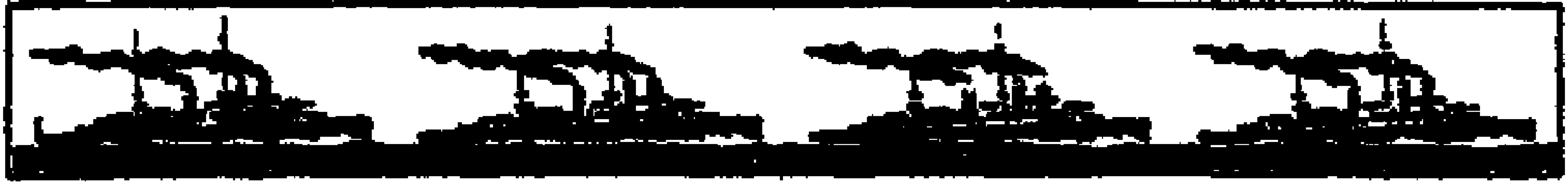
ونجدد لقرائنا الكرام عهدنا بأنهم كلما زادونا إقبالا زدناهم إتقانا والله كفيل بأن يوفقنا جميعا الى خدمة الفكر ومجد مصر .

ا . ص . م

فهرس

فهـــرس

قومیات



دروس التاريخ

فى ٢٠ أكتوبر من عام ١٨٢٧ ، وقعت معركة فاصلة فى تاريخ العالم وهى موقعة ناقارين التى اجتمعت فيها قوات انجلترا وفرنسا وروسيا، وهى الدول العظمى الثلاث فى ذلك الحين ، لتغرق الأسطولين المصرى والتركى . وكان المقصود بالذات أسطول محمد على باشا الكبير مؤسس مصر الحديثة الذى كان من سادة البحر الأبيض المتوسط . وكانت خططه الحربية مع ابنه العظيم ابراهيم باشا من أروع ما عرف فى تاريخ الحروب .

ولم تكن هذه المعركة الفاصلة بين الدول وانما كانت معركة الشرق والغرب ، كانت مظهر جزع أوربا من راية مصر الفتاة التى جعلت نتقدم ثم نتقدم والنصر معقود لها فى كل مكان .

وما كانت مصر لتطمع فى تهديد سلام العالم وانما تطمع فى حماية حدودها ، وحفظ كرامتها ، وصيانة سيادتها . ويستحيل على دولة ذات شواطئ طويلة كمصر أن تبقى بلا أسطول ، لذلك كان تحطيم ثلاثة أرباع الأسطول المصرى يوم حداد لمصر .

إنا نحب أن يسجل جميع أساتذة مدارسنا هذا التاريخ عندهم ، وأن يقفوا ربع ساعة عن دروسهم اليوم لطلبتهم وطالباتهم للكلام عن موقعة نافارين ، وأن يذكروا لهم لمحة عن محمد على الكبير ، وعن ابراهيم أعظم بطل حربى فى تاريخنا الحديث الذى يعيد الى الذهن فتوحات رمسيس الثانى ، وأن يخبروهم أن أسود أيام مصر هو يوم نافارين ثم يوم الاحتلال البريطانى ، وأن بريطانيا التى اشتركت فى اليوم الأول كانت تحضر لليوم الثانى .

وهذا اليوم المنحوس الذى هدم سيادة مصر فى البحار قد بنى استقلال اليونان . ولكن اليونان قد عرفوا كيف يرفعون بناء استقلالهم طبقات بعضها فوق بعض . ولسنا ننسى

أن تجارا يونانيين نشــطين قد أثروا بيننا وأهدوا الى بلادهم سفنا حربية تزيد فى قوّة أسطولهم .

أما نحن فقــد كنا الى عهــد غير بعيــد نكثر الكلام ؛ وكانت جميع ثروتنا الأهليــة فى حلى النساء من « الفرج الله » الى الخلخال الى « البندا نتيف » ؛ وكان أغنيــاؤنا لا يعرفون إلا مصالحهم الشخصية . أما اليوم فقد لمست النهضــة جميع الكائنات ؛ وتخلصت المرأة المصرية نوعا ما من أثقال الذهب والفضــة ؛ وابتدأ الأغنياء يساهمون فى الأعمــال الوطنيــة والمنشآت الأهلية ، وتأسست لمصر شركات للملاحة فى الداخل والخارج ، وتعلم شباب ناهض منا الملاحة ، ووضعوا شارة البحر على أكتافهم وأكمامهم ، ونالوا شهادات فى قيادة السفن .

ففى اليوم الذى تهز فيه الوطنية المرأة المصرية الى تقدمة حليها ، كما فعلت المرأة الفرنسية التى قصت شعرها وباعته لتدفع جزية فرنسا لألمــانيا لهزيمتها فى الحرب السبعينية ، فى اليوم الذى تفعل فيــه ذلك المرأة المصرية لبناء نواة الأسطول المصرى ،

ويتزل لهذا الغرض أيضا الأغنياء الذين يملكون ألوف الأفدنة ولا يكادون يعرفون كيف يحصون دخلهم ، ولا يكادون يتزلون عن قرش لوطنهم ، فيتزلون عن بعض مالهم لخدمة وطنهم ، وبقاء مجدهم ؛ ففى هذا اليوم يحيا أملنا ، ونرفع رءوسنا ، ونثق بأن علمنا البحرى الذى نكس فى مثل هذا اليوم فى خليج ناقارين لا يلبث أن يرتفع وأن يخفق فوق البحار فيقلب على تاريخ ناقارين المؤلم صفحات تاريخ جديد مجيد .



بلادى بلادى !

وقفت أمس فى ساعة الغـروب على شاطئ النيل ، عند ذلك المنعرج العجيب بعد دار المندوب السامى ، أتأمل ذلك النهر المقـدّس الذى عبده بالأمس أجدادنا ، وأرى الضـفة الأخرى بنخيلها وجناتها وأشجارها الباسقة، والسماء ورد ذهبي، أجمل من البندقيـة، ومن نابلى، ومن فلورنسا ، ومن روما، ومن لندن، ومن باريس ...

القصـور الشاهقة على الجانبـين تنبئ بالغنى الفاحش ، وبعضها ينـبئ بذوق سـليم . وهى الى جنب بعضها البعض متماسكة منفصلة كأنها تتدلل وتتناجى .

لا السـين ولا التاميز ولا التيـبر ولا الرين ولا بحـيرات سويسرا وايطاليـا يمكن أن تفوق جمـال هـذا النهر . من شرب من مائه مرة عاد فشرب مرة أخرى ولو راح الى أقصى الصين ... هكذا كتب على ورق البردى . وكذلك

من كل جانب، ومن كل مكان، فى مصر من أقصاها الى أقصاها، ترى النيل، ولا تشبع منه. ملأت قلبي من جمال المساء، ومن جمال الشرق، ومن جمال مصر... رأيت الوداعة والسلام والحنان كأنها تعطر الجو حولى وتنطق بكل ما فى هذا البلد من جمال وخير. هذا الخير تقدّمه بسخاء الى الذين يقدمون الى هذه الديار دون نظر الى جنس أو دين؛ ولكن هذا السخاء ليس هو التفريط . فنحن كل يوم نزداد اعتزازا ببلادنا وشعورا بمركزها النادر الذى لا مثيل له، وبرخاء العيش فيها، وبجمال الحياة بين ربوعها . ففى يوم الاستقلال، ذكرت الموقف الشاذ الذى نحن فيه : أمة عريقة ناهضة مستكملة كل وسائل القوة والاستقلال لا تزال مقيدة بقيود تحير العقول من تحفظات وامتيازات! فعلى الآباء والأمهات أن يأخذوا أولادهم منذ نعومة أظفارهم ويقفوهم على روائع بلادهم . فليأخذوهم الى المتحف الذى تنحنى أمام آياته الرءوس؛ وليأخذوهم أمام النيل ليروا تلك التربة من حوله تطرح ذهبا وتعكس لون الذهب على سطح الماء، وعلى وجه السماء ...

وايقولوا لهم أن يعتزوا بهذه البلاد ، وأن يحبوها حبا خالصا مطلقا قويا لا حدّ له ، بكل عيوبها وحسناتها ، بكل ما فيها من شقاء وهناء ، أن يحبوها محبة الابن لأمه لا يفكر هل هى قبيحة أو جميلة ؛ وايقولوا لهم إن أمهم مصر أجمل بلاد الدنيا ، وهى بحاجة الى أبنائها ليذودوا عنها ، ويكسروا آخر قيودها ، فيصبح يوم استقلالها حرا صادقا كأخلاق أهلها .



أمام الكرنك !

عند ما وقفت منذ يومين أمام الكرنك عند غروب الشمس، وحولي عشرات* من رجال الصحافة وأهل الأدب من كافة أنحاء المعمور ينظرون مثلي مأخوذين مدهوشين فاغري الأفواه من هذا الجلال وهذه العظمة لقوس النصر الفرعوني الذي لم تمحه ثلاثون قرنا تعاقبت بأيامها ولياليها وشمسها وأعصارها وزلزالها ...، عند ماوقفت هكذا ورسمت ظلا ضئيلا الى جانب ذلك الظل المهول شعرت بعظمة الأمس وذلة اليوم، شعرت بأن هذه الأيام التي نحياها مهما ملأناها ستظل فارغة، وبعد قليل سيمحو بعضها بعضا وكأنها لم تكن .

هؤلاء القدماء — وكل رأس مالنا الانتساب اليهم — كان لهم مثل أعلى نقشوه على الحجر فأصبح كهذا الكرنك غرة

---

* هم أعضاء مؤتمر الصحافة اللاتينية الذي دعته « الأهرام » الى القاهرة في يناير ١٩٣٢

فى جبين السماء، وحققوه بالذوق وبالفن . وإن المرء ليتساءل : أيكون الذوق أو الفن قد ارتقى عما كان عليه منذ هذه القرون العديدة ! ؟ كلا . فهاهم أولاء الأمريكيون، وهم الآن أغنى أهل الأرض وهذه الكهرباء والمناجم والآلات فى خدمتهم ، فماذا صنعوا ! ؟ لقد أقاموا بفخر وكبرياء عمارات هائلة سموها نواطح السحب، وهى أدوار وشقق ومكاتب ومخازن وغرف للإيجار . وهذا ليس مثلا أعلى، وإنما هى آلية مادية ترمى إلى استغلال المال بأنفع الوجوه؛ والمصريون القدماء لم يفكروا فى المال وانما فى الروح . فالإنسانية إذًا قد انحطت وتقهقرت، وتحول جزء كبير منها الى حيوانية ؛ وهذه عواقبها نراها فى دول مثقلة بالديون، منهوكة القوى، يريد بعضها أن يفتك بالبعض الآخر بالحرب أو بالمال؛ وبعد ما كانت تبحث عن سلام الروح وهناءة الخلود، وتدخر دنياها لآخرتها، وتقيم الأهرام الشامخة لهذا دون سواه ، نراها اليوم قد تكالبت وأصابها السعار وأنكرت آخرتها وأبت إلا أن تملأ دنياها بالصغار . وهكذا أيضا سار الناس فيما بينهم على دين دولهم وحكوماتهم، فقلّت النجدة

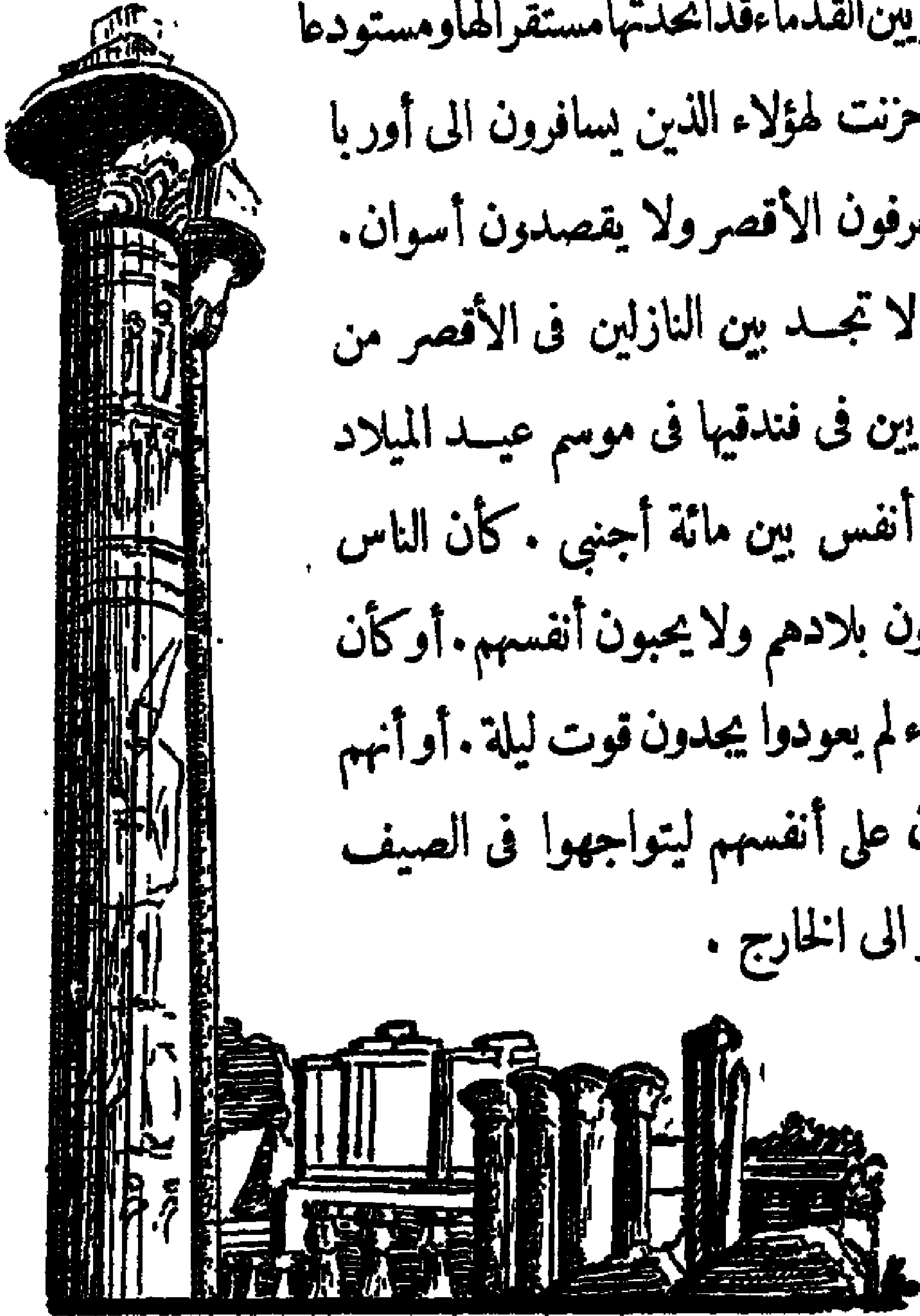
والمروءة والتعاون والخير والمعروف، وأصبح الجار يسرق أرض جاره، ومستأجر الضيعة يحرق صاحبها ، والولد يقتل أباه من أجل القرش .

فهذا زمن أسود لاخير فيه . فلنقف أمام عظمة الأمس حاسرى الرءوس لأنها كانت عظمة النفس، ولنحاول أن نوارى فى ظل هذه المقابر والمعابد حياء أيام الكسل والخمول ، وأن نوارى فى ظلها ذل الدنيا لتكالبها على الدنيا !



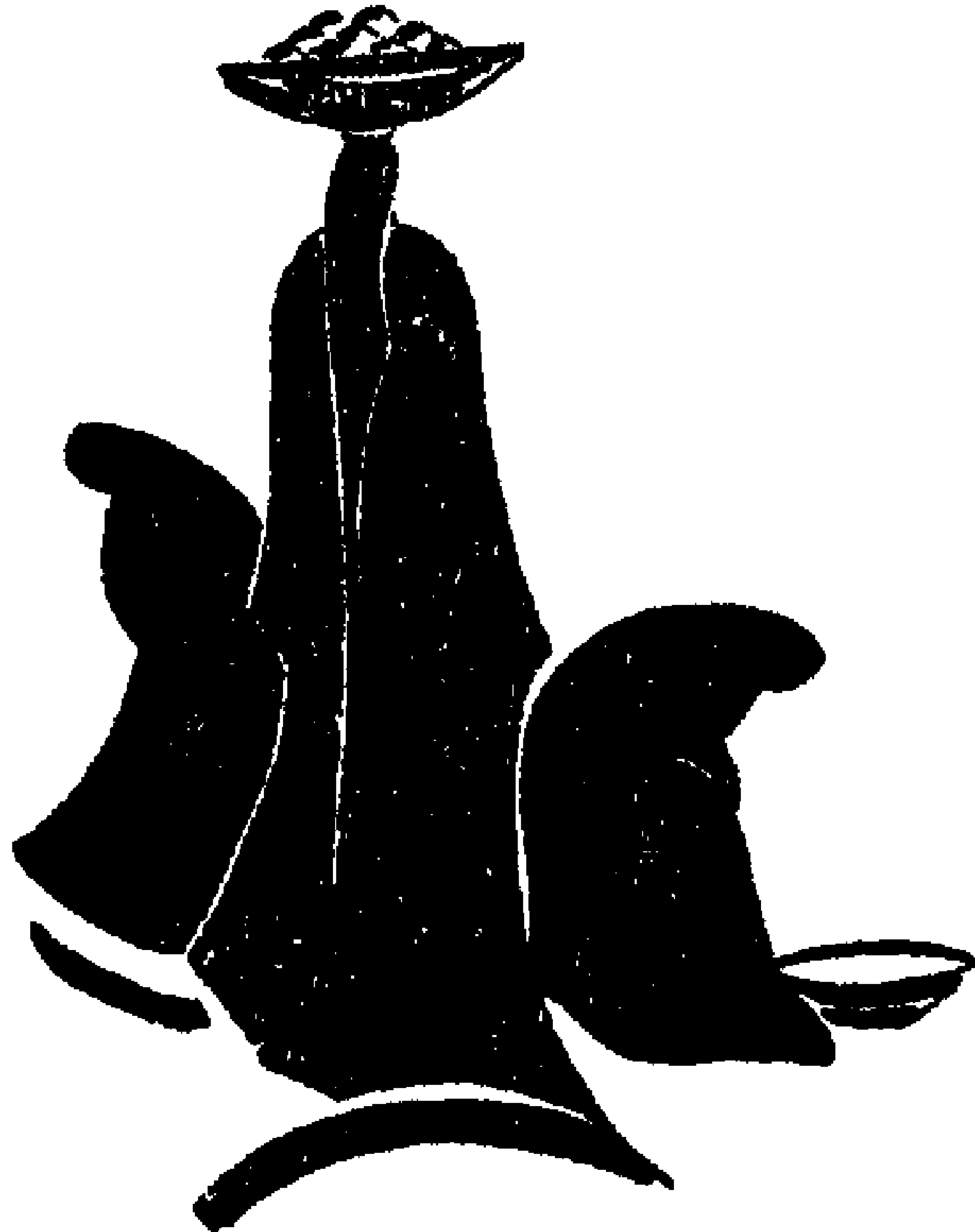
الأقصـــــر

الأقصر! . جنة من جنان الأرض . لا عجب اذا كانت آلهة المصريين القدماء قد اتخذتها مستقراً لها ومستودعاً



حزنت لهؤلاء الذين يسافرون الى أوربا ولا يعرفون الأقصر ولا يقصدون أسوان . فإنك لا تجـد بين النازلين فى الأقصر من المصريين فى فندقيها فى موسم عيـد الميلاد عشرة أنفس بين مائة أجنبى . كأن الناس لا يحبون بلادهم ولا يحبون أنفسهم . أو كأن الأغنياء لم يعودوا يجدون قوت ليلة . أو أنهم يقترون على أنفسهم ليتواجهوا فى الصيف بالسفر الى الخارج .

والآن إذ أعود الى الأقصر لقضاء أسبوع لا يسعنى إلا أن أذكر مسيو « فوكار » الذى جعل الحجارة يوما من الأيام أمامنا تتكلم . وأن أذكر الصفاء والهناء الذين يشعر بهما كل من قصد الأقصر، ففى جوّها الدافئ يسترد البدن قواه، وتحت سمائها الرائعة الصور والألوان تكتشف النفس أسبابا جديدة للتمسك بالعيش وتقدير الوجود ، وعند آثارها الخالدة نستلهم الأمس فننتعش للغد ونعتزم أن نجعل الحياة أحفل وأغنى بمعانى الحياة ! .



سـر المـاضى

قبل أن ننزل الى قبر توت عنخ آمون فى وادى الملوك ، فى صباح يوم جميل، بين رفاق طابت عشرتهم على قرب العهد بهم، شعرنا بأننا قادمون على زيارة عظيمة تستلزم الصمت والوقار ؛ فسكتنا جميعا حتى السيدات ، ونزلنا ستة ستة ، وكان النور الكهربائى القوى مسلطا على التابوت الذهبى ؛ فوجدنا الذهب يكسف النور ، بل إن الذى كان يكسف النور والكائنات جميعا هو روح توت عنخ آمون الملك الشاب .

فعن طريق هذا الملك تملك مصر الآن أعظم ثروة أثرية عرفها التاريخ . إنها لا تقدر بمال . إن جميع متاحف الأرض لا تملك مثلها .

هذا التابوت الذهبي الرائع ، هذه العيون السوداء النجلاء

التى تنظر للناظر اليها بتهكم فتان ، تهكم الذى وصل بمن لم يصل ولن يصل مع مضى ثلاثة آلاف عام على العهدين!

وصل الى ماذا ؟

هذا هو السؤال الذى قد يوجهه القارئ الكريم . ولست أريد أن أفيض هنا فى الروحانيات، وإنما أشير بلمحة واحدة الى الماديات . فإن الذى يقف أمام تلك النفائس المدهشة بمتحف القاهرة،وأمام هذا الناووس الذهبى بمقبرة توت عنخ آمون، بل وأمام تلك اللوحات المنقوشة على الصخر والأعمدة والمسلات والتماثيل ، لا يسعه إلا أن ينحنى أمام هذا الفن العظيم .

ولم يكن هذا العلم والفن قائمين على رمال خائرة ، بل إنهما نتيجة الدرس الطويل والصبر الجميل ، هنا نجد الإتقان الكامل فى أصغر الأشياء وأكبرها على السواء : من صور البط الوحشى والقردة والثعابين والعجول على الصخر، الى تلك الحلى الذهبية والجواهر التى يعجز عن تقليدها أبناء القرن

العشرين . فآية الصانع كانت الإتقان . كان يعمل لا لساعة، أو ليوم، أو لعام، وإنما للابد ؛ لذلك وقف ممثلو أربعين أمة من أمم الأرض مأخوذين يقولون : هـذا هو الفضل العظيم وهذا هو الخلود !

ذكرت هذا كله فى هذا المساء لأننى وجدت بين أوراقى خطابا من مؤلف كتيب صغير أرسـله الى منذ مدّة ونسيت الاشارة اليـه، أو بالأحرى تردّدت فى هذه الإشارة، فوجدته فى رسالته غضبان أسفا فهو قد وضع كل أمله فى هذا الكتيب، وهو يائس، ولو أنصف نفسه والناس لحاول خيرا من هـذا، ولمـا علق مسـتقبله على كلمـة تكتب فى الصحف وينساها الناس بعد قليل . إن فى الحياة أشياء أجمل وأعظم من ذلك كله .

حقا إننا فى حاجة كل يوم الى النظر الى الوراء لنمضى الى الأمام ، وأخـذ دروس عن الذين أتقنوا الحيـاة والموت ، وتركوا فى كل خطوة عبرة وذكرى . ولن نترك نحن وراءنا عبرة، وأكبر ظنى أننا حتى بما غبر لن نعتبر .

حيـــاة الجنـــدية

ضابطان فى رتبـــة محترمة فى جيشنا المحترم ، يتحدثان فى مكان عام بصوت مسموع ، ويهنئ أحدهما صاحبــه بأن خدمة (الطوبجية) عندنا قد أصبحت مقبولة محمودة ؟ لماذا؟ هل اشترى جيشنا مدافع هائلة جديدة مثل « برتا » التى كانت تقطع قنابلها الألمـانية خلال الحرب بلجيكا طولا وعرضا؟ ! هل زادت التمرينات (العسكرية) التى يطلق فيها الجنود المصريون مدافعهم بحماسة ونشاط كما يفعل الانكليز فى صحراء هليو بوليس؟ كلا ! ... ولكن هــذه التهنئة راجعــة الى نقل نقطة الســلوم الى الدخيلة !

نسأل الله أن يكون هــذا فى جيشنا استثناء ، فان هــذه الروح الناعمــة من أخطر ما يكون على الضابط الذى يجب أن يكون مثال الرجولة والشجاعة والاحتمال . فليست الجندية هى الرغد ولكنها العناء والكفاح، وليست الجنــدية هى الفراش

الوثير ولكنها المركب الخشن . وما هــذه السلوم التى تعد فيها الطوبجية جحيما ! ؟ أليست قطعة من مصر ؟ !

هــذا هو المتعلم . فانظروا الآن الى الجاهل . فالقاطنون هليو بوليس أو ضواحيها يرون قبل منشية البكرى الوف الخلائق من نساء ورجال ينتظرون فرز أولادهم فاذا قبــلوا لطم النساء الخدود وضرب الرجال الصدور وساروا كانهم وراء نعش، لأن ابنهم دخل الجندية . ويحاولون قبل ذلك أن يقطعوا أصبعين من أصابعه أو يقلعوا له عينا أو يحــدثوا له عاهة فى جسده . فلماذا ؟ هل سيذهب ابنهم الى جهنم ! ؟ كلا ! ... إنه سيتنقل من درجة بعيدة عن الانسانية الى درجة انسان، فيعرف كيف يأكل وكيف ينام وكيف يعيش وكيف يعمــل وكيف يصبح عضوا عاملا فى المجتمع الإنسانى .

فهذه الروح الخائرة يجب أن نقاومها ، يجب أن تغــرس كل أم فى قلب ولدها الشجاعة وحب البلد ! . يجب أن نعرف أنه إذا كان للانكليز السلطة على المدرسة الحربية فليس للانكليز سلطة على قلوب أولادنا منذ نعومة أظفارهم، فيجب أن نصب

فيها الجرأة والشهامة كما نصب الحديد فى أخلاقهم ، فان هذا الزمن اللين الناعم الذى نعيش فيــه على الأرائك نلوك الكلام كما يشتر البعير طعامه هو زمن لا خير فيه . وما أحرانا أن نمرن أولادنا جميعا على حياة الجندية ، فهى تخلقهم خلقا آخر وتجعل من « أولاد الذوات » رجالا ! ..



الفـــــلاح

فى مولد السيد البدوى قد احتشدت ألوف الخلائق كأنه يوم الحشر، أقبلت من جميع أنحاء البلاد التماسا لبركة السيد .

وعلى ذلك فقـد انتهز أصحاب المقاهى الفرصـة فكدسوا الكراسى وجاءت « الغوازى » يرقصن رقصـة البطن المعيبة، وفاحت رائحـة خبيثة لأطعمة يعلم الله كيف طبخت، وملأ التراب الجـو أذى للأنوف ، وقذى للعيون؛ و وقف الأتباع والمريدون وصـغار الآخذين بالعهود على أبواب كبار المشايخ والسادة وموزعى العهـود ومقسمى البركات ، وكثرت العمائم الخضراء والحمراء ، وصـدحت موسيقيات الحكومة بنغمـة واحدة ، وتقدّمت فرقها الجنود ، وتقـدّم الموسيقيين جندى يختـال بعصاة طويلة فيها رمانة معدنية يلعب بها ويقـذفها ويلقفها، ولا يرى على الأرض أحدا أبرع منه ولا أبدع !

حقا إننى عدت محـزون النفس من مولد السيد ، فقـد

غلب لون واحد على جميع ما رأيته : من خضرة المزارع، وصفاء السماء، ومنظر الشفق الياقوتى الذى يأخذ بمجامع القلوب . ذلك اللون هو تلك الصفرة الفاقعة التى اكتست بها وجوه الفلاحين. لقد جعلت أتأمل تلك الوجوه الذابلة الشاحبة الكسيفة الكئيبة فأرى فعل البلهارسيا والانكلستوما .

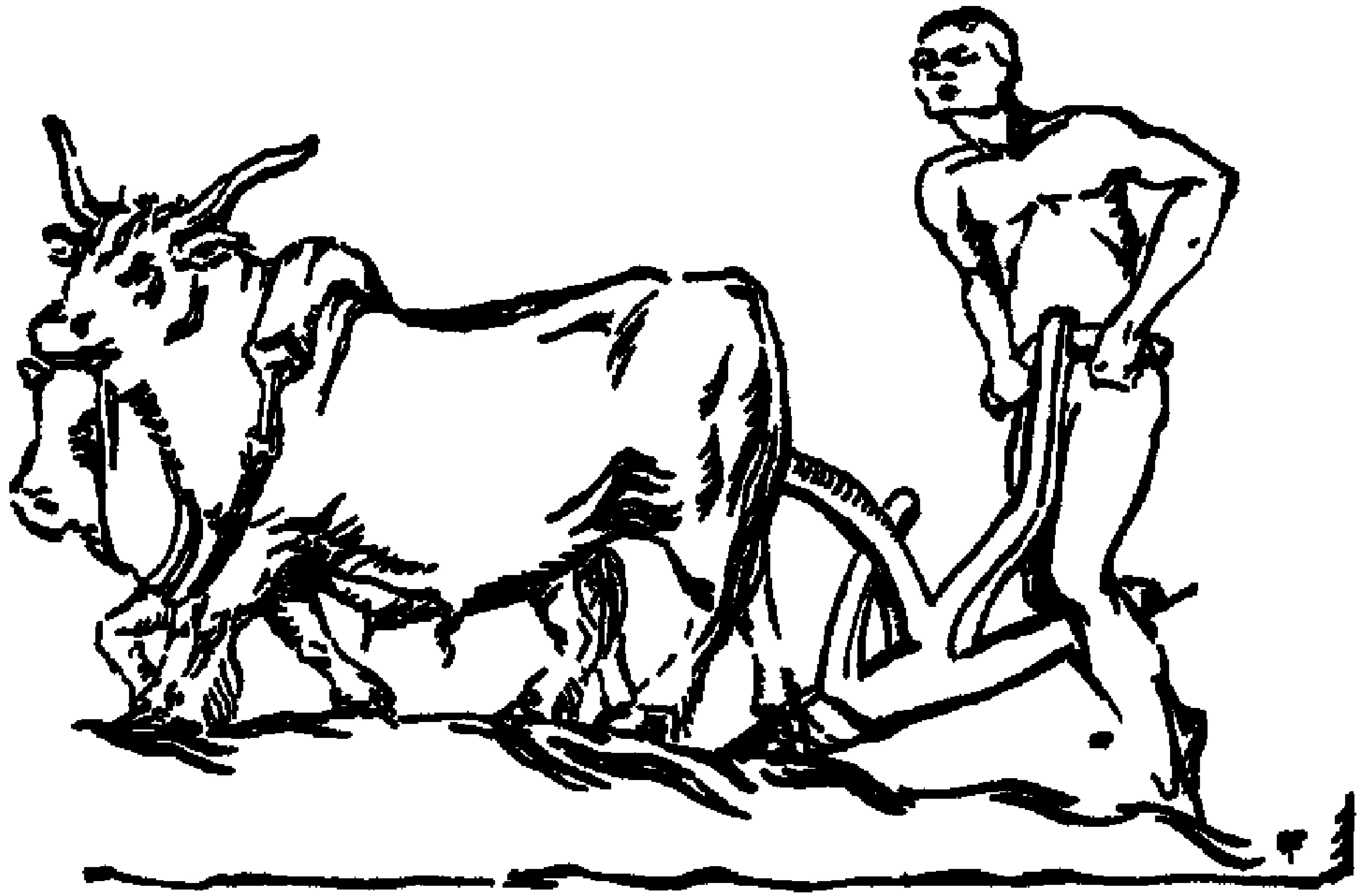
هل هذا هو الفلاح الذى صمد عشرات الأجيال وأخرج مئات الذرارى القوية؟ هل هذا هو الفلاح الذى ضرب بطن هذه الأرض منذ ألوف السنين وجعلها بهمته وصبره وقوته من أخصب بقاع الدنيا ؟

هل هذا هو الفلاح الذى امتاز بذكائه المفرط، بل بدهائه العجيب الذى يفوق فى «دبلوماسيته» ومكره دهاة الساسة ؟ !

هل هذا هو الفلاح الذى كان يتزوج ويترك عشرين وثلاثين وأربعين ولدًا كلهم أقوياء أذكياء ؟ !

كلا ! ليس هذا هو فلاح الأمس! إن تسعين فى المائة من الفلاحين الذين رأيناهم فى مولد السيد البدوى رضى الله

عنه تدعو حالتهم الصحية الى أشد القلق والجزع . واذا كنا نردّد حديث الأزمة والبؤس فعلينا قبل ذلك أن نعرف ما يهدّد الثروة المصرية فى يدها العاملة ، وذكائها الوقاد ، من انهيار صحة فلاحيها .



بنــــك مصر وشركاته

حضرنا افتتاح مصــبغة شركة مصر لنسج الحرير، وكان يوما عاصفا باردا، لكننا كنا ممتلئين دفئا وقوة من فرط الفرح والابتهاج بعيد من أعيادنا القومية .

فرأينا من بعيد، فوق ذلك الموقع البديع بكفر العلو قرب حلوان، مدخنة مصنع الصباغة وهى ترسم فى الأفق علما هائلا من الدخان . هو علم الصــناعة هو العــلم الذى ينشره طلعت حرب باشا على هــذه البــلاد رمزا لنهوضها ووقــوفها مع الأوربيين جنبا الى جنب .

هذا العــلم المرسوم بالدخان فى الأفق الأزرق هــو رمز الكرامة التى جعل يستردها لنا طلعت حرب باشا جزءا جزءا .

منذ ثلاثة عشر عاما وهو يعمل بلا انقطاع؛ فى كل يوم يرفع مهانة عنا ويزيح عبئا من أعباء الخمــول والتقاعد، فى كل يوم يفتح فتحا جديدا بالفعل لا بالقــول؛ لأن رجل العمــل

المنتج، رجل العمل الصامت، رجل العمل العظيم هو طلعت حرب باشا .

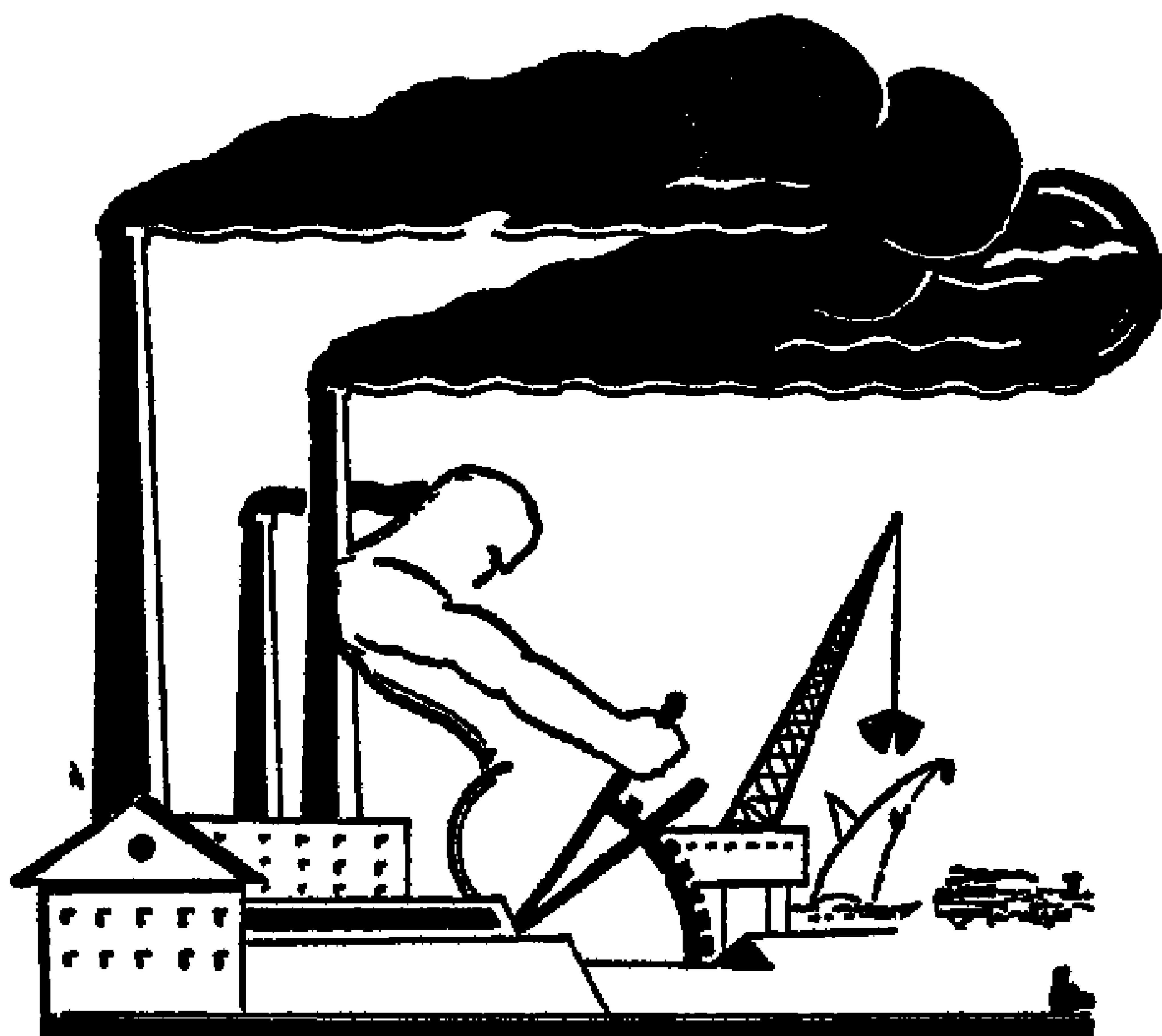
هذا الرجل هو خلاصــة نهضتنا؛ هو الذى أبرز للوجود عزتنا القومية من دمياط الى القاهرة، ومن باريس الى أسوان. ولذا فإن قطرا بأسره، شعبا بأسره من ورائه ينظر ويتأمل ويعجب وينحنى مغرورق العينين بدموع الشكر وعرفان الجميل.

كان بيننا أمس فى آخر الصفوف هــذا الذى هو زعيم أمة ! كان فى معطفه الأزرق وكوفية صوف الجمــل لا يكاد يبدو تواضعا . وفى نحو الساعة الثانية بعد الظهر كان لدى الباب فى عصف الهواء، ينتظر الموكب الجديد الوافد؛ فقد وصلت سيارات (أوتوكار) مكتب مصر للسياحة تحمل بعض موظفى بنك مصر الذين جاءوا لمشاهدة المنشأة الجــديدة ؛ فنزل مائة شاب من ذلك الشباب الناهض الكريم الذى قامت على ذكائه ونجابته وأمانته ووفائه دعائم بنك مصر وشركاته .

وكان الأب الكبير ينظر بعطف ومحبــة الى أبنائه هؤلاء الذين تربوا فى مدرســته العملية العظيمة . هؤلاء الذى تربوا تربيتهم المــالية مستظلين بعلمه وفضله وحنانه .

أى كلام أو أى إلهام يمكن أن يصوّر هذا الخير كله! ؟

لسنا نحن الذين نردّد آيات الحمد لطلعت حرب باشا . إننا أعجز من ذلك . إن هذا الجيل كله أعجز من ذلك . إن الأجيال القادمة، الذريات القادمة هى التى ستعرف فضل طلعت حرب باشا ، وهى التى ستعرف كيف تكرمه وتقدّسه لأنه هو الذى مهد لها الطريق الوعر، الطريق القفر، وهو الذى عبّده لها فصار طريق الحياة !



"زمزم" و "النيـــل"

تهادت «زمزم» باسم الله مجريها ومرساها بين الاسكندرية وبورسـعيد، فى طـريقها الى البقاع المقدّسـة التى وعد الله المتقين . فشعرنا بالدين العظـيم الذى فى عنقنا جميعا كمصريين لرجال بنك مصر . ذلك البنك الذى يقـدّم كل يوم خدمـة جديدة، خدمة لهذا الجيل لأنه يفتح صدره لشبانه يعملون فيه وينتفعون به، وخدمة للجيل القادم لأنه أساس طيب لمستقبل مجيد، خدمة ليست مادية فقط بل أدبية أيضا، لأنها ترفع من كرامتنا وتزيدنا ثقة فى أنفسنا وتجعل لاستقلالنا وجاهة التدعيم الذاتى المتجدد المرتكز على عمل الشعب، وثقة الشعب، وتعاون الشعب .

فهذه البواخر التى ينزلها اليوم بنك مصر الى البحر، تحمل علم مصر الأخضر بهلاله الناصع ونجومه المتألقة، هى من أجمل رموز استقلالنا وأشرف علامات جهودنا فى سبيل حريتنا الاقتصادية.

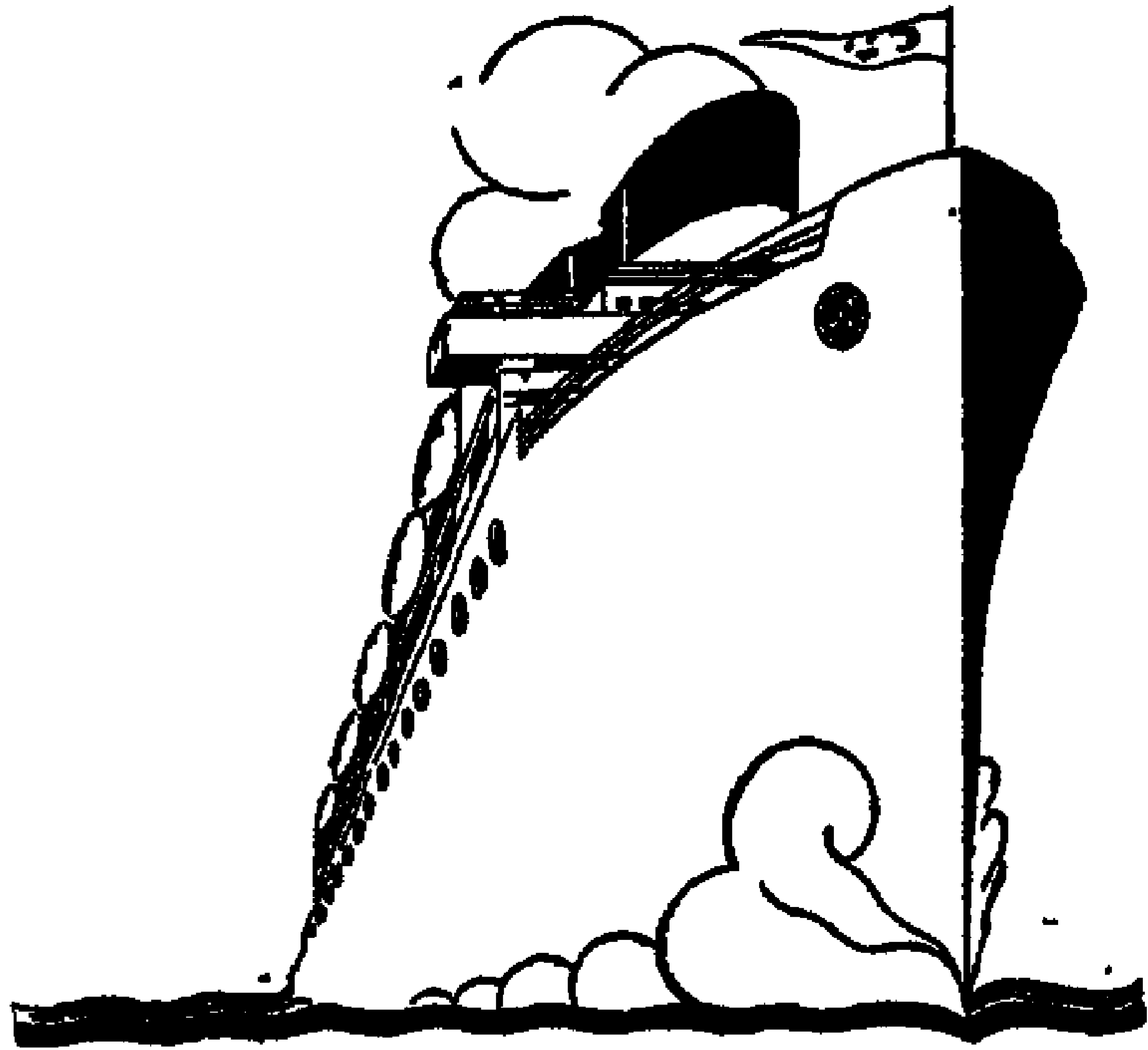
وهى دين آخر لهذا الزعيم العظيم « محمـد طلعت حرب باشا » ولعضده اليمين الصادق الأمين « الدكتور فؤاد بك سـلطان » ونحن نحب أن تكثر لها عندنا هذه الديون القومية، لأنها هى التى تقيم جبهة واحدة متينة مرتفعة شامخة فى وجه الانحلال القديم الذى كان يسود مرافقنا المـادية، وكان يجعلنا عالة فى كل ناحية على الأجانب، وكان يشعرنا بمذله هذه الحاجة، وهذا الضعف، وهذا العجز .

فنحن فى هذه المشروعات الخطيرة التى يقوم بها بنك مصر وشركاته نجد تحقيقا للأمانى التى تجيش فى صـدورنا من زمن مديد ولا نعرف الى تحقيقها سبيلا . نجد أن الدهر قد أصبح أرفق بنا وأحنى علينا مما كان حتى الآن، لأن المرآة الوحيدة التى تعرف فيهـا أمة من الأمم نفسها إنمـا هى التى يصنعها بنوها ويصقلها الأحفاد على مدى الأيام .

وعلينا إذًا أن نضاعف ثقتنا بالله وبأنفسنا وبمصـيرنا، وأن نسأل الله أن يقيض لنـا رجالا أبطالا كهؤلاء يخـدمون للخدمة فى صمت وسكون، ويبعدون عن ضجيج الفراغ لينسجوا

فى هدوء نسيجا جديدا لحياة بلادهم ، لحياة هذا البلد الذى نحبه ، ونعيش من أجله ، ونفديه بالنفس ...

حيا الله بنك مصر ورجاله ! فمن هذه الناحية تشرق علينا كل يوم شمس تظل مشرقـة ولا تغيب باذن الله أبدا . فان وطننا الذى أشرقت منه يوما شمس الحضارة بحاجة الى تجديد قواه ، بحاجة الى حرارة قوية والى ضـوء شديد يبهر الأبصار ويعمر القلوب بالايمان ، بأن لمصر الحظوة عند الله يحبوها بالنعم التى تتوالى ولا تنقطع ، وهو سبحانه ولى العاملين المخلصين .



الوطنيـــة العمليـــة

انظر الى مدينة القاهرة، عاصمتنا الجميلة، عروس الشرق، وتأمل ماقام بها من عمارات نخمة لا مثيل لها فى لندن نفسها، وانظر الى السـيارات الوجيهة التى تجـرى فى شوارعها، وإلى الأجناس التى تزدحم بهـا، وما تتكلمه من لغات، وما تعتنقه من ديانات .

انظر الى هـذا وتأمل قليلا، تشعر بهيبة الحضارة ومقدار الضريبة الهائلة التى تفرضها على من يريد أن يعيش ممتعا بها ؛ لأن الاختلاط الذى نراه بين العناصر الشرقية والغربيـة يهذب الذوق ويلهب العزائم . فالتاجر الذى لا يجدّد بضاعته لتوافق مزاج الزمن الذى نعيش فيـه ، ولا يتفنن فى عرضها بواجهة محله، مقضى عليه بالفشل حتما .

أضرب مثـلا تقريبا لصورته فى الذهن : تصـوّر دكان

بقال تفتح فى شارع المناخ وتضاء بمصباح غاز فى فانوس ... فهو بالطبع لن يبيع فى يومه بثلاثة قروش .

وقد أدرك ذلك الغربيون وأخذوا به ، ودرسوا نفسية «الزبون» . والزبون هو هو لم يتغير ولكن كل ماحوله قد تغير . فالأنوار التى تزين واجهات المحال التجارية كانت قبلا ساطعة تخطف الأبصار فأصبحت اليوم مختفية تشع شعاعا غير براق على الأشياء فتظهرها أجمل مما هى ، لأن فى ذلك الشعاع الخفى نداء الى الذهن والقلب ، وفيه دون شك حنان وإغراء . فاذا عرف التاجر أيضا كيف يختار بضاعته ، وكيف ينسقها ، وكيف يعلن عنها بلباقة ، فانه ناجح حتما .

ودعوى الوطنية فى الأخذ والعطاء قليلة الجدوى ، لأن الزبون أصبح مغاليا ، يريد أن يأخذ بأكثر من نقوده أو على الأقل بما يساويها . وليس يهمه ان كنت من جنسه أو على دينه ، وانما يهمه أن يأخذ ماهو فى حاجة اليه من أحسن صنف بأرخص ثمن ، ولا يتكبد للذهاب اليه مشوارا طويلا بعيدا عن الوسط التجارى للمدينة .

ومنـذ شهرين اثنين رأينـا مصريين عصاميين قد أنشآ فى أعظم حى بالمدينة مطعما ومحلى . هما الحاتى والرمالى . فأقبل عليهما الأجانب قبـل المصريين . فلماذا ؟ لأنهما عرفا كيف يختاران المكان، وعرفا كيف ينسقان محليهما ، وقدّما صـنفا جيدا بسعر معقول .

وهـذه عندى هى أعظم ضروب الوطنية . فنقتبس عن الغرب آخر ما وصل اليه تقدّمه المـادى ، ونجتهد فى أن نجعـل له وجها شرقيا محببـا فى الوقت نفسـه، ونحرص على ملاحظة هـذا التقدّم كل يوم فى تجارتنا وصـناعتنا كما يحرص الطبيب البارع على الوقوف على تقدّم علوم الطب كل يوم .

فعندئذ، وعندئذ فقط ، نزحزح الغربى الذى نشكو منـه بالكلام الفـارغ والرغاء بالوطنية . فوطنيـة القرن العشرين هى وطنيـة العمل والجرأة والتجديد لا وطنية الثرثرة والخمول والجمـود .

الوطنية الصادقة

خطب الصديق النابغ الأستاذ فكرى أباظة منذ أيام في حفلة افتتاح سينما فؤاد فقال : ماذا تريدون أكثر من هذه الوجاهة؟ فنحن لاننا شدكم الوطنية وانما نقول لكم انظروا هذه الأنوار ، وهذه المقاعد المريحة، وهذه القاعة الفسيحة، وهذا وهذه ... فرد عليه الأستاذ أحمد حسين بقوله : لماذا لا تناشدنا الوطنية ؟ ! لو كانت هذه السينما « اسطبلا » لحضرنا اليها طائعين مرتاحين لأنها خير من الدور الأجنبية .

فهاتان الفكرتان المتعارضتان بحاجة الى الوقوف والتأمل . فنحن في دور انتقال نحاول تحقيق ما فاتنا من منشآت صناعية ومالية وتجارية . وقد استيقظنا على الصوت القومى ينادينا بالنهوض بعد السبات والركود فوجدنا كل شيء في يد الأجانب.

ولكن لو أن طلعت حرب باشا الزعيم العظيم قد جعل يطبل ويزمر باسم الوطنية مع الطبالين والزامرين ولم ينشئ

هذا البنك الكبير وتلك الشركات النافعة الناجحة لنظر العالم كله إلى وطنيتنا نظرة احتقار لأنها تكون وطنيـة كلام فارغ وتهـــويش .

فالوقت الحاضر هو وقت أزمة شديدة، كل انسان فيهـا لايعيش من ميراثه وانما بعرق جبينه . والوارثون هم فى أزمة شـديدة حتى انهـم الآن أفقر من العمال . فالرجل الذى يكد ويكدح ويكسب القرش ببذل دمه وقواه وروحه لا يرضى أن يذهب إلى « اسطبل » ليتفرج على جريتـا جاربو أو ببهيجة حافظ . لذلك عنـد مافتحت سينما فؤاد أبوابها عمدت إلى تجديد واجهتها على شكل عصرى ووضع النور بشكل فنى . واذا لم تكن قد فعلت ذلك فانها كانت تبق فى حالة يرثى لها أمام غيرها من دور السينما، منافستها وجها لوجه ، ولم تكن الوطنية وحدها تكفى لتجتذب الناس،لأنه لمـاذا تكون الوطنية حقيرة مظلمة قذرة، ولمـاذا لا ترفع رأسها أيضا بالعز والوجاهة والنور كالأجنبية سواء بسواء أو أعلى منها درجات ؟ !

فاذا فتح أحد الوطنيين مقهى قذرا فناجينه مكسرة

رخيصة، وماؤه ساخن، وبنه ردىء، وخدمته فوضى، ونوره ضئيل ، ومناضده خشنة ، فهل نتهافت على الجلوس عنـده ونترك الرومى الذى أمامه وهو ضده فى كل شىء ؟ !

كلا !

لأن الوطنية عندئذ لا تنطبق على ذلك «الوطنى» ؛ لأنه رجل لم يدرس حالة السوق، ولم يعرف أن النعرة وحدها لا تكفى، ليشرب الزبون « الدردى » من يد الوطنى لأنه وطنى . وكأن الزبون اذا لم يقبل ذلك لايكون وطنيا ؟ !

يجب أن يعرف الوطنى كيف يبذل ليملك السوق، ويقف وجها لوجه أمام الأجنبي لا ليشحذ ولكن ليكسب ... وعلينا نحن أن نتسـامح اذا كان الفرق قليلا بينـه وبين الأجنبي . أما الفرق الشاسع فهو يضر بسمعة البلد بدلا من أن ينفعها، وهو يضر بالتاجر نفســه ، ولن يكون الاقبال عليه إلا كالهشيم تذروه الرياح .

فى الزعامة السياسية

فى مثل هـذا اليوم من عام ١٨٥١ كتب « جيزو » المؤرخ الفرنسى السياسى الكبير الى «الكونت دى جارناك» يقول : « ينبغى أن أكون أشدّ الناس تفاؤلا حتى لا أيأس من المستقبل » .

وهذه الكلمة يجوز أن تكون شعار الرجل السياسى، سيما ذلك الذى يضطلع بمسئوليات كبيرة قد تتعلق بمصير أمة .

وقف يوما «سعد زغلول» وقد تخلى عنه أكثر أنصاره ، وكأن القدر نفسه قد تخلى عنه، فلم ييأس بل صمد ، وانجلت أزمة الأنصار عن أنصار جدد ليسوا دون السابقين قوّة .

والحياة السياسية كلعبة الروليت تظل تدور . فالكاسب فيها اليوم خاسر غدا . والعكس بالعكس . لكن السياسى الفطن عند ما تسنح له الفرصة لا يدعها تمر بل يقتنصها بعزم

وحزم . وهذه الفطنة من مميزات الزعامة، وهى مزيج من الذكاء والحكمة وبعد النظر والصبر الجميل .

وإذا لاحظنا أن كثيرين من الناس تضيق بهم الحال ماديا فينتحرون . أو روحيا ، كأن يحبوا من ليس يحبهم فينتحرون أيضا ، إذا لاحظنا أن كثيرين يذهبون بمحض إرادتهم ضحايا أوّل صدمة لهم فى الحياة، عرفنا المتاعب التى يلقاها الذين يتصدّون للخدمة العامة . حتى هتاف الناس لهم على جوانب الطرقات لا يدفع إلا جزءا يسيرا من متاعبهم ومشاغلهم .

كل خطوة وكل كلمة يحاسبون عليها حسابا عسيرا . خصومهم يحيلون قوّتهم ضعفا وأناتهم تردّدا وصبرهم جبنا .

اذا اجتمعوا أصحابا للمشاورة ، قالوا مؤامرة ، واذا انفضوا إخوانا، قالوا تشاحنوا ودب فيهم دبيب الشقاق ! ...

فالرجل السياسى الذى يناخ عن مبدئه بإخلاص وشهامة هو بمثابة الرجل الواقف فى حقله يدفع الماء وقد سال على جوانبه بشدّة من اليمين والشمال .

حتى الأنصار، ليسوا دون الخصوم إرهاقا لكبار الرجال .
فعنـد ما يكون الخصوم فى الظل يجىء الأنصار فى الشـمس يلحون على الرجل السـياسى فى طلب أيام الصـفاء . يرون ذلك حقا لهم غير منازع . يقولون : إن من يعطى باليمين له أن يأخذ بالشمال .

فحياة الرجل السياسى ليست مما يحسد عليه إلا اذا حسد على حياته الجندى الساهر فى الميدان بين الرصاص والقنابل .

ولكن على الذى يشعر بأنه أوتى رسالة خاصة أن يبلغها ، وله أجر القدّيسين المصطفين .

اتحـــدوا !

كل من راجع تاريخنا فى الفـــترة بين ١٥ مارس ١٩٢٢ و ١٥ مارس ١٩٣٤ شعر بالحزن والأسى وقامت أمامه لوحة سوداء، لأننا لم نعرف كيف نقدّس دم الشهداء ونحتفظ بكرامة التضحيات التى بذلت فى سبيلنا ، وفى سبيل الأجيال القادمة .

فكل هذا الاستقلال هو نتيجة نهضة عامين اثنين كنا فيهما مثالا للأمم فى الجهاد والاتحاد، وكنا فيهما مثالا للبـــذل وحب الوطن والفناء فى سبيله ، فانظروا وقارنوا بين جهاد عامين قبل الاستقلال، و بين تخبط اثنى عشر عاما بعد الاستقلال . نسير على غير هدى، ونتجه الى الحكم كأنه هو كعبتنا من دون أمتنا ، وليست لنا سياسة معينة مرسومة .

فنحن قد اندفعنا بشهوة الحكم الى أحضان الانكليز وترامينا على أقدامهم بمذلة لا تليق بالأمة التى بذلت أولادها المسالمين قرابين فى سبيل الاستقلال . فلما اعترفت انجلترا تحت ضغط

نهضتنا وقوة تضحيتنا بهذا الاستقلال رحنا نتزاحم على عشرة مقاعد ويود كل امرئ لو شرب من دم أخيه حيا . وهذا هو الفشل المروع . ولقد نلنا من أنفسنا فى هذه الاثنى عشر عاما أضعاف ما نال الانجليز منا فى نصف قرن . فنحن لم نعد كتلة واحدة أمام الانجليز، ولا أمام الأجانب، ولا أمام برنامج معلوم وخطة مرسومة نمضى فى تحقيقها مهما كلفنا الأمر . وكل محاولتنا السياسية والمالية والقضائية والاجتماعية بمثابة الترقيع فى ثوب خلق قد اتسعت خروقه على الراتق . فروحنا المعنوية التى انتصرت بالأمس ودفعتنا نساء ورجالا الى الوقوف عزلا أمام الخصم المسلح قد ضعفت وخارت وذهبت بريحها الأهواء، وأصبح سلاحنا النفسانى الذى غامرنا به وانتصرنا مفلولا صدئا لا يصلح لحرب أو طعان .

ليس الانكليز هم الذين منحونا ما نحن فيه من خير حتى نترامى على أعتابهم ونتزلف الى رجالهم ونتوسل الى مقاماتهم بكل الوسائل . بل إن قلوبنا هى التى ثارت وهى التى فازت بقوة الحق وعون الله . فكيف يضعف أيماننا فى أنفسنا وكيف

نتولى عن عشائرنا وتنتصر منا الأنانية ، حتى ينفصل بعضنا عن بعض ونتكايد ونفرح لتولى الانجليز عن حزب ونصفق لابتسام الانكليز لحزب آخر ونعد رضا الانجليز أو غضبهم هو أقصى منانا؟ ... « وكل حزب بما لديهم فرحون » !

فلنذكر هذه الهزيمة المنكرة فى يوم استقلالنا لنعرف ضعف مركزنا وسخرية القدر والخصم منا . ولنذكر تلك الدماء الزكية التى سفكها الشهداء من أجلنا فدسناها فى سبيل شهواتنا .

ولله الأمر من قبل ومن بعد .



ادبیات

الأهرام

عند ما يتجدّد شباب « الأهرام » — كما تراه اليوم —* تتجدّد به عزائمنا ؛ ونقف فى هـذا المعترك الهائل الذى اسمه «الصحافة» فخورين بهذا الميراث العظيم يقوى على الأيام ويزيد ويتضاعف ، حاملًا على جبينـه سمة معجـزة الدهر ورمز حضارتنا القديمة ، كما ان « الأهرام » رمز من أجمـل رموز حضارتنا الحديثـة . وكان الفيلسوف الفرنسى «لابولاى» يقول : «حدّثنى عن صحافة قوم أخبرك بمكانهم من المدنية» .

فاليوم عند ما نقلب النظر فى صحافة أوربا نجد «الأهرام» فى حجمها الحالى وطبعها وتنظيمها ومادتها تقارع كبريات صحف الغرب . فهى دنيا تمتع بمتاعها دون أن تتكبد متاعبها . تذرع بها المعمورة طولا وعرضا مع مراسلين من أنحاء العالم كافة لاعمل

---

* بمناسبة صدوره فى قطع وحجم جديدين وبه صفحة كاملة مصورة .

لهم إلا اقتناص كل طريف وسبق سواهم فى إرساله، دون أن تنتقل عن كرسيك أو تبذر أموالك . يشترك فى تقديمها لك على هذه الصورة شيوخ وشباب . شيوخ بتجاريبهم وحنكتهم وحكمتهم وشباب بحماستهم وتطلعهم واطلاعهم . شيوخ بلتهم أهوال الليالى والأيام، وعركتهم حوادث الدهر : من الباسمة كالزهور الى القاصمة للظهور . وشباب تواقون للجديد، راغبون فى الحكمة، دائبون فى العمل . وهؤلاء يأخذون عن أولئك كل يوم أمثالا فى الحلم وسعة الصدر والجلد والتجدّد والفطنة وحب الصنعة حبا يستهينون من أجله بصحتهم وحياتهم . والشيوخ يكملون الشباب والشباب يتممون الشيوخ . فهو تعاون مجيد .

فاليوم إذًا معدود من مفاخر أيام نهضتنا . ولست أنظر الى الأمر كعضو من أسرة « الأهرام » وإنما كعضو فى المجتمع المصرى . لأن هذه الصحيفة، عند ما تفتح اليوم فى أى مكان فى أوربا أو فى الشرق من أقصاه الى أقصاه على صفحاتها الأربعة عشرة، كفيلة برفع اسم مصر وزيادة كبريائها الوطنى؛ وليس فى فرنسا نفسها اليوم صحيفة كالأهرام . فالصحافة من أهم مقاييس

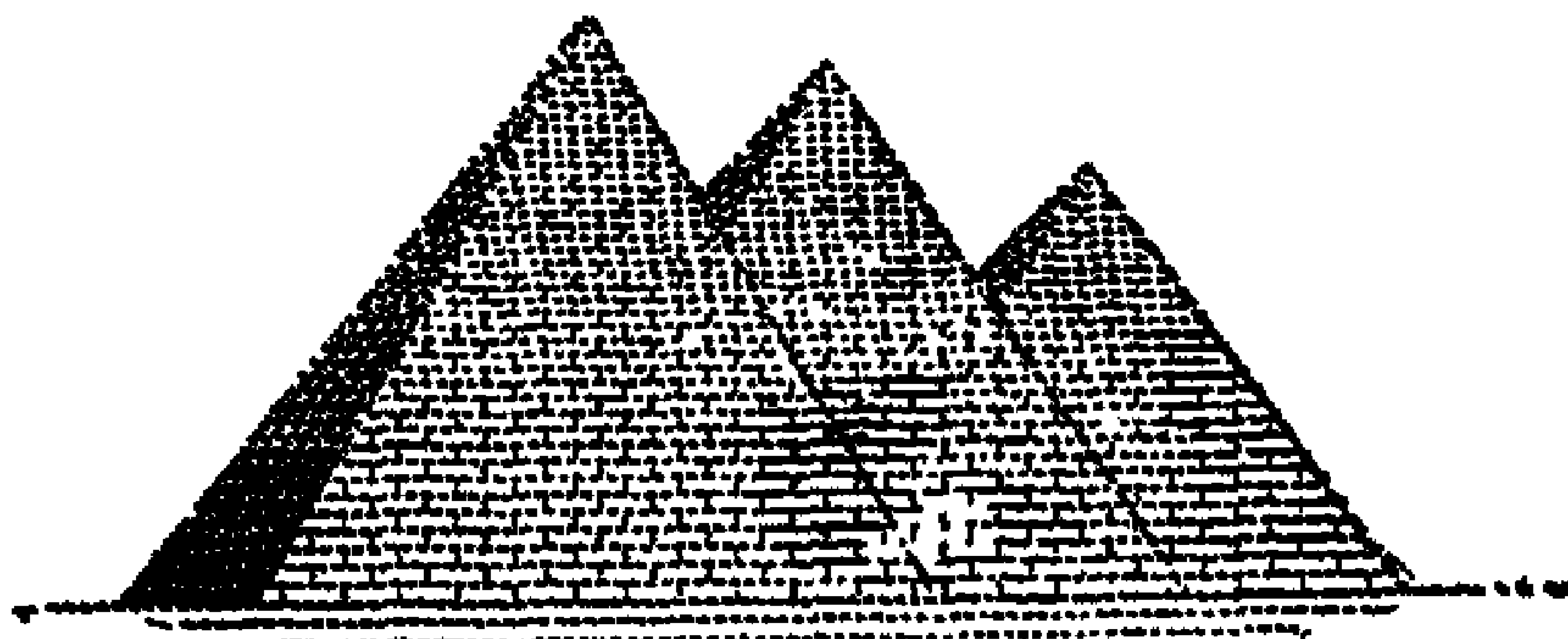
الحضارة، وقد ارتفع بنهضــة « الأهرام » الجـديدة مقياس حضارتنا .

نعم، نفخر بذلك، نحن الشباب الذين احترفنا هذه الصناعة النبيلة بثقة فى الغد واطمئنان الى المستقبل، لأننا نعلم أنها من أشرف الحرف، وأن سرّها ليس براعة الأسـلوب، أو سـعة الاطلاع، أو رجاحة العقل، أو دقة الملاحظة، بقـدر ما هو الأخلاق . فنقول ما نعتقده بقوّة وشجاعة دون وقاحة، ونصمد فى الحق للحق نفسه دون تهيب أوتردد أو ارتداد، ونثبت حتى النهاية، ونغتفر للذين يشتموننا لأنهم ضعاف عجزة عن اللحاق بنا أو الارتفاع الينا . وليست تنطبق نظرية بقاء الأصلح على قوم مثل انطباقها على الذين يشتغلون بالصحافة، فان عشرات الذين يفدون عليها من باب يخرجون من الباب الآخر . و إذا أصروا على البقاء فانما ليكون نصيبهم الخمول وأداء أتفه أعمالها، أو يعيشون و يموتون دون أن يبقى من بعدهم سـطر واحد . على حين أن الصحفى الموهوب مصوّر ومفكـر . وما تصويره وتفكيره إلا لفائدة الجماهير التى يعيش لخدمتها . أما الشهرة التى يكتسبها

فهى عبء ثقيل ما إن يناله حتى يزهد فيه ويمله ويود لو كان قد خلق خلقا آخر .

وهذه الصحافة الرشيدة التى نخدمها هى التى عناها « جفرسون » الرئيس الثالث للولايات المتحدة عند ما قال : « لو خيرت بين دولة تديرها حكومة أو دولة تقودها صحافة لاخترت الثانية » .

وهذه هى الصحافة التى نعنيها ونفهمها ونحبها ، ونعمل على إعلاء كلمتها ، وتدعيم نفوذها ، ومد سلطانها ؛ وكلمتها كلمة الأمة ، وسلطانها مستمد من سلطة الأمة ، لا نضن بشىء فى سبيلها ولو ذهبنا ضحيتها .



لا يوم بغير سطر !

كان فى بيت الكاتب الفرنسى العظيم أميـل زولا لوحة محفـور عليها باللاتينيـة Nulla dies sine linea وترجمتها الحرفية « لا يوم بغير سطر » أى لا يجوز أن يمضى عليه يوم واحد دون أن يكتب ولو سطرا واحدا . وكان هذا منه مبدأ متواضـعا لأنه كان من أكثر الكتّاب إنتـاجا . كان يكتب فى اليوم ألف سـطر . وخلف لنا عشرات الكتب الممتعـة والقصص الشائقة . ولكن هذا المبدأ المتواضع هو الذى يجب أن يكون للشـباب شعارا . فان الكثيرين منهم فى المدارس يتركون كتبهم ودروسهم الى قبيل الامتحان ، ويتركون حياتهم نهبا مقسما بين الفراغ والفوضى .

وقديما قال الشاعر العربى مثل هذا تماما :

اذا مرّ بى يوم ولم أسـتفد يـدا
ولم أكتسب علما فما ذاك من عمرى !

فتنظيم العمل هو من أهم أسباب النجاح فى الحياة . والمثابرة عليه كل يوم دون انقطاع فيها سر السلامة ؛ لأن التعب القليل أو بعض الضجر والسآمة، وطلب الراحة الكاملة والوعد بالتعويض غدا هو بمثابة تلقيح النفس والعزيمة بالخور والفتور .

فالنفس معرضة للمرض أكثر من الجسم . فاذا كنا نتقى البرد والزكام والتراب حرصا على صحة الجسد فكيف لا نتقى الآفات التى تنتاب النفوس وتعمل على انحلالها ؟

وليست العبرة أن نبدأ فنسرف ثم نحط تدريجيا فى مهمتنا ، بل أن نتدرج كل يوم ونزيد مجهودنا حتى لا يكون لتقهقرنا تأثير سيئ فى روحنا المعنوية .

هذه هى الدروس التى يمكن أن يتلقنها الطفل منذ أيامه الأولى . فالآباء والأمهات يستطيعون أن يسدوا يدا عظيمة الى أولادهم وبلادهم اذا نظموا عزيمة الطفل منذ أول عهده بالوجود ، ويمكنهم أن يجعلوا منه رجلا عاملا بدلا من أن يجعلوه طول حياته طفلا ولو تدلت لحيته على صدره .

سهـــم الشرق

ظهـــر « سهم الشرق » وهو كتاب فرنسي للكاتب المعروف بول موران . بطل هـــذا الكتاب « ديمترى » رجل روسى مبعـــد من بلاده جاء فتوطن لأمـــد طويل فى باريس وأثرى وطاب عيشـــه . وفى ذات يوم يركب الطيارة فى رهان من باريس الى بوخارست، ويقوده صديق الى «بساربيا» على تخوم رومانيـا وروسيا الجـــديدة ، وهنالك يرى الريف الروسى، ويعود فيحتك بالفلاحين السذج، ويستنشق أريج مسقط رأسه وعطر زهور البرية، ثم يسمع نورية تنشد أغانى روســـية فيشعر بأن قـــد استيقظ فى روحه حنان لا يوصف ، هو مزيج من القوة والقنوط لأنه الحنين الى الأوطان ؛ حنين رجل مبعـــد عن بلاده الى بلاده ... فذلك الرجل الذى صار مواطنا فرنســـيا عاقلا حكيما مثريا وقد ربتـــه فرنسا وأنضجته وأغنته آن أوان انحلاله وذوبانه وعودته الى أصله ، وظهر فيه

ثانية العنصر السلافي الغلاب، وانحلت العقدة التي كانت تربطه الى الحياة . ذلك الرجل الذي كان يعيش على فلسفة أبيقور، ويتمتع بصباحه ومسائه، ويشغل نهاره وليله بالعمل واللذة في هدوء، قد آن له أن يختفي ليفسح المجال للروسي الصميم الذي ألقت به الموسيقى في قلق وحشي، وأحدثت عنده انجذابا محزنا نحو الأرض التي أنبتته ثم لفظته وألقت به خارجها شريدا ...

أجل ! ... لقد تجاوبت أضلاعه بنداء روحي قوي متكرر، يتردّد مائة مرة ومرة، حتى أصبح لا يقاوم ولا يدفع . فلبي النداء ... وطلّق حياته العصرية ورفاهيته وقصوره وسياراته، بل وطلق امرأته الأمريكية وعاد الى وطنه مجرّدا من كل شيء ... لأنه في روسيا لا يوجد غني وفقير .

هذا رجل أدرك تفاهة الحياة وعدم فائدتها على الوجه الذي كان قد ارتضاه لنفسه، وخرج عن شخصيته الزائفة، واستعاد آخر الأمر نفسيته المفقودة . استعاد الاحتكاك بروحه، روحه التي كأنها كانت في الغربة قد ضلت ثم عادت الى الوطن فاهتدت ...

جيتـــــه

أقرأ الآن « جيته » لأكتب عنه شـيئا « للاهرام » . تغرقني قراءته في معين عذب ، وتنسيني كل شيء حتى الكتابة ، وتجعلني أتساءل : هل توجد في الدنيا لذة تفوق القراءة ! ؟ أعتقد أن الرجل الذي يحب القراءة هو من أحباب الله ؛ لأن القراءة تنقل الروح الى عالم ممتلئ بالأرواح التي هي في حاجة الى الوجود بينها ومناجاتها . أشعر وأنا أقرأ غرام جيته كأنني مغرم ، كأنني أرى ذلك الجمال الذي عشقه وفهمه ، وأنني لو وجدت أمامه لحكم على بما حكم عليـــه من دموع ولوعة ووحشـة حتى في الهناءة ؛ فقد كانت هناءة الحياة تثقل عليه وتصيبه بنوع من الكآبة ، وكانت القراءة أكبر ملذاته . كان يختلى بالكتاب كأنه أعز صديق ، كأنه الحبيبة . وكان الوسط الذي حوله يبدو له غريبا لأنه لا يفهمه ؛ فان الناس يكرهون الشعراء ويضحكون منهم ، ولو أتيح للناس أن يروا لمحـة من عالم الشـعر والتأمل

لاندهشوا من تفاهة العالم الذى يعيشون فيه، يأكلون ويلعبون وينامون ...

إن الكاتب والشاعر كالمتصوّف . فهذا المتصوّف المنصرف الى التأمل والانجذاب ينظر الى هذه الدنيا نظرة الغريب عنها الساخر منها ، الذى يعلم أن وراء ذلك ما هو خير وأبقى .

خذ منه كل شيء ، خذ منه المال والحب، بل خذ منه نور عينيه فانه سيستمع الى من يتلو عليه الكتب، من كتب الله الى كتب البشر، فيشعر أن كل عرق فيه ينبض بالحياة ، وأن الدنيا ممتلئة بالنور والحبور ساعة فهو بها سعيد، أو أن الدنيا عبث كلها وتعب ،فهو غير معنى بها أو مقبل عليها ، فهو سعيد أيضا .

يقول جيته : « كل المثل العليا لا تحول بيني وبين أن أكون أنا نفسي كما خلقت، أعني طيبا ورديئا كالطبيعة » .

لقد ظل هو نفسه، صدقها ورسمها لنا كما خلقت . كانت دموعه حارة ونحن نراها الآن مرأى العين ونحس حرارتها لدى

قراءتنا « ڤرتر» . و « ڤرتر» هو جيته . فهل يستطيع الكاتب المصرى أن يصدق نفسه والناس، ويطلعهم على خبيئته لايحابى ولا يغش ولا يلون حيـاته بألوان براقة أو كئيبة ؟ لا يتصنع الفرح ولا الحزن ، وإنمـا يكتب ما يشـعر به من مشاعر، ويذكر ضعفه على علاته مهما كان بشعا، ويذكر قوته كما هى إن كان قويا .

انفرض أن كاتبا مصريا عاش فى أوروبا، وكان له حب عظيم ، فهل يستطيع أن يكتب اعترافاته ، ويرسم غرامياته ، ويبوح بكل ما خالج قلبه وما انضمت عليه جوانحه إذ ذاك ؟ هل يستطيع أن يقول مثلا إنه كثيرا ما كان لا يجد طعاما ومع ذلك كان أهنأ بالا وأسعد حالا من أيام جاءت بعد ذلك يلعب فيها بالمـال لعبا ولا يجد للعيش طعما .

كلا ! وعلى ذلك سيظل كل واحد منا مثلا أعلى، وليس كما خلق طيبا ورديئـا كالطبيعة . ولذلك لن يكون منا بعض « جيته » ولا ظل « جيته » .

زوجة نبيلة

نعود الى « جيته » . تركت ما كتبه عنه اميل لودفيج ، وأخذت كتاب «چان ماری کاريه» الأستاذ بالجامعة المصرية . هكذا تكتب السير و إلا فلا ! .هل يوجد أبدع من هذا العقل الفرنسى المنظم ؟ هل توجد أبدع من طريقته فى البحث والاستنتاج ؟

وقفت عند صفحة منه وتأملت طويلا . وذكرت قاسم أمين الذى كان ينشد امرأة لها جمال المرأة وعقل الرجل .

انتصر نابليون فى معركة « ايانا » المشهورة و وصل غداة فوزه الى فيمار حيث تقام الآن أعياد «جيته» العظيم التى يشترك فيها العالم بأسره، حتى مصر . وصل فى موكبه الظافر الى قصر دوق فيمار الذى كان فى خدمة ملك بروسيا عدوّ نابليون . وكانت فى أعلى سلم الشرف امرأة تنتظر الفاتح العظيم الذى دوّخ الدنيا دون أن يصيبه دوار . وكانت متدثرة بمعطفها :

طويلة القامة ، نحيفة ، نبيلة التقاطيع ، على وجهها شحوب الحزن ومسحة الهدوء .

فصاح فيها نابليون بصوت صادع : من أنت؟ فأجابته : « أنا دوقة ڤيمار » فقال لها : « إننى أرثى لك ، لأننى سأعدم زوجك ! » .

ثم دخل الجناح المعدّ له فى القصر، وتعشى وحده. ولكنه فى اليوم التالى خفت حدته قليلا فقبل الغداء مع مضيفته .

وكانت هى فى ثوبها الأبيض الناصع وشالها الحريرى الأسود على كتفيها العاجيتين تنظر بصفاء واستسلام الى حكم القدر . وجعل هو يروح ويجىء فى الغرفة كأنه محموم ، ويداه وراء ظهره ، ثم فاجأها قبل الجلوس الى المائدة بقوله :

— ولكن كيف كان زوجك من الجنون بحيث تجرأ على محاربتى ؟

فأجابته : لو أنه لم يفعل لاحتقرته جلالتكم .

— وكيف ذلك ؟

— إنه منذ ثلاثين عاما فى خدمة ملك بروسيا ، فهل يتخلى عنـه فى اللحظة التى عليه فيها إن يواجه خصما مهيب الجـانب بجلالتكم ؟ أفلا يكون ذلك جبانة منه ؟

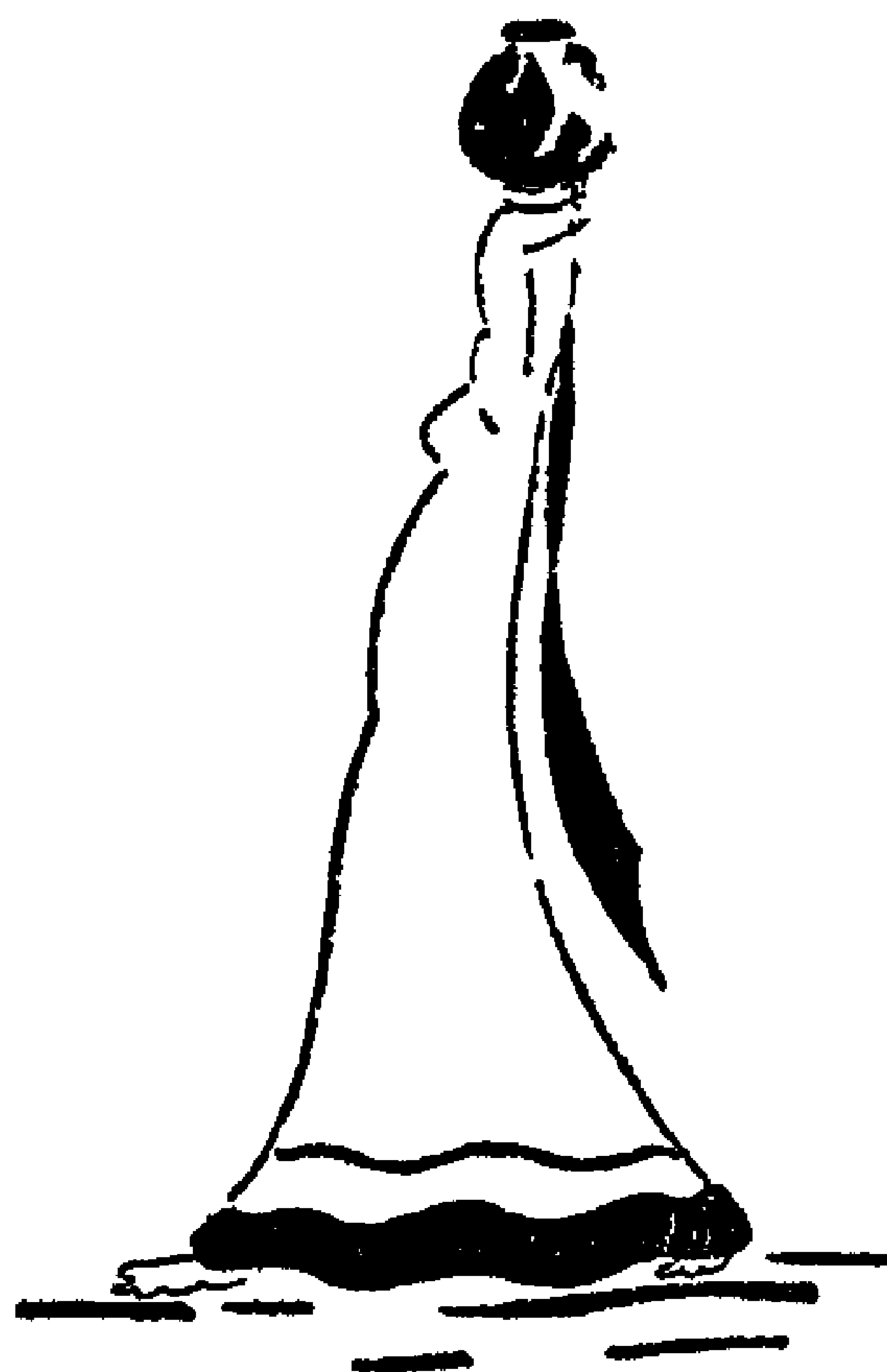
فبهت الامبراطور لهـذا الجواب اللبق الجرىء الجدير بها وبه ؛ وأبدى على الطعام دماثة ولطفا ، وأصدر أمره بالعفو عن الدوق إذا استقال تحال من وضيعة القيادة وعاد الى أملاكه ، وختم ذلك بقوله :

— إنك يا سيدتى أشرف امرأة عرفتها . فقـد أنقذت زوجك ، وإنى أعفو عنه . وإنما يرجع ذلك اليك ، أما هو فلا يستحق ، لأنه مسىء .

وعنـد ما عاد الى جناحه فى القصر همس فى أذن أركان حربه : ها هى ذى امرأة مع ذلك لم تخش مدافعنا المئتين !.. .

أما الذى جهله نابليون فهو أن هذه المرأة كانت أعظم من ذلك شجاعة ، كانت تبـدى بطولة فى حياتها الخاصة ، وعظمة

نفسانية ليست دون ذلك. لأنها كانت امرأة شريفة صابرة على ماقدّر لها، فقد كانت تعرف أن زوجها يخونها علانية، وله خليلة ممثلة... ولد له منها ولد، كتب عنه «جيته» خطابا يبشر به الأمير بقوله : «أنه شبيه جميل ، نضر الوجنتين ! » . وكانت تترفع عن الشكوى وتأنف أن تشير فى حديثها مع زوجها الى خيانته بكلمـــة !



شـوقى والجميّـل

عنـد ما فرغت من قراءة الدراسـة* التحليلية الشائقة التى وضعها الأديب، الشاعر، المفكر، أنطون الجميل بك، فى شوقى أمير الشـعراء خطرت لى مقالة « ما كولى » فى « ملتون » . وليس ذلك راجعا الى أن ثمت وجها للمقارنة بين ملتون وشوقى . فان القدر قد حرم الأول كل شىء، وحبا الثانى بكل شىء . ولكن لأن الأدب العالمى مدين لما كولى بتلك الصورة الخالدة التى حفظناها فى المدرسة عن ظهر قلب .

فشوقى ككل نابغة له من الأعداء بقدر ما له من الأصدقاء . وبين هؤلاء وهؤلاء يقف الكثيرون حائرين بين جيشين متقاتلين، أحدهما يجرّده من أهم صفاته، والآخر يلثم طرف ثوبه بخشوع كالقدّيسين حتى يجىء المنصف الحكيم فيعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

---

* شوقى — بقلم أنطون الجميل بك — مطبعة المعارف بالقاهرة سنة ١٩٣٣

فرسالة الأستاذ الجميل بك هى ميزان الإنصاف لشعر شوقى . موازينه الدقيقة مأخوذة من فطرة الناقد الشعرية، ومن ثقافة واسعة عربية غربية، وحساسية مرهفة، وذوق سليم، ونظرة عميقة صادقة فى الأدب والحياة .

لقد تجول المؤلف المجيد فى تلك الجنان الفيحاء الفسيحة الأرجاء التى غرسها شوقى ؛ وتجوّل نخبير بسر الأشواك وسر الزهور ؛ وجمع لنا بعد ذلك طاقة نضرة فى نحو مائة صفحة جمعت نحو أربعمائة بيت شعرى ؛ ونمقها بيد بارعة وذوق سليم ؛ و بذلك أبرز لنا فن شوقى وفضل شوقى دون أن يحملنا عناء الجهد أو عذاب التشكك .

هذه الطاقة اليانعة التى يقدمها الينا الجميّل لا ترضى العين وتصقل النفس فحسب، بل إن كل زهرة منها على جمالها عظة ودرس . نجد فيها معنى الشعر وقيمة الشاعر، ومواقف الروع ، ومواقع الحروب ، ومواطن الطمأنينة والابتهاج ، ونسمع فيها أوتار الدين والايمان ، والتسامح والوطنية ،

والإخلاص والحرّية، والحكمة والهوى، وتمجيد السيف والقلم، والشورى والدستور، واستنهاض الشباب وحثهم على العمل والاقدام، وهديج الأمل الموموق من مصر في مستقبلها، وغناء في وصف الجارات الشرقية . ونرى فيها لوحات رائعة للنيل والأهرام وأبي الهول وأنس الوجود ودمشق ولبنان ...

ورسالة الأستاذ الجميل بك هي أنموذج بديع للدراسات التحليلية القائمة على الأصول العلمية . هذه الأصول التي تنكر الغرض من تحامل أو ملق . وهي المذهب الأمين الذي يجب أن يعتنقه الشباب المتأدب ويأخذه عن أهله . وحبذا لو درس جميع الطلبة هذه الدراسة فهي تعرفهم بشوقي ومميزات شاعريته ومميزات عصره . وهي لوحة اجتماعية لمصر في نصف قرن، وهي مثال لأدب النقد جدير بأنطون الجميل، فهو جدير بأن يحتذى .

السينما والكتاب

من أخطر الأمور على أخلاق الفتى أو الفتاة أن يذهب أحدهما الى السينما مرتين أو ثلاثا فى الأسبوع ثم لا يقرأ كتابا



واحدا كل ثلاثة أشهر . فان الجيل الذى ينشأ هذه النشأة يهدد بلاده بالانحلال . السينما تسلية وليست ثقافة . والشاب أيا كان اتجاهه فى الحياة بحاجة الى الثقافة، سواء أكان عاملا بيده أم عاملا بفكره، سواء أكان مدرسا أم طبيبا أم محاميا أم مهندسا

أم موظفا ؛ فإن الثقافة هى التى تعترفه بمناطق جديدة ينهل الذهن منها غذاءه كما ينهل النحل من الورد غذاءه . والفتاة المصرية يجب أن تطّلع على آخر الكتب وأن تنقدها لنفسها وأترابها وأن تكوّن لنفسها فكرة عن الموضوع وعن الكاتب، فلا تغتر بالأسماء الضخمة بل تستقل فى رأيها دون غرور . وتكون تلك الكتب الجديدة موضع أحاديث الصالونات المصرية بدلًا من أحاديث الفساتين البائخة، ولا يجوز للفتاة المصرية الجديدة أن تكون دون العاملة الأوربية الصغيرة الفقيرة، فإن أولئك العاملات لا ينقطعن عن مطالعة الصحف اليومية والمجلات الأدبية والكتب الجديدة . وهن فى حالة عجزهن المطلق عن الشراء يلجأن الى مكاتب البلدية فيجدن فيها كتبا وإن لم تكن جديدة فهى لا تقل عنها فائدة ولذة . وهكذا لكل فرد فى البلاد الحية ميزانية للثقافة مهما كانت ضئيلة .

وكل من الوالدين مسئول فى هذا البلد أمام الله وأمام الوطن عن وضع الكتب المختارة فى أيدى بنيه منذ نعومة

أظفارهم. فانه بذلك يحصّنهم ويحميهم بأحسن مما تحميهم التعاويذ والتمائم، وبأحسن ممـا تحميهم العضلات القوية المفتولة .

الكتاب الجيد أفضل ألف مرة من الفلم الجميل . خذوا أى فلم مهما كان جميلا ودلونى : أليس فيه ناحية من الاغراء والابتذال الذى لا يتفق وحشمتنا الشرقية وحياءنا الفطرى؟ ! ألسنا فى أحوال كثيرة نحمد الله على أنه ليست لنا بنات تشهد تلك الأفلام التى تبيحها وزارة الداخلية عندنا إباحة تدعو الى أشدّ العجب والاستنكار ؟ !

فيجب أن يتذوق أبناؤنا القراءة منذ الصغر، فانهم سيرون تجاريب الدنيا منبسطة أمامهم مبذولة لهم بسخاء . وإذا نظر طالب العلوم الى كتاب الأدب بنفور واستصغار فهو دليل على حماقة تستحق الرثاء ؛ لأن طالب العلوم عند ما يتعصب ضدّ الأدب؛ أو طالب الآداب عند ما يتعصب ضدّ العلم ، يكون كلاهما قد دل على أنه أبعد مايكون عن العلوم والآداب جميعا .

والقرش الذى يدفع فى الكتاب هو قرش مدخر طول الحياة . لأن الكتاب الجيد يظل طول العمر، كالقلب الطيب، منبع الخير.

المعلم الجاهل

سيارات وزارة المعارف الكبيرة تجوب الشوارع في الصباح نافخة في أبواقها، لتحمل البنات والأطفال الى المدارس والرياض، وكأنها تحمل الزهور والورود .

إنهم أسعد حظا منا . لم يكن في زمننا سيارات ولا رياض أطفال . كان «الوجيه» فينا يأتي راكبا حمارا يتعثر في الوحل صيفا من ماء الرش، وشتاء من ماء المطر . وكان الذي يأتي في مركبة بحصان واحد أبيض يقبل غارقا في ركن من أركانها ويخرج يتعثر في خجل وغرور .

إنهم اليوم أسعد حظا لهذه الديمقراطية الشاملة، فقد أصبحوا يركبون سيارة واحدة ويتزيون بزي واحد، وتمتزج عواطفهم ولا تتضارب .

وهم أسعد طالعا كذلك لأن لهم معلمات رقيقات ومعلمين فضلاء لا يعرفون ضرب المساطر ولا ضرب «الأقلام» ! . .

وما أنس لا أنس يوم دخلت عام١٩٠٨ المدرسةالابتدائية (ج) الأميرية فقد كان يوم نحس لم تطلع شمسه . وكان معلم اللغة الانجليزية ، ومعلم الحساب فى الوقت نفسه ، رجلا جاهلا ؛ وكنت قد تأخرت أياما لسبب لا أدريه ، فـما رآنى حتى كأنه نشبت بينى و بينه عداوة . (هل كانت قد ضايقته منى مخائل النجابةوالذكاء الواعدمثلا ! ؟) وراح يمتحننى فى اللغة الانجليزية ، وكانت لوحة (الألف باء A B) مسندة الى حامل — ولا زلت أرى لونها أصفر فاقعا كوجهه — فسألنى فيها فكررتها . لكنه سألنى بعد ذلك عن (حرف H) ولم يكن يسعنى معرفته إلا اذا ابتدأت — ولو فى سرى — أكرر الحروف من الألف حتى الهاء ، فغضب (لبلادتى وجهلى) ! .

ولم يكفه منى أنى لم أكن أعرف ، ولم يرد أن يعطينى فرصة ولو الى الغد لأتعلم ، فصفعنى هذا الـ ... صفع صبيا صغيرا عمره سبع سـنوات أول يوم دخوله المدرسة ! كأنمـا كان يجب أن أولد فى لندن ! فنظرت اليـه بكل ما كان يمكن أن تنطق به عيناى ، أنا الصبي الصغير الضعيف ، من شزر واحتقار .

فضايقته نظرتى وأدركها ، فأمعن فى النكاية ، وأعلن فى الأولاد أن كل سؤال عن حرف أعجز عن معرفته ويجيب عنه أحدهم فله الحق فى أن (يضربنى قلما) ؛ فرفع عشرة منهم أيديهم ووقفت أنا كتمثال بارد من الرخام فقد الحس والشعور ، لأننى لم أكن أعتقد وجود حيوانات فى المدارس الأميرية .

وكان بعض الصبيان يمسح على وجهى والبعض يضربنى فعلا .

ولكننى لم أكن أشعر بألم الضرب لأننى كنت قد غرقت فى ألم الاهانة . كم أخذت يومها من «الأقلام» ؟ ! عشرة ، عشرين ، والله ما أدرى ! . أظن بعدد حروف الهجاء الانكليزية ! .. أما الذين امتنعوا فقد كانوا سلفا أصدقائى . فعدت الى البيت و بكيت طول ليلتى . وأصررت على عدم العودة الى المدرسة ، أو على الأقل ، على عدم تعلم اللغة الانكليزية ، ومن يومها كرهت الانكليز . أما والدتى فقد جن جنونها وحزنت حزنا شديدا . فأشارت عليها صاحبة لها أن تلجأ الى السيدة زينب — رضى الله عنها — فلجأت وتعلقت بشباكها ،

وبكت بين يدى ضريحها ، ونذرت ثمن خروف لصندوقها ، ووفت بعد قليل نذرها .

تذكرت كل هـذه الآلام إذ رأيت تلاميذ اليوم وكيف ينعمون . وحمدت الله على تطوّر التربية وتنوّر العقول . ولو جاء « حمـدى افندى » اليوم وامتحنته فى اللغة الانكليزية لأريته كيف يكون الصفع الأدبى ! . .

والآن ، وقد مضى على ذلك ربع قرن من الزمان ، فقـد غفرت له الألم الذى انتابنى ، والاهانة التى لحقتنى ، ولكننى يستحيل على حتى الممات أن أغفر له حزن والدتى ...

الهجاص !

ما أقل النــاس الذين يعملون عملهم بإتقان! وكل الذين لا يتقنون عملهم فى هــذا الزمن المــادّى يخسرون خسارة قد لا يعرفون هم أنفسهم مداها إلا بعد الأوان . وإنى أحب أن أضرب لك مثلا عمليا على ذلك لترى الفرق بين الخلق الشرقى والخلق الغربى ، وان ما طبعنا عليه حتى فى أبسط الشؤون من الاهمال وعدم الاكتراث يكلفنا أحيانا السخرية بنا .

هل رأيت مرة ذلك الرجل المعمّم الذى يلبس جبة زرقاء ونظارة، ويضع فى عمامته قلما من الرصاص ... ويسير وراءه رجل بجلباب قذر جدا يحمل له ورقة من الكرتون عليهــا رسم كف بحبر أحمر ... وهو يدور على المقاهى يقول: «دكتور!... البخت ! ... الكف ! ... شانس ! ... علم الكف الهندى على أصوله ! ... » ويتمايل عجبا واختيالا بمهارته فى الكلام و... و «خيابته» فى علم الكف ! ...

هذا الرجل هو من أجهل الناس بهذا العلم . وأول دليل على جهله ذلك الكف الذى رسمه بحبر أحمر ولا معنى له مطلقا . و بالأمس فى بار اللواء، جعل يقول لسيدة أجنبية و يعيد لها القول عن زوجها وحبها وأولادها وحياتها . وبعد ربع ساعة فى هدير و رغاء كانت خلاله تهز رأسها إعجابا بعلمه الغزير قالت له « لقد صدقت فى كل شيء ... بس أنا مش متجوزة ! » .

وانظر الآن اعلانا ظهر يوما ما فى صحف باريس : « السر العظيم ، الطريقة المضمونة للنجاح فى الحياة والتأثير فى عقول الآخرين و إعدادها لتكون فى جانبك وترتاح اليك، والأمر يرجع الى تيار حيوى موجود فى جميع الناس، ولكن العالم المشهور فلان ... هو وحده الذى يعرف استخدامه . وهو يعلمك ذلك مقابل عشرة قروش ... وقد أصبح من الآن فصاعدا فى الإمكان أن يقال : ان الذين لا ينجحون فى أعمالهم ليس معهم عشرة قروش ! » .

فانظر مبلغ ما وضعه هذا الرجل فى اعلانه من الذكاء والفطنة . ولست أشك فى أن الذين بذلوا القروش العشرة

عن طيب خاطر كثيرون جدا . لأنه يوجد فى كل أمة أناس لا يحصى عددهم يبحثون عن وسـائل النجاح، وهم لا يعرفون استعدادهم وماخلقوا له ؛ فيتعللون بالخرافات .

ولكن مقابل هذا الرجل الذكى الفؤاد نرى ذلك «الهجاص» يخب فى جبته وقفطانه متمشدقا بكلمات مضحكة يكررها بذاتها لكل الناس و يفقد بذلك كل ثقة فى معرفته ، مع انه لو كان قد انعكف شهرا واحدا على دراسـة الكف لعرف هذا الفن البسيط وأتقنه، وكان يستطيع أن يقول فعـلا أشياء حقيقية تسترعى النظر والاهتمام حتى من الناس المتعلمين .

والخلاصـة : ان شيئا من الصبر الجميل يمكننا من اتقان ما انقطعنا له ، ويجب أن نحب هـذا الذى نعمله وأن نقتنع بأنه الخير كله وأن نؤمن به ليكون كاملا .

الشــــرق والغــــرب

نشر كاتب ظريف فى إحدى زميلاتنا مقالا استهله بقوله : انه يضحك ملء شـدقيه من أوربا ثم يضحك ملء فمـه من فضيلة أوربا ...

وبالطبع سيجد هـذا الرأى أنصارا كثيرين ومعجبين كثيرين . ولست أنا الذى يدافع عن أوربا لأنهـا أوربا أو لأننى عشت فى أوربا ، وإنمـا أنا كمصرى ، أحب وطنى وأحارب الرذيلة وأنصر الفضيلة ولا أتردّد فى قول الحق مهما كلفنى ذلك، أعتقد أن هذه الآراء غريبـة جدا وليس فى تشجيعها إلا تضليل الناس وتملق الحمق .

إن كل ما نراه فى بلدنا من وسائل التقدّم والرفاهية والحضارة هو من واردات أوربا . هـذا النور الكهربائى الساطع الذى نعيش فيـه، هذا التليفون الذى يربطنا بأقصى البلاد، وهـذا التلغراف وهـذه السيارة وهذا الترام وهذا القطار وهذه البواخر

وهذه الملابس وهــذه العلوم وهذه الفنون وهذه الأدوية وكل شيء! كل شيء هو من صنع أوربا ووارد أوربا .

فنحن لا نستحي من أن نمدّ أيدينـا الى أوروبا فى كل شيء ، لأن الانسانية تجاوز التخوم وحدود البلدان وتصــل القطب بخط الاســتواء ، وأمس صعد الأســتاذ بيكار مدى ألوف الأمتار فى الهواء مجازفا بحياته من أجلى وأجلك ؛ وكذلك مدام كورى التى مات زوجها المنقطع معها للراديوم تعمل فيه مع ابنتها من أجلى وأجلك ، وهؤلاء الذين قد انقطعوا لدراسة الميكروب ووصف الوقاية منه والعلاج له هم أصحاب الفضائل الحقيقية التى تهزأ بها وتضحك منها .

فعند ما نعــرف كيف نصنع أصبع الطباشــير، أو مِصلا للحمى التيفودية، أو نورا كنور الكهرباء، عند ما نعرف كيف نبتكر ما هو دون الطيارة أو زبلين، عند ما نعرف شيئا من هذا أو من مثله أو من بعضه يجوز لنا أن نتحدّث عن فضــيلة الآخرين الذين نعيش عالة عليهم ... أما قبل ذلك فهو افتئات وإسراف ونكران للجميل .

اللسان العف

فى إحدى القضايا الشرعية المرفوعة من سيدة على ضابط قدر علينا أن نطلع على خطاب منه اليهـا تقشعر من وقاحتـه الفضيلة وتولى الأدبار جزعا . قرأنا فيه جملا وألفاظا لو قطعت يد كاتبهـا لكان العقاب هينا . ويصدر هـذا من رجل هو بمهنته حارس للنظام والأخلاق ! ...

لو كنت قاضيا لحكمت عليه بالسجن والتجرد من رتبته .
إن هناك بعض الضـباط هم عار على إخوانهم وزملائهم وعار على الأمة جميعا .

أليست هناك لغة يخاطب بهـا الإنسان زوجته أو حبيبته غير لغـة بذيئة غريبـة فى إسـفافها الى حدّ تترفع عنـه — فى ظنى — فى تخاطبها البهائم ؟ !

نعم توجد . وجهالتهم هى التى تحول بينهم و بينها . وإنما

المخيلة الشهوانية الوضيعة هى التى تتعرض لذكر ما ينبو عنه حسن الذوق وسلامة الطبع . فهم قوم مرضى ولا شك .

وللحب قداسته . فكل من لا يعرف هذه القداسة أو لا يحترمها يسىء الى الحب ويجرم . وهذا الضابط الوغ قد كتب ما كتب وهو يزعم أنه سيكون فقط بينه وبين تلك السيدة . ولكن ها هو الآن خطابه (واخذ رقم فى حافظة) ويتداوله كتاب المحكمة والمحامون والقضاة، ويتنقل حتى يصل الى الصحف . لذلك كان ينبغى أن يكون له من نفسه وازع، وأن يحسب حساب الحب نفسه وحرمة الأنوثة قبل أن يحسب حساب وقوع خطابه فى يد الغير .

ونحن سنضرب له مثلا لضابط آخر يعرف الحب ويدرك أن عمله رجس من الشيطان . ولسنا نقتبس له رسالة كاتب كبير أو شاعر عاشق ، وانما خطاب ضابط انجليزى كتبه فى عام ١٧٤٦ الى زوجته عشية معركة «كولودن» التى هزم فيها آخر أنصار « الستيوارت » وقضى كاتب الخطاب فيها نحبه . وقد وجده بطريق الصدفة كاتب كبير فنقله وهذا نصه :

« حبيبتي

عدت الى معسكرى الآن . الساعة تبلغ الحادية عشرة مساء . ليس في روحي إلا الله وأنت .

ولست أستطيع الرقاد قبلما أقول لك إنى لا أشعر أبدا بالتمام عند ما أكون مفترقا عنك . ما أسعدنى لوكنت الآن بين يديك ! سأذهب للرقاد على أسف دون مسرة أخرى غير تلك التى يمكن أن يمنحها لى ضميرى . حمدا لله على سلام الروح الذى يسودنى ؛ وعلى المدد الكريم الذى أمدنى به شخصك . إن طباعنا جبلت بحيث لا نكون إلا سعداء فى الغاية أو أشقياء للنهاية . انك تعطيننى كل المسرة التى تستطيع أن تعطيها امرأة أحبها وكل الهناءة التى يمكن أن تهبها رفيقة فاضلة فى نفس مليئة بها ، إن فى مقدورك إحالتى شقيا أشقى مما أستطيع أن أعبر لك لأنه فوق كل تعبير ووراء كل تصور . ولكننى أومن بحقيقة وقوة محبتنا وأؤمل ألا ينتهى إلا بانتهاء الحياة نفسها .

سآوى الآن الى فراشى ولا أدرى هل أنام ؟ واذا نمت هل أستيقظ ؟ قد تكون اليوم غفوة الموت . شكرا لله على نعمه الغابرة وإنى أسأله المزيد فليباركك الله أنت وولدنا العزيز . وإنى لك الزوج المحب المخلص » .

ولكن ثمت فرقا كبيرا أيضا بين عام ١٧٤٦ وعام ١٩٣١ وقد انحطت صلات الناس بعضهم ببعض ، واختفت أجلّ وجوه والشهامة والنبالة . فكيف يسلم من الشر أرق المشاعر وأشدّها تأثرا وهو الحب ؟ !

الجمال المصري

غدا يكون بيننا « المسيو دى واليف » على رأس وفد الصحافة اللاتينية التى تعقد مؤتمرها العاشر فى القاهرة فى ضيافة « الأهرام » .

وهذا يذكرنى بتلك الشخصية المحبوبة من جميع أهل الذوق لا فى فرنسا أو أوربا وحدها ، بل فى العالم كله . فالرجل حجة عالمية فى الجمال . آراؤه أحكام . وطوبى للتى يشهد لها « موريس دى واليف » . فهو منظم ومدير مسابقات الجمال التى تجرى فى باريس .

وكنت أقرأ جريدته « بارى — ميدى » بلذة وسرور . فهو صحفى متفنن قدير وستنوب عن هذه الجريدة عقيلته «مدام دى واليف» . فى حين أنه هو يمثل جريدة «الجورنال» الذائعة الصيت . فأنت ترى أن هولاء الناس يتعاونون فى داخل البيت وخارجه على السواء ، وأن للمرأة شخصيتها ، وأن هذا

يزيد المحبة بينهما ولا ينقصها ، وأن هذا التعاون الفكرى يزيد فى ثروة الرجل الأدبية وفى كبريائه ، لأن صاحب المرأة الممتازة النابهة هو غير صاحب المرأة الخاملة . وكذلك كم من امرأة تطفئ الذكاء فى عقل الرجل وتخمد الأمل فى قلبه .

ترى ... هل يتاح «للمسيو دى واليف» أن يشهد بطريق الصدفة لمحة من جمال المرأة المصرية ؟ ! هل يمكن أن يقدّر أنه توجد فى مصر فتيات من أجمل بنات الأرض ؟ !

فنحن لانشترك فى مسابقات الجمال بفتياتنا . ولسنا نأسف على ذلك الآن فان التقاليد ما زالت تحول دون ذلك . ولو أن مسابقة البيچامات فى كازينو سان استفانو هذا العام كانت بذلك نذيرا . وسيأتى يوم نرى فيه الفتاة المصرية تعرض وجهها النحيل الخمرى الجميل ، وعينيها السوداوين النجلاوين العميقتين اللتين تشعان بسحر هاروت وماروت ، وتطفئ كل جمال غربى الى جنب جمالها . ولكن نرجو ألا يدركنا هذا اليوم إلا وقد بلغنا من الكبر عتيا ! .

نهايته . إذا لم ير « المسيو دى واليف » قبسا من ذلك الجمال الشرقى العريق فليته لا يرى أيضا أولئك السائلات المقنعات المخيفات اللواتى يتعلقن بأهداب المارة فى شارع قصر النيل، ويضطهدن السائرين بشارع فؤاد الأول . وليته لا يشهد من شرفة شبرد جنازات تتبعها نساء حافيات الأقدام ، مخضبات بالنيلة الزرقاء، ربطن أعناقهن بالمناديل السوداء، يولولن ويملأن بعويلهن الفضاء، وهن يشققن الجيوب، ويلطمن الخدود .



العطلة المدرسية

يسألني تلميذ نجيب كيف يقضي عطلته المدرسية، وهو موفور الحظ من المال والراحة لا ينقصه شيء، وانما ينقصه ما يملأ عليه أيامه ولياليه . أي أنه في الواقع ينقصه كل شيء. فليس المال والراحة إلا في متناول ألوف الناس الذين مع ذلك يقتلهم الفراغ . والرجل الذي يعرف كيف يشغل كل لحظة من حياته، هو الرجل الذي لاتتسرب اليه الوساوس والهواجس .

بقي أن نعرف بماذا نشير على هذا الفتى المستيقظ الحريص على أن يشغل أجازته الصيفية بما يجعل لها قيمة .

أقول له إنني لما كنت في سنه كنت أسافر الى الريف، وأبقى ساعات برمتها في الغيط أتأمل تلك الأرض السوداء التي تنبت أزكى النباتات وألذ الفاكهة وأغنى المحاصيل . وكنت أحيانا كثيرة أمسك الفأس الثقيلة بيدي الصغيرة وأداعب الأرض أشق فؤاده كأنني أسألها مكنون سرها . وكنت أحب

ما حولى من تلك المواشى الوديعة الجميلة التى ترى فى عيونها الصفاء والسلام، من الجمل الى البقرة الى الخروف الى العنزة... وهى تحيي الدار عند خروجها وتحييها عند عودتها ، وتعرف طريقها دائما ولا تخطئ أبدا ، وتعرف أهل الدار والمنوط بخدمتها، وهم يعرفون مكرها ودهاءها اذا تمارضت أو تكاسلت.

وكنت احب أن أجلس الى النيل ساعات . أراه أحيانا يغضب فيأكل الأرض التى لم يخلق الله أخصب منها ويلتهم خيرها وبركتها . وأحيانا يرضى فيحمل اليها ثروتها من الطمى والخصب فلا تزداد كل يوم إلا قوة كأن شبابها خالد يتجدد أبدا .

وكنت أحب أن أجلس لأستمع الى القرآن الكريم يرتله شيخ رخيم الصوت غالبا كفيف البصر. فتفتح لى تلك القراءة عوالم مجهولة من الخير والبر والصلاح والتقوى ، وأرى الجنة والنار جنبا الى جنب أحدهما تجرى من تحتها الأنهار والأخرى تتلظى سعيرا أعدت للآثمين !...

وكنت أحب المرأة الفلاحة، وهى عضد زوجها وساعده الأيمن، تعرف دخله وخرجه، وتحفظ له مكسبه، وتوجه أعماله

ما طاب لها . فهى سيدته من جانب وهى خادمته من جانب آخر . جبارة احيانا ومطيعة أحيانا .

وكنت لا أتلهف من القاهرة إلا على الجريدة أقرؤها ، فاذا فات القطار ولم يحضرها الخادم أو لم أعثر عليها شعرت بنكد طول يومى . و وضعت همى فى الكتب التى أجدها وهى كتب الأزهر لأنك لا تجد فى بيوت الفلاحين «أناتول فرانس» أو «فولتير» .

والى هذا كله كنت أحمل البندقية أحيانا وأطلقها فى الحقل على هدف كنت قلما أصيبه ! ... وكان قلبى يخفق لمرور قطار العصر الراحل الى القاهرة . وكنت كلما شعرت بحنين الى العاصمة ألقيت فى النيل بعض (النكلات والقروش التعريفة) سلاما على مصر ! ... فيغوص الأولاد وراءها يجدون فى العثور عليها .

والآن وقد حرمتنا الأيام عيشة السذاجة والفطرة لا يسعنا إلا أن نشيد بها فهى عهد الصفاء الخالص . وطوبى لمن يحب الفلاحة و يعيش ويموت فلاحا بعيدا عن المدنية ! ...

الفنون والجنون

يقولون إن الجنون فنون، فهل الفنون جنون ؟! هذا هو السؤال الذى كثيرا ما يتبادر الى الذهن عند ما يرى الإنسان بعض الفنانين يلبسون زى اللباس زهدا وتقشفا. وفى أحوال كثيرة لا يكون الفقر حائلا دونهم ودون الهندام اللائق. فقد عرفنا «مارى باشكر ستيف» الفنانة الروسية المشهورة تسير فى باريس، وإن كان لا ينقصها المال ولا الجمال، فى قميص الفنانين الأسود تربط زناره حول عنقها وتخب فى أكمامه.

وأمامنا الآن حياة فنان مشهور كان يضن بلوحاته أن تباع ولو مات جوعا، هو «هارولد فاراوى» مصور البحر الذى صوّر الموج، وصوّر الزبد، وصوّر النوء، وصوّر الخضم الفائر، وصوّر البحر فى روحه لا فى شكله. فهو لم يرسم الأمواج ولكن رسم سرها. كذلك يفعل الفنان النابغ. كذلك يفعل الموسيقى العظيم الذى يوقع على البيانو لا النوتة الموضوعة أمامه، ولكن ماوراءها

من نداء أو بكاء . فإذا جلس الموسيقار يضرب ألحانا تمثل ، فى نظر المؤلف، هياج البحر، فانه يسمعك هياج نفسه هو قبل هياج البحر . فاذا لم يكن ثائرا بطبعه، أو اذا لم يكن محبا لفنه حبا يملك كل حواسه و يجعله يتقمص فى روح البحر نفسه وفى سر أمواجه وهياجه فإن الأنغام تصدر فاترة كأنها رذاذ المطر .

وهكذا كانت لوحات «فاراوى» الثلاث عن البحر من أروع ما تراه العيون . يقف أمامها الناقد ذاهلا إذا يشعر أنه بازاء قوة خارقة، بازاء شيء ليس من هذا العالم، يقف بازائها شاعرا بالخوف والرهبة والوجل كأنه أمام سر هائل محظور على البشر . ثم يتبع ذلك شعور مثير غامض كأنه عقيب مخدر قوى، فاذا ما وجب التخلص — آخر الأمر — من هذا الإعجاب المضنى ومغادرة هذه العجائب المصوّرة بالألوان الزرقاء الخضراء ليعود المرء فيستأنف تكاليف الحياة، يشعر بما لا حد له من الكآبة الخرساء .

ومع ذلك فإن هــذا الفنان قد رضخ لبيع لوحاته الثـلاث النابغة عن البحر أمام عرض باهظ من أمريكى ثرى هاو عمل ما لا يعمــل للحصول عليها . وما أن سفرت لوحاته حتى راح

فريسة للهم والغم . ولم يره أحد أياما طوالا . سجن نفسه في غرفته لا يزور ولا يزار كأنه في حداد يأبى العزاء .

ثم جاء نبأ مؤلم عن غرق الباخرة «الباتروس» التي تحمل اللوحات ، حمله له أحد أصدقائه فلم يكد يصيبه من الحزن إلا ظل شاحب ، وهمس كأنه يناجي نفسه : إن آلهة البحر قد استردت سرها لأنها لم ترد فضيحته على الجهال ! فهو عند ما كان يلاحظ البحر ويدرسه ليصوره قد كشف عن بعض خفاياه ، وتعود على طبعه وسروره وغضبه ، وأحبه وراح فغاص في أعماق الأمواج ولم يقنع بالطفو على سطحها . فهو طالب حقيقة . وهذه هي وظيفة الفنان المصور والموسيقي والكاتب الشاعر . وقد أدرك « فاراوى » القوة الهائلة تحت اللجة ، وفاجأ الارادة الكامنة في الموجة ، وعرف الناس القاطنين في الأمواه ، وسمع وفهم أصوات الشجي والحنان التي تجاوب بها شواطئ البحر وحناياه ، وأصغى وأحب غناء بنات البحر وجنيات البحر ، وهيمن على روحه رب هذا كله ، رب الأرض والسماء جميعا ، فراح يجثو خاشعا

على الشاطئ تكاد عيناه من نور الله تعشى . وعكس فى تصويره الأمواج لمحة من هذا النور الربانى ، أو لمحة من ظل النور ، كاللحات التى نراها ونسمعها فى أنغام «شوبان» . فكيف يحزن إذاً إذ استردت جنيات البحر سرها الغالى ؟ ! وكيف يبكى لوحاته الأرضية وقد اجتذبتها القوة التى أوحتها ؟ !

ولكن ! ... هذا الاستدراك الأبدى ، الأليم غالبا ، ولكن البحر لفظ صندوقا من الصناديق المغرقة وجدوا فى خباياه اللوحات الثلاث لم تمس بأذى .

أما مصورنا الفنان فلم يتقبل هذا النبأ السار بارتياح بل وجم له فى قنوط غريب ، وراح يكتب هذه السطور الأخيرة قبلما ينتحر : «زعمونى مخبولا . وقد أصابوا فقد كنت مجنونا إذ زعمت أن رجلا فانيا مثلى يمكن أن يصور لمحة من النور الأعلى ، ولو أن عملى كان كاملا لاحتفظ به صاحب السر الأسمى ، ولكنه رده الى ، ولست أستطيع العيش بعد هذا الازدراء ... ! » .

كم قارئا سيفهم هذا ويحبوه ! ؟ قليلون جدا ... ولكننى أكتب أحيانا لشخص واحد ! .

الموسيقى

حضرت منذ يومين الحفلة الساهرة التى أقامها المعهد الملكى للموسيقى العربية . حقا ان الموسيقى نعمة من نعم الوجود . كيف يمكن أن يوجد فى هذه الدنيا أشرار، ظلمة، جبابرة، قساة، أنذال، جبناء، وفى الدنيا موسيقى ؟ !

عند ما كان السيد المهدى أو كان السنباطى يوقع على العود تساءلت أى فؤاد يخفق فى هذا العود، أى سر فيه وأى حنان ! ؟ انه يزيل وحشية الضارى ! . ان فى العود سلاما حارا لو عرفه «شكسبير» لذكره فى روايته «تهذيب الشريرة» . ان فى صدر العود قلب رجل، رجل يعانى و يألم ويحب ألمه و يراه جزأ من الرجولة و يعدّ العذاب قطعة من الحياة لا تنفصل عنها .

وعند ما وقع الأستاذ مصطفى رضا بك رئيس المعهد ع « القانون » دب فى النفوس أمل خفى . و بدت الحياة غ

غنى طائلا تستحق البحث فى جوانبها عن أسرار جديدة، كان التوقيع الفنى على أداة غنية، كفيلا بأن يغنى الشعور، أحسسنا لذة فى التمنى والرجاء من جديد . شعرنا بأن الأمل ليس بعيدا عن اليأس، وما دام هناك أمل فكيف نيأس ؟!

ونفخ عزيز صادق «بالناى» . هنيئا له هذا النبوغ، انه متواضع خجول كالناى ، الناى فيه حياء غريب ولكنه حياء فاتن، ان شكواه فى وحدته ، فى وحشته ، ذات لوعة مرة تضنى النفوس . ذكرتنى بجبران خليل جبران الذى قال :

هات لى الناى وغن فالغنا خير الصلاه
وأنين الناى يبقى بعد ما تفنى الحياه

نعم ان أنينه غريب ، أنين يحمل الإنسانية كلها معه على الأنين، أنين تتجاوب به أجواز الفضاء ولو كان همسا .

ومع ذلك فليس الناى كله حزنا . ان فيه فرحا ومرحا ، ان فيه الى جنب قلب الشيخ قلب الطفل . ان فيه هتافا بالحياة، هتافا نبيلا ليس جهيرا مبتذلا ، بل مكتما متغلغلا يدخل حنايا القلوب ويسكن فى الضلوع ! .

جزى الله المعهد الملكى للوسيق العربيـة خيرا . انه أنقذ كرامتنا الفنية من جوانب كثيرة ولو أنه أبعد « الكمنجة » عن التخت العربى واستعاض عنها بالرباب لأحسن صنعا لأن الموسيق تكره التنافر بين الذوق العربى والغربى . والموسيق الصادقة تنكر توقيع الأغانى الشرقية على الأداة الافرنجية .

يستطيع الناس أن يجدوا عزاء وهناء فى الموسيق . لأن الموسيق وحدها عالم قائم بنفسه ، معتد بنفسه ، يسخر من هذا العالم .



اجتماعيات

المساواة

رأيت فى سينما ريجال لما كنت فى لندن رواية «ابن الآلهة» وهو فتى صينى طائل الغنى واسع المعرفة، مهذب ظريف يقود السيارة ويلعب الجولف . وقد لقى من تناقض الوسط الذى حوله فى نيو يورك وشدّة تعصبه ضد الشعوب الملوّنة ما حمله على هجر أمريكا الى أوربا . وهناك فى إحدى بلاد فرنسا الجميلة التى يقصدها السياح، التقى بفتاة أمريكية متأنقة بصحبة أبيها . فيتحابان ويخفى عنها أنه صينى، وليس فى مظهره أو مخبره ما ينم عن شعب ابن السماء ، الى درجة أنها تهيم به وتجن حبا وتبوح له ؛ فيؤمن لها على الحب وتصير خطيبته . فيضجر أبوها الرجعى ويعنفها ويوقفها على حقيقة جنسه قائلا لها : أما كفاك تعلقا بهذا الصينى ! وعندئذ تجرى كالمجنونة الى (الكازينو) وهو حافل بعلية القوم وأغنيائهم وخطيبها الى مائدة فى انتظارها وكان فى يدها سوطها الذى تقود به

حصانها فتنزل به على وجه ذلك الغنى الصينى الكريم . واحد! اثنان! ثلاثة! أربعة! خمسة! ستة! سبعة! ...

لقد عددتها والسوط يصفر فى آذاننا وهو يمزق وجهه من اليمين واليسار ووجنتاه تتضحان بالدماء وهى تصيح فيه : « أيها النذل! أيها الجبان! أيها الصينى الخسيس! . »

فسافر لساعته وعاد الى بلاده يخفى عاره وانكساره فى صدر أبيه المحتضر . أما هى فلم تلبث أن أخذتها اللوعة وجنت من وحشة الفراق ، وندامة الجرم الفظيع نحو رجل لا ذنب له ؛ فتنصرف الى الخمر تحسوها فيزداد بها الشجن والحنين حتى تصبح شبحا . ويذهب بها أبوها الى نيويورك يتوسل الى صاحبنا «ابن الآلهة» أن يقف الى جانب فراشها وهى فى غيبوبة الخطر، فقد كانت تلك هى آخر وسيلة لجأ اليها الطب لإنقاذها ، ففعل . وكان نبيلا . وتعرف هى بعد إبلالها أنه هو الذى أنقذها . فتأتى تترامى على قدميه، وتطلب الصفح عن كفرانها بالحب والحق ، وتقول : «مالى و لجنسك؟ أنت هو أنت يا حبيبى!» فيغفر .

أما أنا الشرقى الجالس فى مقعدى محزونا فما غفرت له غفرانه لأننى عند ما انهالت على وجهه تلك الضربات الممزقة من سوط الفتاة شعرت بأنها على وجه الشرق كله .

واليوم تدور الدائرة ويبدأ العدل يقيم ميزانه . فقد أدخل نائب السنغال وهو زنجى فى الوزارة الفرنسية . فيا له من درس جميل فى المساواة تضربه فرنسا لأوربا وأمريكا، والنفور من الشعوب الملونة ما زال فى كل مكان .

وهذا الحادث التاريخى الذى لم يسبق له مثيل قد أتاه رئيس الوزارة الجديدة «المسيو لافال» ، وهو فى السابعة والأربعين من عمره، وهو ابن جزار، رأى أباه منذ نعومة أظفاره يضرب (بالساطور) والسكين ويقطع فعمل مثله فى السياسة . وبينا الزنوج حتى اليوم يشنقون فى أشجار الغابات بأمريكا ويجرون بالحبال وراء الخيول الجامحة ويمثل بهم بأكثر من ذلك . يجىء ابن الجزار ويشرك الزنجى معه فى حكم جمهورية فرنسا والملايين التابعة لها .

فلتهنأ الشعوب الشرقية والأجناس الملونة بهذا التقدير من الدولة التى حررت بثورتها أكثر العالم من قيوده السياسية والاجتماعية ، وهو مثل رائع وخطوة كبرى فى المساواة بين الناس .



زواج الطلبة بالأجنبيات

حســنة لمعالى وزير المعارف يجزى عليهـا الجزاء الأوفى بقدر ما تأخر الى اليوم تحقيقها، وهى تحريم الزواج على أعضاء البعثات العلمية فى الخارج .

فهذا درس جديد يعطيه الوزير لأبنائه الطلبة . وهو يريد به أكثر من تجنب المشاكل القضائيــة التى تنتج للوزارة عن مثل ذلك ، أن يقول لهم أنهم انمـا أرسلوا للعلم أولا وخدمة بلادهم فاذا ما حصنوا أنفسهم بما سافروا من أجله فهم أحرار.

ولم أشهد تخبطا فى الزواج بالأجنبيات مثـل تخبط الطلبة المصريين فى أوروبا . فان الطلبة يتزوجون غالبا بنساء لسن فى العير ولا فى النفير بل هن نفاية النســاء . خذ مثلا : أمة كالأمة الفرنسية ، شديدة الحرص على تقاليدها، وأستطيع أن أقول صراحة إنها شديدة الكراهية للأجنب إطلاقا . فكيف يتيسر لطالب مصرى أن يختلط بأسرة كريمة حقا إلا فيما ندر ؟!

إذًا فطالبنا يتزوّج من فتاة (على فرعها) ... جريئة مغامرة من ذلك الجنس الذى يقبض على الرجل فلا يفلته لاحيا ولا ميتا !

كنا يوما فى الحى اللاتينى فى باريس نتحدث فى ظـلال « البـانتيون » مقر العظماء الراحلين، فأقبـل علينا فتى مصرى فى الثانية والعشرين من عمره، جميل الطلعة وجيه البزة، وكانت هذه هى المرة الأولى التى رأيناه فيها، فقدّموه الينا باسمه، وقدّموا فتاة تصحبه باسمه أيضا لأنها « مدامته » بالميم لا بالنون ! ...

حقا انى وأصحابى دهشنا . لأنه يصعب على الإنسان أن يتصوّر كيف اختار هذا الفتى زوجته : بل كيف فكر هذا الصغير فى الزواج . ! لأنها فى نظرى آخر فتاة يجوز للإنسان أن يكلمها فكيف يتزوّجها ! قصيرة حتى لتكاد إذا خاطبتها تشرف عليها، ضئيلة حتى لاتكاد تتبينها، ليس فى لبسها ذوق ولا أناقة . وهذا فى باريس فضيحة، لأن باريس تربى الذوق وتمنحه الذين حرموه .

تكلمتْ... ! انها تجر كلامها جرا كأنه عربة نقل خاوية ! . ليس فى صوتها نعومة أو حنان . وماذا قالت ؟ شيئا تافها أتفه من ورقة الترام التى تبقى فى جيبك بعد النزول ! ...

وآخر من يجوز له الزواج هم الطلبة الذين لم يضعوا بعد حجرا واحدا فى مستقبلهم وحياتهم المادية . هؤلاء الذين يدرسون فى انتظار ما يأتيهم به الغد . فأما أن يربطوا حياة خلائق أخرى بحياتهم ، خلائق قلما تأتلف مع الوسط الذى نعيش فيه، فأقل ما يوصف به هذا التصرف من جانبهم أنه تسرع وطيش .

فالحد الذى يضعه اليوم وزير المعارف ضرورى جدا ليقف مبعوثى الحكومة المصرية عند حدهم اذا تركوا حبل أنفسهم فى الهوى على غاربه . وعند ما يخرجون الى ميدان الحياة سيكون لديهم الوقت والعقل والمال للاختيار . أما قبل ذلك فهذا كله ينقصهم .

غرام التلميذ

تلميذ فى المدارس الثانوية أحب تلميذة تدله فى حبها، فزجره أبوه فلم يزدجر، فأبى أن يدفع له مصاريف المدرسة فرفت . وفى تلك الأثناء نالت التلميذة شهادة كفاءة المعلمات فقطعت صلتها به وصرمت عهوده وهى التى كتبت له يوما على صورتها : « وسواك فى خاطرى لا يخطر » .

والآن تسألنى رأيى ؟ أقول لك صراحة يا بنى : إن أباك قد أصاب بالتخلى عنك، وإن حبيبتك قد أزكت رأى أبيك فيك بهجرها إياك .

ففى الوقت الذى مازلت فيه غير قادر على كسب (نكلة) وأبوك يصرف عليك من عرق جبينه ويكد ليطعمك ويكسوك ويعلمك ويسعدك، أخذت أنت نفسك بالعبث والغزل وأغريت قلبك بحب بنت لم تطلع ولم تنزل، وجعلت تهمل حفظ دروسك لتدبج لها الرسائل الغرامية، وتستشير فى ذلك « ماجدولين »

وتخيل نفسك «استيفن» تارة وتارة «روميو» ! . وطفقت تتأخر في الصباح عن مدرستك لتوصلها الى مدرستها، وتخف عصرا اليها لتودعها في إيابها . وجعلت تطلب بنفسك لنفسك تباريح الهوى والجوى والضنى. وكان السالب والموجب من كهرباء هذا الحب منك وفيك وحدك ! .

لقد كانت عابثة بك . وأكلت (الشوكولاته) التي حرمت نفسك مصروفك اليومي لتشتريها لها وهي ساخرة بهديتك الضئيلة . ولعلك تطفلت كثيرا من وراء أبيك على السيدة والدتك لتجمع لها القروش لتشترى زجاجة عطر ... ولو « ماء القسيس» بسبعة قروش، وتذهب بها مرة في الحين بعد الحين الى (سينما أوليمبيا) أو (المنظر الجميل)! كل هذا لأنها تنظر اليك يابني وتخفض من بصرها كأنها الخجول من نظراتك . أو لأنها ترد على رسائلك بأحسن منها .

أجل ! . إنى هكذا أتخيل هــذا الحب العظيم الذى تريد أن توهمني به في رسالتك . وليس أدل على أن هذا الحب كان عبثا كله من أنه شاع وذاع وملأ الأسماع حتى عرفه أبوك

...

ثم فُصلت من المدرسة بسببه، ولست تعرف الآن يا بنى وأنت فى سن العشرين ما كلف ذاك أباك وأمك من الحزن والأسى، لأنك الآن كما يقول « الفونس دوديه » فى السن التى تلمع فيها العيون ولا ترى شيئا . ولكنك ستدرك ذلك كله حتما يوما ما .

والآن أرأيت كيف نجحت البنت حيث فشلت ، وكيف وقفت هى حيث أخفقت، ووصلت الى شهادتها وأنت يابطل الغرام فى أول الطريق وقفت وتخلفت .

نالت كفاءة المعلمات ، بعـد ما نلت كفاءة الغراميات ، ولم تعد تجدك كفئا لها ! ؟

كيف تدهش لخيانتها، ومتى كانت صادقة ؟ ! إنها الآن قد آرتفعت قليلا بتلك الشهادة الصغيرة وصارت لها مطالب أكثر وحاجات أوفر، وفرص أسنح، وأنت اليوم صفر اليدين من كل شىء حتى من كرامة التلمذة وطلب العلم ! . وهى لهذا آنصرفت عنك الى سواك . وإنا لنأسف على ما أصابك، وهذا درس نضربه لتلك الناشئة المتطلعة الى حياة موفورة حتى يشغلوا بمـا هو أنفع لهم وأجدى عليهم ويترفعوا عن الجرى وراء الطائشات العابثات .

الطيش

نسمع من الشيوخ والعجائز، نحن الذين ما زلنا ننتسب الى الشباب، إن حقا وإن باطلا، أن بعض العمد وأغنياء الريف فى الزمن الغابر عند ما كانوا يقدمون الى القاهرة تبهرهم الكهرباء والترام وحنفيات الماء؛ وتبهرهم أولئك المغنيات اللواتى كن فى الالدرادو والهمبرا وحوالى دار التمثيل العربى ... أولئك المغنيات الراقصات السمينات سمنة فاحشة لا يمكن أن يتم معها رقص ولا غناء بالمعنى الذى نفهمه الآن ونتذوقه .

ونسمع عما كان يأتيه بعض هؤلاء العمد الريفيين الأغنياء الساذجين من ضروب التهور وشرب الخمر والإسراف ... فعند كل لفتة أو إشارة تفتح زجاجة شمبانيا، هى شمبانيا بالاسم فقط، لأنه لا المغنية ولا العمدة يعرفان ما الشمبانيا ولا ما طعمها . ويملئون للمرأة السمينة وهى على المسرح الحقير المزين بالبطيخ الزجاجى الأحمر والأصفر والنجف والشموع والبيارق ،

ملأون لهـا كأسا وتعود الزجاجة كما هي بعد أن تبل شـفتيها
ن تلك الكأس وتحني له رأسها إحناء خفيفا جدا ... ...



(ياسيدى !) وفى الزجاجة الثانية تحنيها له أكثر وفى الثالثة تصحب التحية بابتسامة تنفرج فيها شفتاها عن أسنان صفراء قذرة كأسنان البقر .

ويعرض غالبا لذلك الساذج مزاحم أشد منه سذاجة وأكثر مالا ، فيرسل اليها بدل الزجاجة ثلاثا أو ستا دفعة واحدة تذوق من واحدة منها كأسا كالعادة وترد الباقى ... (ويصفق المطيّب : يعيش الجدع !) .

بل قد حدث ، وهذا آخر وأروع ما روته لنا شيوخنا وعجائزنا الذين كانوا خيرا وبركة ، أن أحد العمد كان معه مبلغ كبير فأراد أن يضرب الرقم القياسى فى زجاجات الكونياك فأمر فعملوا للمغنية الراقصة سلما من صناديقها الخشبية نزلت عليها حتى وصلت الى منضدته فجاست معه بين تصفيق الحمق والمعجبين والساخرين ... ودفع حضرته ، أو ضرب وسقوه الى القسم .

نسمع هذا كله فنعجب ونراه ضربا من ضروب السذاجة القروية ، ونوعا من التذمر من حياة الريف والشعور بالرغبة

فى الانطلاق عند الوصول الى المدينة . ونحمد الله على أن الأيام قد دارت دورتها وجاء عسر بعد يسر نبه الناس الى نواحى من الخير واللهو أسعد من تلك الناحية التى لم يكن فيها من اللهو والخير شيء .

ولكن تصوروا أنه ما زال بيننا أولاد أغنياء يرثون أموالا طائلة فيضيعونها بين يوم وليلة ، وتصوّروا أن هؤلاء الشبان الأغنياء متعلمون نجباء ، فليسوا من أولئك السذج الريفيين فى الزمن الخالى، وتصوّروا أنهم يرهنون من أجل ممثلة أجنبية أو عجفاء غربية كذا مائة فدان بكذا ألف جنيه، أو يستدينون كذا وكذا بربح كذا فى المئة !

ان جميع أهل القاهرة اليوم يعرفون هذه الحكايات ويضحكون على أصحابها الذين ستوقظهم من غفلتهم الحاجة والبؤس، وسيصبح خدمهم أسيادهم، فليسوا بأفضل من فلاحى الأمس فى الحمبرا والألدرادو ، والتاريخ يعيد نفسه دائما بشكل آخر !

كرامة العامل

منذ نحو ثمانية أشهر كنت أقص شعرى فى (صالون) بشارع فؤاد الأول، ولم يكن قد مضى على عودتى من أوربا شهران. وكنت ما زلت مثقلا بما رأيته من رفاهية يرتع فيها العامل الانجليزى. وكنت وأنا جالس مستسلم الى حلاقة الشعر المملة، التى هى أثقل على القلب من السير فى جنازة رجل بخيل. تتوالى أمام ناظرى تلك الصور البهيجة لحياة العامل الانجليزى فى ضواحى لندن، وأقول فى نفسى وأنا أفكر فى العامل المصرى: هيهات! ...

واذا الشاب الذى يحلق للزبون الذى الى جانبى غاضب، لأن الزبون كان يكلمه فرد عليه طبعا، ولكن صاحب المحل جاء فهمس فى أذن عامله كلمة عدها هذا العامل تعنيفا فى غير محله وثار عليه. ولم أشهد مطلقا مثل هذه الثورة إلا فى باريس حيث الطبع الفوار الجامح يشبه الطبع المصرى من كل الوجوه؛

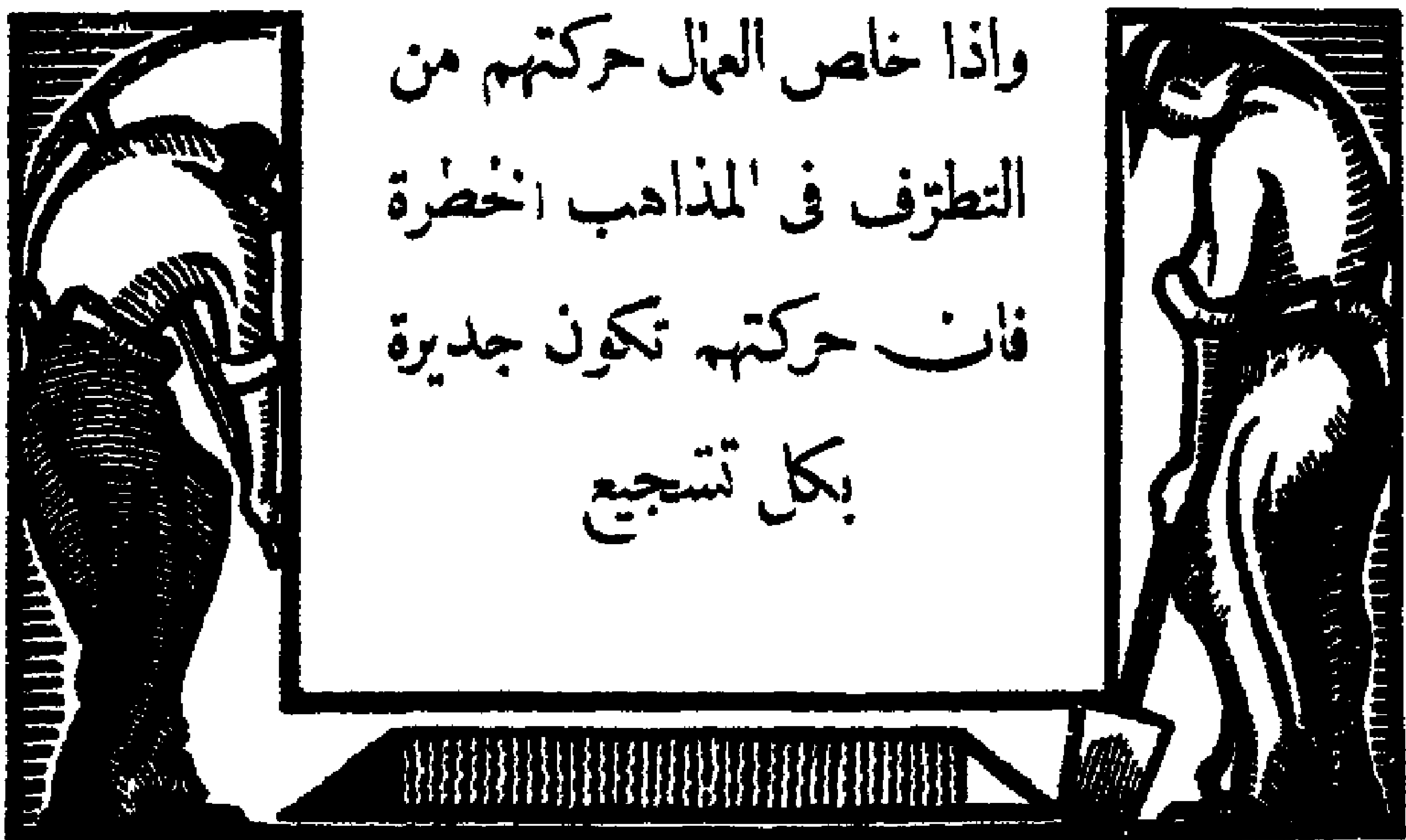
وحيث آراء الاشتراكيـة والمساواة تملأ النفوس . وكانت لغة ذلك العامل المصرى سليمة الى حدّ موجب للدّهشـة ، وكان منطقه رائعا كما لو كان قانونيا بارعا ،وكان قوىّ الاعتزاز بالذات يأبى على صاحب المحل التـدخل بينه وبين الزبون ، وأنه إذا خوطب له حق الردّ ، وأنه ليس بالحيوان الأعجم . ولم يذكر فى هذا كله كلمة جارحة ،ومع ذلك كانت كلماته كأنها السياط .

وعندئذ شـعرت بأننى انتقلت الى المستقبل عشرين عاما فى غمضة عين، فباركت الساعة التى حضرت فيهـا للحلاقة ... وبعـد ذلك جاءنى يوما ذلك العامل نفســه مع زميل له طلبا لكلمات تشجيع لنهضتهم المباركة . وكتبت لهم كلمة . ولم أذكر له هذا الحديث لأننى كنت أدّخره لأذكره يوما لقرّاء (الأهرام). وإننى أذكره لأننى رأيت صورة ذلك العامل الكريم أمس فى الأهرام ، فهو « أحمـد المصرى » وكيل الهيئـة التنفيذية لحزب العمال المصرى .

فالعامل المصرى قد بدأ يتنبه للوجود ، وقد ارتفع ميزان كرامته، وقد جعل يعتدّ بنفسه ومهنته مهما كانت — فان كل

عمل شريف — وقد أخذ يضع قدمه بثبات على الأرض موقنا بأن له الحق فى ذلك ، وأنه عندما يطالب بتحسين حاله ورعاية الدولة لحقوقه ليس مبالغا وإنما هو فى دائرة المعقول ، وهو أيضا قد تنبه الى أنه لا يجوز أن يكون آلة فى يد الحكومة أو على الحكومة ، وعندما تصبح تلك عقيدة عنده ويأبى أن يستغل باليمين والشمال لأهواء السياسة سيصل الى ما يطمح إليه من احترام جميع طبقات البلاد .

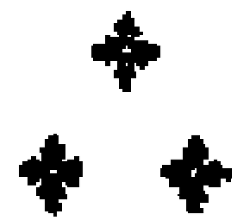
وكل ما نطمع فيه ونتمناه أن يفصل العمال عن السياسة ، فيكون لكل عامل الحق فى اعتناق ما يشاؤه من المذاهب السياسية ، ولكن ليحرص على أن يكون عاملا قبل كل شيء . وسوف تستغل حركة العمال ، ككل حركة نافعة ، من أناس نفعيين .



لا إســـــراف !

« الســـلام عليكم ورحمة الله . وبعد : أريد سرد حكايتى عليك ولكنها طويلة ، وتتلخص فى أنى من عائلة شريفة معروفة ، ولكننى متزوجة من منذ اثنى عشر عاما وتعبى جدّا مع قرينى ، وأريد التخلص منـه بأى كيفية مع أننى ولدت له فتى سنه عشر سنوات ... ومات منى ولد آخر ، وعنــدى فتاة فى نحو الخامسة من عمرها . فما رأيكم يا نصير الفتيات والســيدات التعسات ؟ هل أشكو الى الله أمرى أم اليكم تنشرونه فى الأهرام ولكم منى مزيد الشكر .

مع هذا إذن بوستة بعشرين قرشا للنكوب الشيخ الهانى والد شهيد المروءة أحمد عبد الســلام وهذا الريال من مصروفى الخاص ادّخرته هو وآخر للتعوسين والمعوزين لأنى شاعرة بمرارة فى حياتى فما بال الفقراء ! » . سيدة



أما شكواك يا سيدتى الينا فنحن نتقبلها لأن وظيفتنا هى أن نأسو الجراح ونضطهد القتاة .

ولكن رجاء اليك أن تكونى منصفة صادقة ، فلا تحملى زوجك الأوزار كلها . اعرفى أيضا عيوبك وراجعى بدقة وذمة وأمانة

تاريخ الشقاق وأسبابه ، وهل بدأ من جانبك أو جانبه، وهل لم تكن هناك وسيلة لتلافيه .

إن كلمة الفراق ياسيدتى،التى ترادفها عندنا كلمة الطلاق، هى كلمة بشعة فظيعة جدا . تهتز من هولها الأرض والسماء . إن الأم عند ما تخرج من بيتها ومعها أولادها أوليسوا معها هو يوم تلبس فيه الانسانية ثوب الحداد . فلا تستهينى يا سيدتى به ، وصبرا جميلا ،واذكرى دائما أن الدنيا لم تعودنا الصفاء. وأنها اذا منحتنا من دهرنا ساعة سعادة حرمتنا إياها بعد ذلك الليالى والأيام...

وما أسهل يا سيدتى ما يعمل الإنسان على تكوين حزنه وألمه وسآمته وضجره! ما أسهل ما نتصور المرأة خيانة زوجها اذا غاب عن موعده مثلا ! فقد أوتيت المرأة خيالا قويا تتوالى عليه اللوحات السريعة سرعة المناظر السينمائية؛ والمرأة الحريصة على سعادتها لا تستسلم الى الخيال، ولا تجعل من الحبة قبة، وتكون دائما هى المرأة الحنون، تنظر الى الرجل على أنه مخلوق ضعيف فى حاجة دائما الى العطف والصفح والحب ، فلا تدخر فى ذلك عطفا أو صفحا أو حبا .

ويوجد يا سيدتى فى كل رجل الطفل وفى كل امرأة الأم. ونحن الرجال بحاجة أحيانا الى من يدللنا ومن يمسح رؤوسنا بأصابع الحنان، ومن هو أولى من الزوجة بهذا! وهى التى تتسلم الرجل من أمه وتتولى بعدها تدليله ومعاشرته .

ان الشقاء يتطاير ياسيدتى فى كل مكان ، ومن كل نظرة، ومن كل كلمة . فتجنبي ياسيدتى المكان الذى تسمعين فيه قيل وقال ، وتجنبي ياسيدتى النظرات الخائنة من النساء والرجال، واعلمى أنه لا يوجد فى الدنيا أشرف من أن نبدد السآمة والحزن عن نفوس من نحبهم، وليس فى الدنيا أنبل من تقديس البيت والحرص على أن تكون الأسرة كالعروة الوثقى التى لا انفصام لها .

والآن تكلمى ياسيدتى . وفى هذا الجو الذى حاولت أن أحيطك به أرجو أن تتفضلى اذا شئت ببث شكواك .

فى الحيـــاة الزوجيـــة

« لا أعرف قط أنه نشأ بينى وبين زوجى خلاف جدى ، وأعرف أنه لا تناقض فى المزاج بينى وبينه يصح أن يكون سببا فى الخلاف ، وكل الظواهر تدل على أننا نبقى ما يكون أحدنا للآخر .

هذه هى وقائع المسألة : فقد مضت سنوات عديدة ، بذلك قد وصلنا الى النقطة التى يتحول فيها الحب المشتعل ، دون أن نشعر ، الى حب هادىء عميق ؛ ذلك الحب الذى يتولد عن اشتراكنا فى السراء والضراء ، وعن اطلاع كل منا على نفسية الآخر .

ومن المحقق أن هذا التغيير الأساسى فى طبيعة الحب بين الزوجين يحدث بالتـــدريج وببطء ، وبدون أن يحاول أحدهما المحافظة على ظواهر الحب التى كانت بادية فى أوائل حياتهما الزوجية .

ولكن زوجى المحترم لا يطيق أن يحتمل بهدوء أى تفكير فى هذا التغيـــير لامناص منه ، فهو يجاهد فى ابقاء « الرواية » التى لا بد من انتهائها ؛ بل يريد أن يحل مكانها رواية حب أقوى من الأول ، وهو قوى الرغبة أن يدمج حبيبته فى زوجتـــه .

والواقع انه يريد أن يحس فترة الغزل والحب ممتدة طول الحياة الزوجية ،

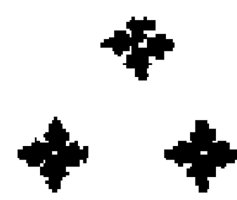
وما تملك من نتيجة إلا أنه كدر صفاء سعادته وسعادتى . إنه لا يزال يحبنى بالمعنى الأولى من الحب ، وأنا من جهة أخرى لم أعد أشعر بنيران الحب متأججة بين ضلوعى ، ولو أنه لا يزال حائزا لكل ما يحوزه الزوج فى قلب زوجته ، ولذلك أرفض رغبته وأرفض أن يستمر على البقاء فى مركز المحب أو العاشق لى ، فقد جئنا من دور عاشقين إلى دور زوجين .

ولى أن أقول ، ويوافقنى كثيرون : إن سعادة إظهار الحب – بطبيعتها – لا يمكن أن تدوم إلا زمنا معينا ، وإن محاولة اطالة هذا الزمن ليس من ورائه إلا إحراق القلب بغير ضرورة

من هذا تراه مندفعين إلى الصخور التى تحطم عليها سفن الزوجية لأسباب على ما يلوح لأول وهلة ، غير مقبولة شكلا وموضوعا .

فما رأيك أنت يا قاضى ... ؟ زوجة

من خريجات المعلمات السنية



رأى القاضى يا سيدتى يقضى بأنك لا تحبين زوجك كفاء حبه . وكنت أتمنى أن يكون الحال على عكس ما هو بينك وبينه ، أى أن تكونى أنت لا العاشقة المفتونة المتهوّرة ، ولكن الزوجة المحبة الحنون التى تجدّد كل يوم ضروبا من الود

وألوانا من العطف، لأن هذه هى وظيفة المرأة، ذلك المخلوق النورانى، الرقيق الإحساس، الحاد الشعور، الذى ما وجد على هذه الأرض إلا رحمة بنا، ليزيل ما بنفوسنا من كآبة الأيام، ومرارة العيش، ويملأ علينا فراغ الحياة ...

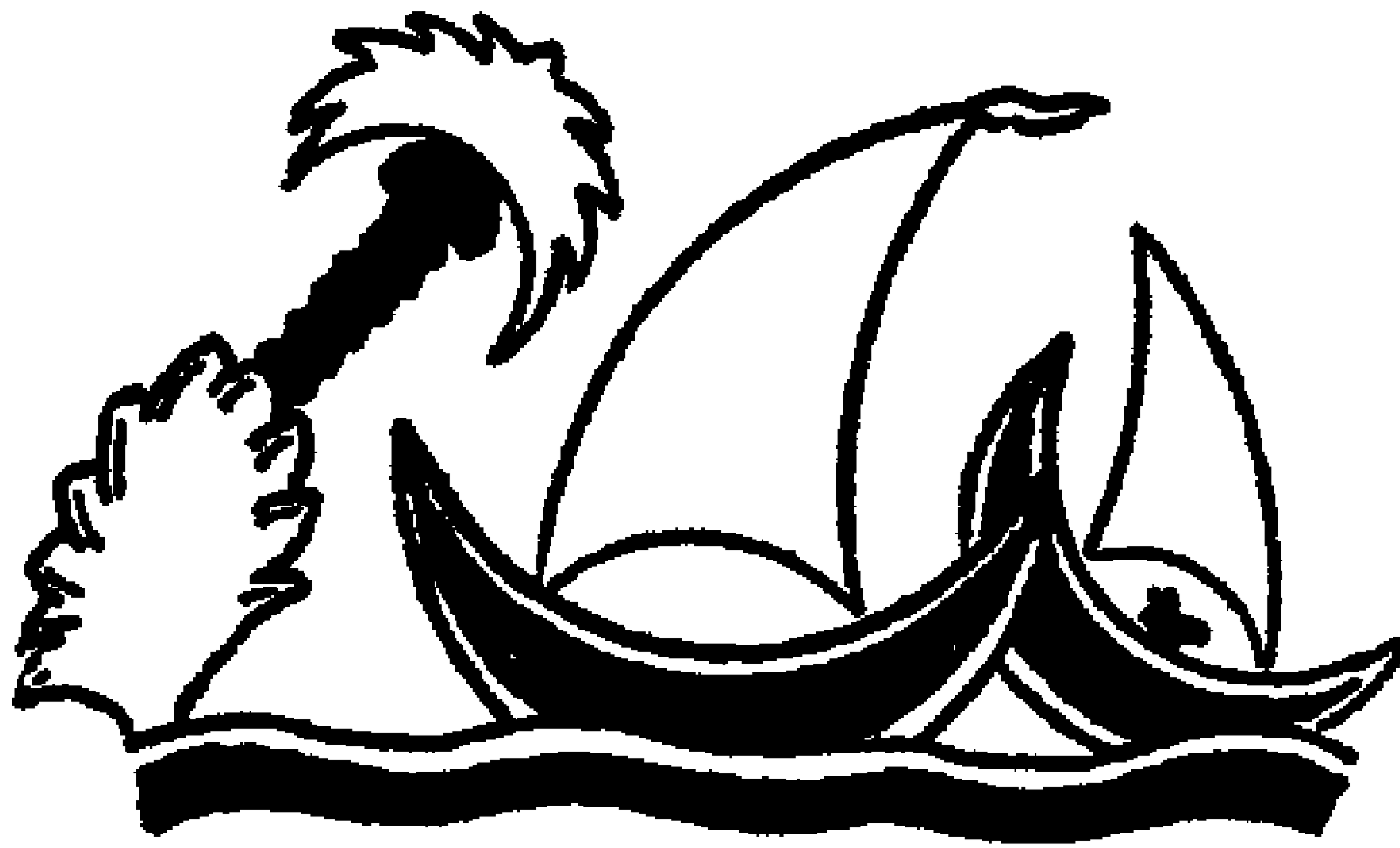
أتريدين ياسيدتى أن ينظر اليك زوجك باعتبارك الزوجة دون الحبيبة ؟! باعتبارك ربة البيت التى تطهى وتكوى وتربى الأولاد وتستقبل وتزور وحسب ؟! أتريدين ياسيدتى ستارا من الملل يسدل بينك وبينه بدلا من أن يدخل عليك كل يوم بالزهور والحلوى والعطور ... والبسمات ... والقبلات ؟!

إن من سيئات الزواج الشرقى عندنا أنه يطفئ تلك الجذوة المقدسة، فلا تلبث بعد العام الأول أن يصبح الزوج فى ناحية والزوجة فى ناحية، كأنهما أصبحا يجتمعان على كره منهما تحت سقف واحد، ولم تعد تربطهما إلا ظروف المعيشة المادية .

والمألوف ياسيدتى أن يبدأ حب المرأة عندما ينتهى حب الرجل، وهكذا نراك زاهدة نوعا ما لأن حب زوجك لم ينتـه بعد، وإنى أخشى عليك وعليه هذا الزهد .

انني ياسيدتي نصير الحب في كل لحظة من لحظات الحياة، الى آخر رمق في الحياة، إنني نصير الزواج الذي أساسه الحب. وبقاء الزواج ما بقي الحب.

أسرعان ماشاخ قلبك وأنت في نضارة الصبا ؟ ! ألا فاحرصي ياسيدتي على هـذا الحب القوي الصادق المتجدّد الذي لايمل ولا يتثاءب، لأنه مازال في عنفوانه، وهو دليل حيوية وطبيعة غنية ... وغداً ... غداً لاتلبث أن تأتي أيام الشيخوخة الطويلة السقيمة، وأمامنا فيها مجال أي مجال للفتور والرزانة والتعقل. وعندئذ بالله صدّقيني، نعود فنعيش على ذكريات الشباب.



فى الحيـاة الزوجيــة

« قرأت أنشودة الزوجة التى يحبها زوجها حبا مبرحا ، وهى تريد إنهاء رواية الحب بسرعة . فهو نحن نشهد عكس النظرية ، فبعد أن كان السر فى فشل كثير من الزيجات هو قلة الحب المتبادل بين الزوجين أصبحت المسألة الآن زيادة الحب عن القدر المناسب .

الزوج معذور اذا فاضت ينابيع قلبه المضنى ، فهو لا ذنب له ، ولا تستطيع قوة أن تطفئ شعلة حبه ، لكن الزوجة أيضا قد تعذر اذا هى خافت على نفسها أن تغرق فى هذا الطوفان ، فهى تعيش على الأرض لا فى السماء ، وللمنزل مطالبه وللحياة تكاليفها ، وللزوجة نفسها واجبات عليها تأديتها له ، واذا انصرف الاثنان الى هوى عذرى وطارا مع الملائكة الى سماء الحب ، فمن للمنزل يعنى بشؤونه ؟

الاعتدال فى هذه المسألة الحساسة أمر ضرورى ، ولا أقصد بالاعتدال إلا الحب العاقل الهادئ الذى لا يصل الى درجة التتيم . والظاهر أن حياة الركود التى انتابت الشرق هى المسئولة عن هذه الأمور ، فان تفرغ الزوج لأن يلهو بزوجته ، على أنها دمية جميلة محببة الى قلبه فيصبح ولا شاغل له سواها ، أمر قد يدعو الى إتلافها . فالطفل عندما يحب قطته يأخذ فى (شيلها ورزعها) وعضها حتى تكره الحياة ؛ وما هكذا يجب أن تكون الزوجة الحبيبة .

وليس هناك خير من التغيير فى المعيشة : سياحة مثلا الى جهــة أخرى ، رياضــة فى الخلاء ، التلهى بعمل يشــغل الزوجين معا كتعلم العــزف على آلة موسيقية أو أى شىء آخر يشغلهما قليلا عن « كيوبيد » ، ويمنعه من أن يفوّق سهامه الذهبية الى قلبيهما .

والواقع أننا فى مصر مساكين : زواج من غير حب دائمـا لا ينفــع ، وزواج بحب يخشى عليه من الفشل . والأمر لله » .

« مغـــرم »

وهــذا رأى آخر جدير بالاعتبار ، فانه يفتــح بابا جديدا أمام الزوجين ليحول دون الاحتكاك المباشر المستمر الذى يلح فيه الزوج وتزهد فيه الزوجة . يحول دون ما يسميه الفرنسيون «Tête-à-tête» أى المسارّة ووضع الرأس فى الرأس والأنف فى الأنف ...

شىء إذًا من الرياضة البدنية كلعبة «التنيس» أو السباحة أو الموســيقى يدخل ألوانا بهيجة أخرى على الحياة الزوجيــة ولا ريب .

ولكن لا بد لذلك من التعود والتدرّج ، وأعتقد أن الاشتراك فى أحد الأندية الرياضية من زوجين شىء لم نتعوّده بعد وننظر

اليه باعتباره خروجا على التقاليد فى حين أنه أنفع وأجدى لصحة العقل والبدن من الزيارات والاستقبالات الطائشة التى تجرى عادة بين السيدات عندنا ، وهى وخيمة العواقب ماديا وأدبيا .



فى الحيــاة الزوجيـــة

« القرّاء يدعونك يا سيدى بالقاضى ، وأنا أعرفك باحثا نفسيا قبل أن تكون قاضيا يرتبط بالقوانين .

إنى متقدّمة فى السن ، وقد تستغرب هـذا التصريح من امرأة . ولكنه شعور بدأ عندى من سن الأربعين ، شعور كان زوجى يغذيه بالنفور والسخط حتى أصبحت أنا — دون سائر النساء — أرى حقيقة سنى كبيرة ، بل مجسمة ، لا بل أكبر مما هى بكثير .

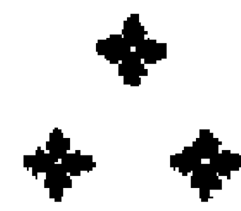
موقفى هو عكس موقف السيدة التى جاءت تشكو اليك زوجها لأنه يريد أن يجعل منها زوجة وحبيبة معا . أما أنا فأشكو اليك أن زوجى قد أصبح لا يبادلنى الحب لأننا أصبحنا عجائز، أستغفر الله ، بل هو يحبنى ولكنه لا يبادلنى ذلك الحب القوى الشاب الذى كنت أراه منه حين كنت صبية ، والذى لا زلت أحرص عليه رغم أننى متقدّمة فى السن .

قرأت كلمتك اليــوم فى «الأهرام» الذى يحضره زوجى معه كل يوم ، وكنت أود أن أستيقن أن زوجى قـد قرأها . تأثرت بها رغم كبرى ، وأرجو أن تكون الزوجة الشابة قد تأثرت بهـا هى أيضا . وقـد بكيت بدموع غزار حين وقفت على العبارة الآتية فى مقالك :

« ... وغدا ... غدا لا تلبث أن تأتى أيام الشيخوخة الطويلة السقيمة ، وأمامنا فيها مجال وأى مجال للفتور ... » .

أنا كبيرة السن . والأستاذ الصاوى ، الذى هو سلوتى هـذه الأيام بما يطالعنى به فى «الأهرام» ، يعترف مع زوجى بأن كبير السن لا حق له فى المتعة ولا خير له فى الحياة . ولكنى لا أعترف إلا أن الحياة هى شباب النفس . أما غضون الشيخوخة فماء الشباب يرويها ، والحب يملؤها ، والحياة تمرح فيها ، فإذا بها قد استلانت واشتدت . ولا أرى للانسان غير حياة وموت : حياة يحيا فى ظلها الشباب والحب ، ويمتع بشبابه الشاب والعجوز ؛ وموت يطوى فى قبره الشاب الى جنب الهرم لا يفرق بينهما . وإذا كان الموت لا يفرق بين الصغير والكبير ، فكيف تضنون الحياة بأن تبخس العجوز حقها على حين يتمرغ الشاب فى متاع تلك الحياة ؟

ترى ماذا يكون تعليقك على رسالتى يا سيدى ؟ ! آه ... أتراك أهذى أم أحلم ؟ ! أيكون نصيبها خيرا من سلة المهملات ؟ ! . هكذا تقابل الشيخوخة ! ... اذا كان زوجى الشيخ لا يعطف على شيخوختى ، فهل أجد هـذا العطف فى شاب يحب أن يتحدث عن الشباب للشباب ؟ عجوز عطشى



إنى أعترض مبدئيا يا سيدتى على وصفك نفسك بأنك

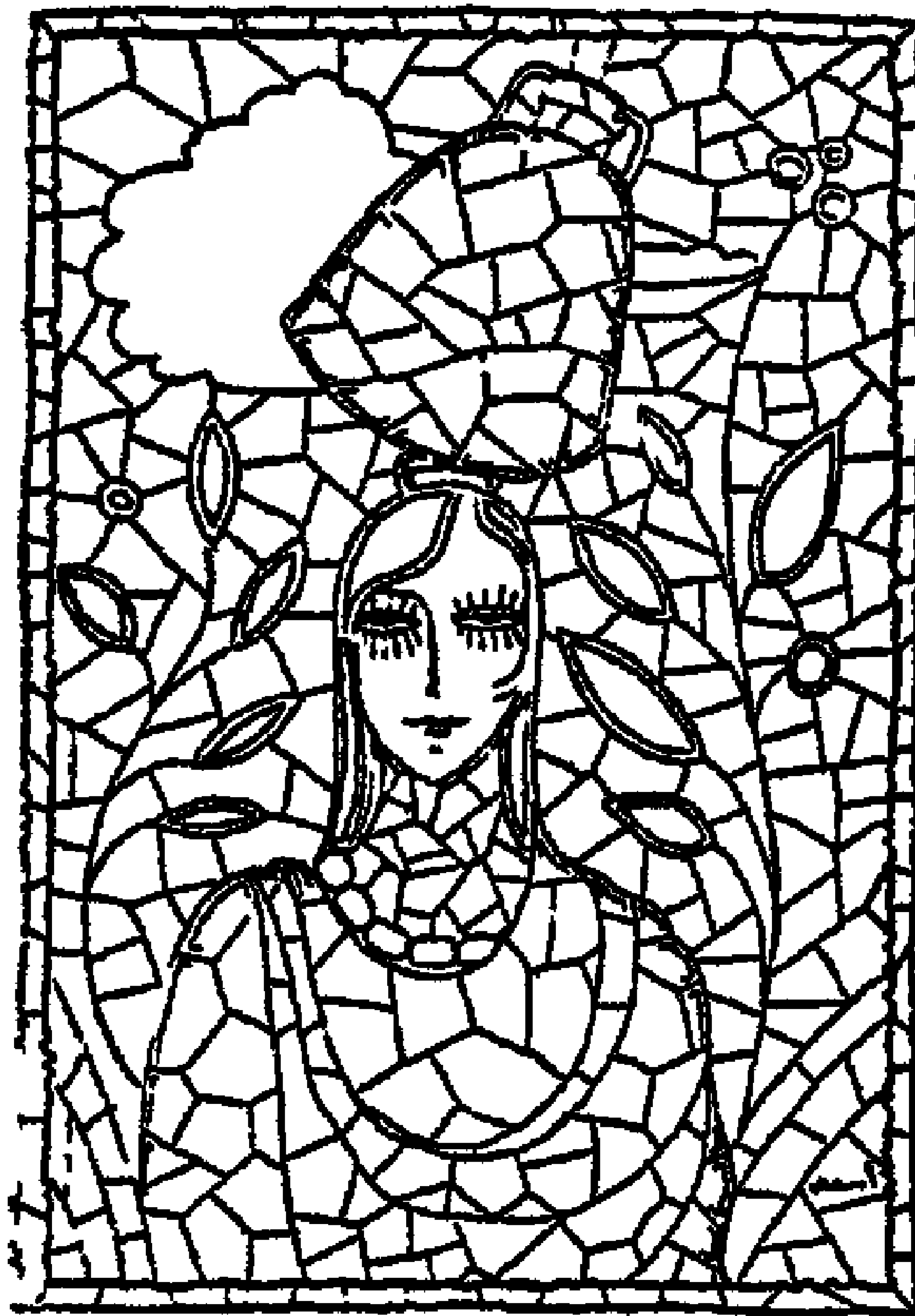
عجوز . فالمرأة لم تعوّدنا المبالغـة فى سنها ، والشابة تعدّ نفسها عجوزا، كما أن العجوز تعدّ نفسها دائما فى ربيع العمر .

وأنا أفهم اعتراضك وأتقبله متسائلا : أيعرف الشباب حقا ما هو الحب الى جنب ما يعرفه الشيوخ ؟ ! ما أكثر ما يكون حب الشباب عبثا ولهوا ولعبا بالنار ! ما أكثر ما يكون حب الشباب من هواجسه وأحلامه ! يكون من نفسه لنفسه السالب والموجب معا . وقـد عرض لهـذا الموضوع الكاتب اللبق «بول چيرالدى» فى رواية « الحب » عند ما قال : « إن الفتاة فى سن العشرين لا تعرف ما هو الحب ، وإن هـذه العاطفة المقدّسة لا يمكن أن توصف هذا الوصف إلا عند ما يتم تكوين عقل المرأة وجسمها، أى فى نحو الثلاثين » .

فاذا كنت أنت يا سـيدتى محبة بكل معانى الحب فأنت عند وظيفة المرأة، تؤيدين ما خلقت له ، ويجب أن تحمدى الله على أى حال لأن زوجك يحبك، وإن كان بداهة وهو فى الخمسين غيره وهو فى العشرين . حبه الآن هو حب الطمأنينة الساخرة من اضطراب الشـباب وانفعاله ، وهيجته ولوعتـه ، وفورته

وغيرته ، حب رزين منسجم صادق مستمر ، مع ذلك يخطر
ببال صاحبه فى الحين بعد الحين قول شاعرنا :

أوّاه لو عرف الشباب وآه لو قدر المشيب



زواج الصغرى

الى أى حدّ يجوز للوالد أن يحول دون زواج ابنته لأن أختها التى أكبر منها بعامين أو ثلاثة لم تتزوّج بعد ؟

هذا سؤال يختلف الجواب عليه اختلافا كبيرا ، وقد وجهته الى الكثيرين قبل أن أثير هذه المسألة التى هى مع ذلك ليست عويصة الى هذا الحدّ .

لى صديق طبيب شاب من أسرة شريفة معروفة ، أحب فتاة ليست أعلى منه حسبا ولا أكثر مالا ، وتربطه بأسرتها روابط صداقة قوية . تمنى أبوها لو تزوّج الصديق الطبيب من ابنته الكبرى ، ولكنه أبى كل الأباء أن يزوّجه من الصغرى ، التى يميل فعلا اليها ، بحجة أن فى ذلك مهانة لا يرضاها للكبرى ؛ مع أن الفارق بينهما فى السن لا يتجاوز ثلاث سنوات . وكانت النتيجة سيئة على الجانبين ، فلا الكبرى ولا الصغرى تزوّجت منذ عامين الى الآن ، ولا ينتظر أن يتزوّجا فى وقت

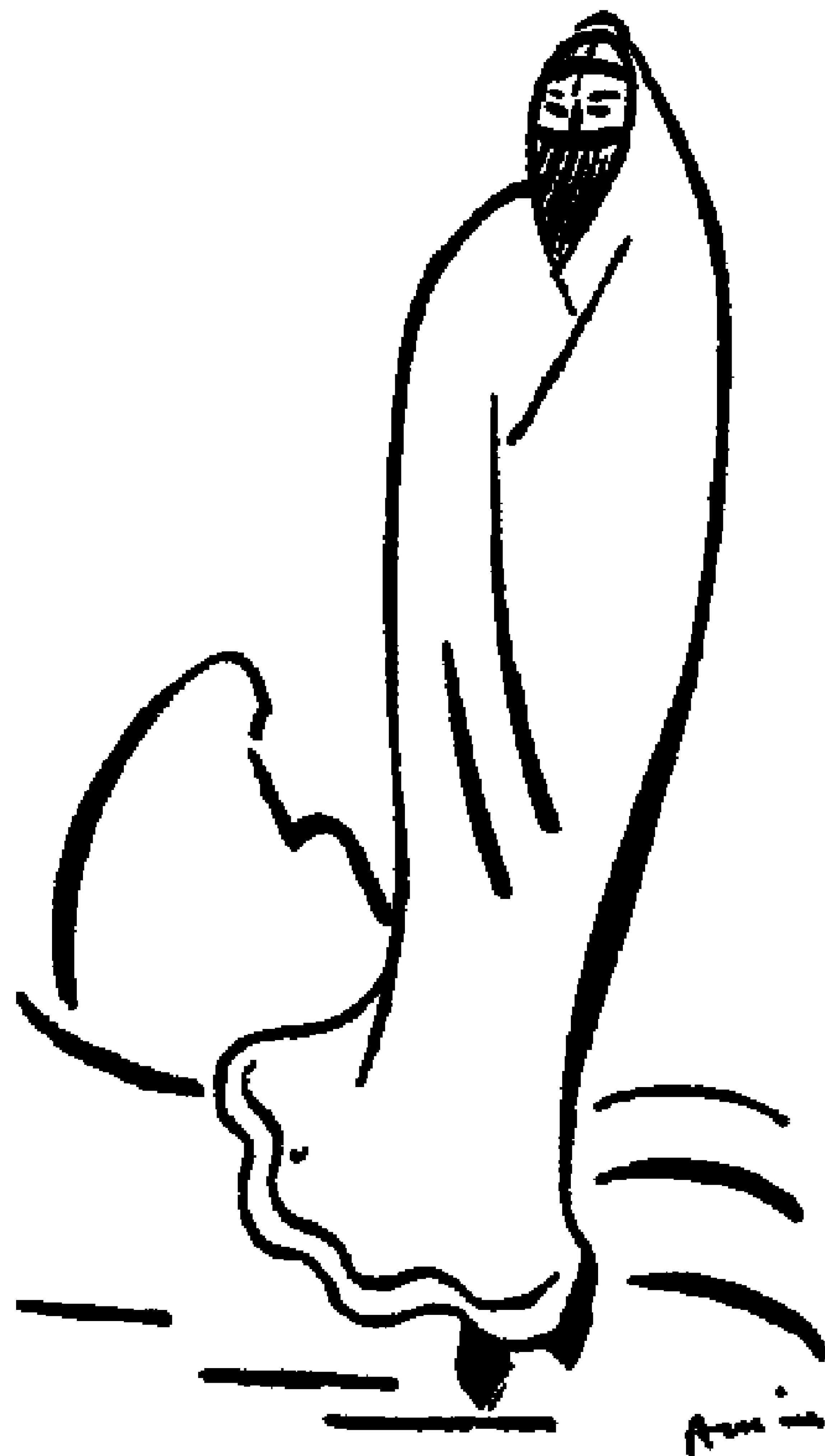
قريب لأن إقبال الشبان على الزواج ضعيف جدا لعوامل عديدة سبق أن تعرضنا لها ، ولا حاجة الى إثارتها من جديد . ثم إن صديق هـذا الذى كان مثالا للشبان ولم يشرب الخمر فى حياته قـد شربها بعد تلك الصـدمة المؤلمة ، وللخمر ماوراءها . وقد حاولت عبثا أن أعزيه فكان لا ينفعـهُ العزاء . فانظـر إذن الى أى حدّ تكون التقاليد وبالا على أسرتين وتكون حائلا دون تشييد بيوت كريمة تقوم على الحب الطاهر والتفاهم الشامل ، لأن صلة الأسرتين كانت ولا تزال متينة لم تفصم عراها هذه الصدمة وإن كانت قد مزقت قلبين .

فهذا الوالد المتعصب إنما يسىء الى ابنتـه الصغرى إساءة لامحل لها ، لأنه يحرمها رزقا حلالا ساقه الله اليها وليس بالرزق الضئيل . لأن طبيبا يربح خمسين جنيها فى الشهر ، ولمـا يمض على تخرجه فى كلية الطب عامان ، له مستقبل بسّام بغير نزاع .

وأمامنا حوادث عديدة تدل على أن كثيرات من الفتيات قـد عشن عوانس فاتهن سن الزواج وحرمن الى الأبد الحنان

والحب والأمومة بسبب هذا التعصب لتقاليد ليس لهـا وزن ولا قيمة أمام العقل السليم .

مثل هـذا الوالد إذًا مخطئ مسيء، لأنه يغتصب سعادة فتاته باسم أختها دون أن يكون له أو لأختها الحق فى هـذا الاغتصاب . فهو آثم إذًا فى حق الأبوة ، وفى حق المجتمع ، وفى حق الفضيلة .



خذوا عن السودان !

وقف صديقنا الكاتب المحبوب الأستاذ فكرى أباظه المحامى يحاضرنا فى الجامعة الأمريكية عن مشكلة الزواج فقال: إنه مضرب عن الزواج لأنه رُفض أربع مرات . أول مرة أراد أهلها «جاردن سيتى أو هليوبوليس» لا الزقازيق محل عمله . والمرة الثانية أرادوه قاضيا موظفا لا محاميا حرا . والمرة الثالثة أرادوا أن تدخل الفتاة لصغر سنها عند أهلها لا عنده وحده . والمرة الرابعة، وهى بيت القصيد وفضيحة للأخلاق العامة، أنه اتفق على كل شىء وتحدد (كتب الكتاب وتعلية الجواب) فما شعر إلا وقد جاءته قبل الموعد بأسبوع دعوة لعقد زواجها من شاب أغنى منه !

ففكرى أباظه الذى يكتب بهذا الأسلوب العذب، ويتكلم بهذا اللسان الفصيح ، وهو أخف الناس روحا ، ومن أشرف العائلات المصرية العريقة، وهو حائز لشهادة عليا، ويتولى

عملا نبيلا يدر عليه خيرا كثيرا ، وهو بعد هذا كله رجل كامل الرجولة ، يتفق معـه على كل شيء ثم يخان عهـده من أجل عشرة أو عشرين جنيها فى الشهر ، ومن أجل مائة جنيه زيادة فى المهر . يا للعار !

واسنا فى هذا الصدد بحاجة الى ضرب الأمثال للنـاس من الغرب دائما ، فما زال الشرق بحمد الله مصدر الحكمة والنور . واليوم تتلقى مصر عن السودان درسا بليغا جدا ، فإن عينا من أكبر أعيانه ، وسـيدا من أشرف ساداته ، وغنيا من أعظـم أغنيائه هو السيد عبد الرحمن المهدى قـد احتفل فى ٢٥ نوفمبر بعقد قران نجـله السيد الصديق افندى الطالب « بكلية غردون » . وقد رغب سيادته فى تجديد سـنة النبي صلى الله عليه وسلم فى تسهيل الزواج بتقليل قيمة الصداق ، فمهر عروس ولده ، وهى ابنـة شقيقه ، بجنيهين (٢٠٠ قرش ! !) تضاف اليها ثلاثة جنيهات رسما للجهاز .

والظاهر أن هـذا العمل أحدث فى نفوس الحـاضرين أثرا عظيما ، وكان أكثرهم ممن ينتمون الى أسرة المهدى بالروح

أو بالدم، وقد أحجموا عن الزواج بسبب غلاء المهور ، فانتهزوا فرصة هـذا الحادث وأخذوا يتبارون فى مصاهرة بعضهم بعضـا .

قالت « حضارة السودان » وهى الجريدة التى روت هذا الخبر : « وفى هذا المجلس تم عقد الزواج المبارك لـ ٥٤ شابا ، وقد اتصل بنا والجـريدة ماثلة للطبع أن العقود استمرت ليلة البارحة حتى وصلت الى ٥٥ عقدا ، ولاتزال مستمرة الى صباح هذا اليوم السبت ٢٦ نوفمبر ١٩٣٣ » .

فانظر إذًا الى هـذه المناقصة النبيلة بين هؤلاء الأشراف الكرام الذين اتبعوا سنة نبيهم ، ولم يجعلوا المهر والجهاز غرض الحياة الزوجية ، وانما هو سنة لا إرهاق فيها ولا تعجيز معها ، ولم يكن المهر يوما من الأيام أو الجهاز ضمانا للسعادة .

نحن نخجل إذًا من المـزادات التى تقام بين العرسان لتخاطف البنات ، ونأبى حفظا لكرامة بناتنا ولكرامة أشرف رابطة فى الوجود أن يكون شأن الزوجة فيها شأن ايجار الأطيان

فى الدوائر أو شراء الأثاث القديم يدق على بابه ناقوس ، و ينادى عليه المنادى .

وهنيئا للسودان هذه الحضارة الجديدة التى يرسمها للشرق كله ، ونرجو أن تأخذ مصر منهـا نصيبا ولا تخجل ، فما برح السودان شقيقها ، ومن مفاخرها أن تأخذ عنـه حينا و يأخذ عنها حينا آخر .



شيخ العزوبة

هل يكون الكاتب يوما ما فى إجازة فعلا ؟ أعنى هل يكف عن التفكير فى قرائه ولو سكت عنهم وظل فترة من الزمن لا يخط لهم حرفا ؟ كلا ، لأنه فى تلك الأثناء يقرأ وينظر ويتأمل ويختزن لهم فى زوايا نفسه وخبايا فكره ما سوف يطلعهم عليه بعد حين . فما أخذه منهم اليوم يدفعه لهم غدا مضاعفا . وإنى لمدين لطائفة طيبة منهم تكرمت على بالرسائل حتى اليوم الأخير من إجازتى كما فى يومها الأول . وكنت أحسب أن الكاتب لا يكاد يسكت حتى ينساه قراؤه فلا يسألون عنه غاب أم حضر ، أقبل أم هجر ، عاش أم مات ! ...

أليس البعيد عن العين بعيداً عن القلب ؟

هذه هى الحال عند الذين يأخذون بالظاهر ويتعلقون بالحاضر ، أما الذين يغزون القلوب بإخلاصهم وولائهم فإنهم فى القلب مهما بعدوا . والقصص القديمة تروى لنا حكاية

« بنيلوب » التى غاب عنها زوجها « عوايس » وتكاثر عليها طلاب يدها للزواج، وهى تعتذر اليهم تارة وتمنيهم أخرى، وتعدهم بأنها ستختار منهم واحدا عند ما تفرغ من تطريز نجم بدأت بتطريزه على قميصها . وظلت تفتق فى ليلها ما تحيكه فى نهارها حتى عاد زوجها الحبيب بعد عشرين سنة. لهذا ضرب المثل بإخلاص « بنيلوب » .

وهذا « قيس » ، أو لم يظل ينشد خيال « ليلى » فى رمال الصحراء التى لا نهاية لها حتى أضناه البعاد وأفقده الرشاد، وهى ما زالت ملء نفسه حتى الرمق الأخير ؟

وهذا « عنترة العبسى » أو لم يظل يحب عبلاه و ينشدها و يراها فى ميدان القتال فى الوقت الذى لو غفل فيه لحظة واحدة لطاح رأسه ، فيرى صورتها على حدّ سيفه، ويخيل اليه أن لمعانه من لؤلؤ ثناياها، وأن دم الأعداء من حمرة شفتيها ؟

ففى الصداقة والمحبة يجب أن نمضى الى أبعد غاية، لأن هذا هو الذى يشعرنا بأننا إنسانية حساسة تنبض قلوبها

بالحياة ، بالحياة الحافلة الموفورة ، فنتغلغل فيها ولا نعيش على هامشها ، فالحياة كما يقول « دزرائيلى » : « قصيرة أقصر من أن تكون صغيرة » .

وبضع الرسائل التى وصلتنى من قرائى أثناء عزلتى وراحتى قد أشعرتنى بوجود تيار روحى بينهم وبينى . وهـذا التيار هو الذى يجعـل الكاتب يطمئن الى أن مِنْ حوله عناصر طيبـة كريمة يقظة ، ويشـعر الكاتب بأن له من قرائه أسرة تحبـه وتحوطه بعطفها وحدبها وتذكره ، ويشعره فوق ذلك بأن عليه دينا واجب الوفاء لهذه الأسرة .

وفى هـذا الوفاء أيضا هناء الكاتب . لا ، إن كلمة الهناء كبيرة جدا ، أريد أن أقول : عزاء الكاتب ، مهما كان مشغول البال أو شقى الحال . أليس مما يدعو الى الابتسام ذلك السؤال الذى جاءنى خلال إجازتى : هل يكون سكوتى راجعا الى أننى فى شهر العسل ؟ ! وردى على ذلك اننى اليوم أبعد عن هذا الشهر منى فى أى وقت مضى . وعلى العازب أن

يحب عزوبته، وعلى المتزوج أن يحب حياته الزوجية . لأن الضجر والتململ من إحدى هاتين الحياتين هو سر الشقاء .

إننى غيور من صديقنا العلامة الكبير أحمد زكى باشا «شيخ العروبة» وأريد أن أكون يوما ما شيخ أى شيء، ولو « شيخ العزوبة » ! ...



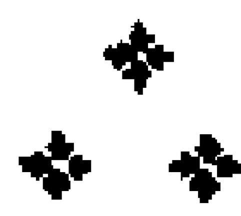
النصف الأفضل

«رأيتك مغرماً بالعزوبة وبترديد ذكرها ، ورأيتك يوماً تتمنى لو أصبحت شيخها . وأنا فرد من الناس معجب بك متتبع قولك مترسم خطاك . ولكن لما أن رأيتك تنأى بجانبك عن أن يكون لك زوجة لم أسلمك قيادى ولم أرض لنفسى أن تنضوى تحت شياختك ، إذ لم أفهم للآن ما تنطوى عليه سريرتك نحو حليلة تشاطرك حياتك وتهبها قلبك . وأنت على ما أظن لست بالمحب الذى يرى فى الزواج مقبرة لحبه ، ولا بالعابث المستهتر الذى يرى فى ميادين النساء ما يصده عن الاستئثار بواحدة منهن ، إن أضحكته يوما فقد تبكيه أياما . ولا بذلك الذى يرى لبيته حائلا بينه وبين الناس ، فلا أخذ ولا رد ، ولا بحث ولا تنقيب ، ولا تلمس أسس سعادة وأساليب الحياة الصحيحة التى طالما أجهدت أعصابك من أجلها ياسيدى الأستاذ ... أنت مقبول شكلا ، ولو كنت لا أتطلع إليك ولا أرى صورتك إلا على صفحات الجرائد . وأنت عبقرى نابغ فلا يمكن لمسألة اجتماعية — وأنت الاجتماعى الكبير — كمسألة الرابطة الزوجية أن تتعارض مع ضيعة نفسك حتى تتعصب لمشيخة العزوبة وتتمناها بحرارة . وأنا أثق بأن امرأتك سوف تحبك ، وسوف تفسح أمامك ميدان المجد والشهرة ، وأنت ولا شك ممن يحسنون الاختيار ، فخذها عربية أو أعجمية ، ولا شرح

ى ... فإما (علبة ملبس) على قدر الحال تفوز بها منى وإما أن أتبعك للنهاية ، ويكفينى عزاء أنى أتبع شيخا يحترق للمرأة ويتهافت عليها ويذوب من أجل سعدتها وجمالها ، وهو منها كما قال أبو نواس :

* فى كفه الكأس يهواها ويخشاها *

الابراهيمية رمل : سيد اسماعيل صبحى



أريد أولا أن ألفت نظر أخى الأديب كاتب هذه الرسالة الرقيقة البليغة ، الى أننى لست لسوء الحظ أو لحسنه « شيخ العزوبة » فى أسرة « الأهرام » ، فإن فيها أساتذة لنا وأصدقاء وزملاء يتجاوزون العشرين عدّا ، وكلهم من العزاب المتعصبين ...

أما عن نفسى ، فأقول لكم الحق اننى رجل لا يهمنى جمال ولا علم ولا مال ، فقد رأيت من هذا كله الشيء الكثير ولم يغرنى ، لأننى من ذلك النوع البوهيمى الذى يظل عنيدا كأنه أصم أعمى ، وهو مع ذلك يشعر بكل شيء ، حتى تمر فى حياته امرأة ، امرأة واحدة ، فيرتجف وينتفض انتفاض

العصفور بلله القطر، ويسلمها حياته ويسلس لها قياده . وسواء لديه سارت به الى الصدر أو الى القبر .

أما إن كانت تلك المرأة قد مرت فى حياتى أو لم تمر بعد، فهو الوجه الوحيد من المسألة الذى أخفيه عنك وعن كل الناس، لأنه لا يهم أحدا سواى .

وفى «الميتولوجيا» علم أساطير الأولين : أن « چوبيتير» رب الأرباب خلق بادئ بدء آدم وحواء فى جسد واحد ، وعندئذ ظهر له أنه قد خلق خالقا مثله يلد وينشر الذرارى فى الأرض ، فغضب وفى غضبته فصل آدم عن حواء بضربة واحدة، ومن ذلك اليوم ظل كل انسان يبحث عن نصفه الآخر .

وفى سبيل هذا النصف الآخر نجوب الأرض ، ونرحل كالعرب، ولا نستقر على حال من القلق حتى نجده، اذا لم نكن قد وجدناه، وحتى نتعزى عنه اذا كنا قد فقدناه .

أما بعد، فأرجو لك الله يا أخى أن يتم نعمته عليك: وأن (يلمك ويلم) كل حائر على نصفه الأفضل !

الزوجـــة الموافقـــة

رأيت فى حفلة الجمعية الدوليــة لرعاية الطفولة، بحديقــة الأزبكية سلمــا حديديا ضيقا مكونا من عشرات الدرجات ، منصـــوبا فى الهواء الى ارتفاع ســبعة وثلاثين مترا ، فكأنه يناطح الســحاب . وتحت هذا السلم حوض من الزنك مرتفع الجوانب، عرضــه متران ، ممتلئ بالمــاء الى حافتــه ، وحوله حراب مدببة .

وتجىء امرأة جميلة فتصعد الى منتصف السلم ، ويجىء رجل فيصــعد الى منتهاه ... وتلقى المرأة بنفسها فى المــاء ، ويتبعها الرجل بعد قليــل من ذلك العلو الشاهق الهائل الذى ترتجف منه فرائص المتفرجين ! ...

قلت : سبحان الله الذى وفق رجلا للحصــول على زوجة توافقه على عقله ، وتوافقه على جنونه ! ... أليس الصعود على ذلك السلم الذى لا آخر له هو رمز الجهاد فى معترك الحياة ، هو

رمز التعاون على الخير والشر، على السراء والضراء، على أكل الخبز بعرق الجبين ؟ !

ومثل هذا المنظر قدشهدته فى لندن منذ سنوات. تصوّروا رجلا يابانيا قد أوقف امرأته أمام لوحة، ثم أخذ يرشق اللوحة بالسكاكين حول جسم المرأة من ذراعيها إلى رأسها إلى عنقها ليرسمها بهذا على اللوحة، والمرأة لا ترمش لها عين مع أنه لو حادت السكين مليمترا واحدا لأودت بحياتها، وكان هناك مئات الانجليزيات اللواتى لا يصبرن عادة عن الصياح لأقل صورة فى (السينما) قد لزمن الصمت حتى صار المسرح كالقبر.

مثل هذا التعاون فى الحياة هو مثال مجيد للذين يضعون العقبات فى سبيل أنفسهم لأنفسهم، ضيق وخطر كساعة إلقاء النفس من أعلى السلم الى حوض ماء صغير، أو ساعة رشق المدى، أو ما شابه ذلك ... هذه الساعات يجب أن تجمع القلوب وتزيد وحدتها وتقوى عاطفتها بدلا من أن تفرق بين أصحابها. وعلى المرأة أن تحب فى الرجل الذى ارتضته شريكا

لها ساعات جنونه أيضا ، إذ لا يجدر بها أن تكون من الأنانية بحيث تتمتع بطيبة قلبه وعذب حديثه وثمرة جهده، ولا تكافئه، فى الحين بعد الحين، تسامحا عن نزواته الطائشة ، بل وحبا كريما لحال الضعف هذه التى تطرأ عليه بما اكتسبه فى دمائه عن أسلافه، وبذلك لا تكون الزوجة فقط، بل تكون الأم أيضا .



جنـــــة البيت

طالمـا تحدثنا عن محيط البيت الذى يجب أن تؤلفه المرأة مطبوعا بطابع شخصيتها، وقلنا أن لوحة زيتية أو بالطباشير الملون أو بالحـبر الصينى أو بقلم الرصاص فى ركن من أركان الغـرفة تجعل لهذا الركن معنى ، وكذلك الأشغال اليدوية . والى هذا كله نجد أن العناية بذلك تعد، فضـلا عن الفائدة المـادية ، رياضة نفسية ثمينة .

سكنت مرة عند أسرة سويسرية ألمـانية فيها فتاة تناهز السابعة عشرة . فى الصباح تساعد أمها فى تنظيم الأسرّة وترتيب البيت . وتخرج مع عمتهـا الى السوق لتـدرس البيع والشراء وتتمرن على الأخذ والعطاء . وتعود لتجلس الى كتب القانون سـاعة وبعض ساعة . وبعـد الغداء تأخذ فى التصوير على (شال أو كيمونو) فتجعل القماش التـافه قطعة فنيـة قيمة يدفع فيهـا جنيهات . وفى الأصيل تعزف على (البيانو) وتقرأ

فى الأدب والفلسفة أو تفصل ثوبا أو (بيجاما) . لا تزور ولا تزار إلا لماما ، مرة كل خمسة عشر يوما على الأكثر . وكنت أسكن عندهم مع شاب انجليزى هو آية فى جمال الخلق والخلق ، يجيء أو يخرج فلا ترفع رأسها أو تنظر وتلتفت . فاذا أقبلت عليها تحدثها نهضت فى أدب وابتسام وخفر يفتن القلوب . يستحيل على « دون جوان » أن يجد عيشا عندها ولا ماء . لم تكن بحاجة الى (الليسانس) فى القانون لأن لها فى المصرف خمسة آلاف جنيه، ولكنها لا تجد معنى لضياع وقتها وعدم تنوير فكرها . ففى العمل وحده هناءتها . وعند ما تفتح باب المسكن تجد الجدران مغطاة بصور من ريشتها ، وتجد الدمى فى أثواب فضفاضة من طراز لويس الرابع عشر قد اضطجعت على الأرائك والمقاعد تنظر اليك من تحت أهدابها الطويلة كأنها تريد اختلاس أسرارك ! ... هذه الدمى هى أيضا صنع يدها . وهى تحبها وتداعبها وتجلس أحيانا تتحدث اليها وتسرها النجوى ، ونجواها بريئة . انها حتما تنتظر الرجل مثل كل فتاة، ولكنها تنتظر الزوج لتحبه .

تقول ان حبيبي هو زوجي ، أما الذى يضن على بابتسامته فانى أضن عليه بقلبي . وهى لا تجلس الى النافذة ثلاث ساعات، ولا تقضى فى الشوارع ثلاث ساعات أخرى ، ولا تقضى فى الزيارات (البائخة) ثلاث ساعات أيضا ! ... انك تجد أحيانا فتيات فى الطرقات كأنهن تائهات، كأنهن هاربات من بيوتهن، كأنهن ينكرن وجود أهلهن، كأنهن يبحثن عن شىء مجهول، عن رجل مجهول ، يتخبطن بين المحلات التجارية ويشترين أشياء تافهة ويرجعن الى البيت بقطعة من (الدنتلاه) ومترين من (الكامة) وزجاجة كولونيا) وقد لا يكون بهن شىء فيذهبن الى الطبيب متمارضات لتتاح لهن فرصة خبيث . ومثل هذا الفقر الأدبي يرثى له . ويحسن بالكريم أن يخفى جوعه . ويخفيه بين جدران بيته . ويأخذ بالتسليات النبيلة التى تجعل الزمن يمر بلذة وفائدة ومتاع وثقافة ... أعود فأقول :

الموسيقى وتشغل الابرة والتصوير والصناعة ... فقد كان لمدة أخ صغير وعنيت بتعهده وأسرفت فى تربيته . ووجدت

مزاجا فى تهذيبه بدل (تدليعه)، فانها تكون قد جمعت الفضائل المنشودة فى الفتاة الجديدة العصرية ، الفتاة الجادة الأمينة الطاهرة ، لا الفتاة الهازلة المزيلة التى تهز وسطها فى حلبة رقص قبل أن تكون قد عرفت أو عملت من كل ما ذكرنا شيئا .



أثاث البيت

نقرأ أحيانا ، إن لم يكن كل يوم ، فى جريدة يومية (مجورات) توقعه محل التجارية الكبرى على أسر كريمة ، ونقرؤها تحت عنوان كبير : « بيع مقولات » . وتحديد اليوم والساعة والمكان ح .



وهذ محزن حقا ، ولكنه درس بيع لمن يغالى فى سراء الأثاث والملابس . فما زالت البيوت المصرية تحرص على المستوردة من الموبيليات ومن الأقمشة ، وهذه قاعدة قديمة كـ

نرجو أن يأتى عليها التقدّم العصرى ويبطلها ، فهى تتنافى مع ضرورة الاقتصاد أوّلا ، ومع الذوق السليم ثانيا. وليس أمرّ على النفس من أن تستدين الأسر الكريمة ثمن الفراش الذى قد لا تكون فى حاجة اليه كله، فهى قدّرت لنفسها المقدرة على الدفع من حساب أطيان لم تدرّ عليها شيئا . ولم ترحمها تلك المحال التجارية رغم ما كانت تبديه لها من الصداقة والوداد .

فجميع الذين يشترون بضاعة كثيرة، أو يتزوّجون بفرشون بيوتهم بالدين على أقساط ،يخطئون خطأ فاحشا لا سيما إذا كانوا يعتمدون على ايجار أطيان أو بيوت ، لأن ايجار الأطيان الآن أصبح كالعدم والبيوت قد تخلو فى تلك الأثناء وتظل خالية وتستحق الأقساط ويقع المدينون فى حيص بيص فما بالك إذا كانا عروسين بنيا عشهما الجميل على هذه الطريقة! إن مجرد وقوع حجز كالذى ذكرناه يعد كفيلا بالقضاء على الحياة الزوجية .

وكثير من النّاس عندنا يشترون أثاث بيوتهم دون دراسة فنيـة؛ فلا يعرفون ضرورة انسجام حجم الغرفة مع لون الحائط ونوع الأثاث . بل مع موقع البيت نفسه وشكله وحجمه إذا

كان (ڤيلا) أو شـقة . بل هم يأخذون الأمر (جهجهون) فيخطئون . وقـد تطوّر الذوق العالمى حتى أصـبح الأثاث الآن لا يشترى من صنف واحد، بل يُجمع فيه بين القديم « الكلاسيكى » وشىء من الحـديث غير المتطرف . والبيوت العريقـة لا تحب شكل الأثاث الجـديد ؛ والانجليز أنفسهم لا يفرشون بيوتهـم ؛ ولا سيما غرف الطعام ، إلا بالطراز الانجليزى العتيق الذى يشبه القروى . وهو دون شك جميل جدا وله لون مستحب ترتاح اليه النفس . وكل هـذا الأثاث ليس أغلى الأثاث ، ولكنه أكثره ذوقا وألطفه وأنقه ويجوز أن يوصى به الصانع المصرى الماهر . طبقا للكتالوجات الأوربيـة .

وليس عارا أن يبنى الخطيبان بيتهما مقعدا مقعدا ، ويشتريا اليوم منضدة وبعد أسـبوع أو شهر سريرا ، وهكذا حتى يتم الأثاث ، وانما العار أن تتغلب (النفخة) الكاذبة والغرور فيشترى فرش البيت كله بالدين والتقسيط ، وبعد شهرين أو ثلاثة يحجز التاجر عليه ويبيعه أمام العدو والحبيب ، وينشر ذلك فى الصحف ويعلنه على المـارة فى الطرقات بواسطة ذلك (الشيال الأعمش الكلاسيكى) أيضا الذى يدق الجرس ويقول : (حراج .. مزاد) .

جيــل وجيــل !

أنظر الى سيدة مصرية تسير وفتاتها فى الطريق، تندهش للفرق الهائل بين الأم والبنت، فى الزى، فى الحركة، فى النظرة، فى الجسم كله ...



هـذا هو الفرق بين ذريتين : ذرية كانت صالحة متواضعة بسيطة تحب البيت وتعبد الرجل وتتق الله فى الشرف والولد ... وفتاة اليوم تتمرد على غير أساس، الثورة فى روحها

بالرغم منها ، لانها نتيجة حتمية لتطوّر الأيام وتقـدّم الصناعة والحضارة والاندفاع فى الحرية . توجد فتيات تنطق عيونهن بما يحير العقول والأفهام، فى نظراتهن معان مدهشة للحيرة والتذمر ونفاد الصبر والرغبة فى الانطلاق، وأحياناً الرغبـة فى استمرار التضـحية . هؤلاء الفتيات معذورات لأنهن أدركن أشـياء شعرن باستحقاقهن لها مع حرمانهن منها .

الزى قد تحول من ثوب أسود يضرب على البـدن، كأنه سجن لا نوافذ فيه، الى ثياب خفيفة بهيجة ملونة أنيقة ...

الرأس — وكثيراً ما يكون رأس المصرية جميلا — كان يلف فى منديل أو يغطى بالملاءة أو بطرحة أو بهـذه كلها . أما الآن فقـد أصبحت (البريه) المعوجة الى جانب تكشف ثلاثة أرباع الرأس، وتحسر عن الشعر معتنى به ، فتزيد جمال الرأس وتصغره حتى كأنه رأس الحمام ! ...

الحركة ، كانت بالأمس مضطربة خجلة تتعثر بها القدمان، أما الآن فالفتاة تسير وتعرف أنها تعجب الناس ولا تهتم ولا تكترث، وهى بذلك تزداد فتنة .

الجسم ، كان كتلة واحدة من الشحم واللحم لا تناسق فيه، لا تعرف الخصر النحيل من الردف الثقيل . أما الآن فالفتاة تلعب الألعاب الرياضية ، وتسير فى الهواء الطلق ، وتستحم فى البحر ، وهذه كلها تزيد فى صحتها واستعدادها باعتبارها أم المستقبل .

أما الفكر فهو أعظم متطور . بالأمس كانت المرأة المصرية تأكل مع ضرتها وحماتها وأخت زوجها (ثلاث مصائب!) فى صحن واحد . كان الرجل سيدها ومولاها ، اذا دخل ساد الصمت ووقفت نساؤه كالجوارى بين يديه فى ذل وخشوع؛ أما اليوم فالفتاة المصرية تجلس بحضرة أبيها كأنه صديقها ، ليست قليلة الحياء ولكنها موفورة الكرامة ، وهى كثيرا ماتستحق التقدير والتكريم . مثل ذلك فتاة اليوم، بطلة اليوم ، أستاذة اليوم : الآنسة نعيمة الأيوبى التى حازت (ليسانس) الحقوق وقدمت طلب لقيد اسمها فى جدول عموم المحامين؛ وهو حادث فذ فى تاريخنا الاجتماعى .

ثمن الحـــرّية

في البلاد التي تحبو الى الحرّية يكثر التزعزع الاجتماعي . كالرجل الذي يظل محجوب البصر بعد عملية جراحية في عينيه، لا يستطيع أن يواجه النور، فهو في حاجة الى بصيص ضئيل. يتزايد شيئا فشيئا، حتى يجيء يوم يواجه فيه الشمس الساطعة.

مثل هـذا ينطبق على بلادنا فنحن في دور تطوّر عنيف خطير، تنقلب فيـه تقاليدنا حتى تصبح في بعض العيون مثار للضحك ، في دور تحول كالفتى في سن المراهقـة . مثل هذ الدور بحاجة الى التبصر الشديد لأن الحضارة التي ننشدها يجب أن تفهمها لندركها . وفهمنا لها الآن غامض، لأننا نعيش أفرادا لا رابطة لهم ولا صلة بينهم . الأم لا تفهـم البنت ، والأب لا يفهم الولد ، والزوجة لا تكاد تعـرف زوجها وتدرك من عمله وماله وفكره شيئا ، تعيش مفككين ، نعيش كالأشـلاء المبعـــثرة .

لذلك لا يسع المتتبع لتطـوّر المجتمع المصرى إلا أن ينظر بإشـفاق الى ما يراه من إسراف فى التبـذل . وليس «ستانلى باى» إلا من رموز هذا الإسراف، لأنه الآن مجتمع فى نصف دائرة سـتانلى باى ، ولكنه غدا ، بعـد انفضاض الموسم ، ستسرى روحه فى كل مكان،سيكون بمثابة عملية تلقيح واسعة لأطراف . إنه تلقيح بالداء لا بالدواء .

المرأة الأوربية التى تقلدها اليوم الفتاة المصرية هى امرأة من بلاد عريقة فى الحرّية، حرية اشترتها تلك البلاد بدمائها، وكانت فى مقدّمة الصفوف النساء . والمرأة الأوربيـة تعرف كيف تنظم بيتها ، وكيف تطـرز ثوبها ، وكيف تعيش بالمليم والدانق ، وكيف تربط ميزانيتها ، وكيف تربى الى جانب هذا كله وقبـل هذا كله ولدها . فهى اشترت حريتها بثمن باهظ، اشترتها بما بذلته من دم وتضحية وجهاد . إنها اشترت الحرّية على مدى أجيال . أما هنا فالفتاة المصرية التى تعتقد نفسها آية الايات فى الرشاقة والأناقة، والتى بدأت تقتبس «البيجاما» الساحلية الفضفاضة، وتكشف عن فخذيها ونهديها وظهـرها

وصدرها ، والتي تعرف كيف تحدج من وراء الجفون بنظرات معسولة فيها السر والخفاء والإغراء ، والتي تحسن الرقص الحديث ، وتعرف كيف تتلاعب بالألفاظ والقلوب ، هذه الفتاة الحديثة العهد بالحرية ، هل تعرف ثمن ما تنشده ؟ !

كلا ، لأن هذا الثمن يكتنفها العذاب والألم ، وهي غير مستعدة ، لأن الجو الذي تعيش فيه يريدها على القفز والتنقل ، يريدها على عدم الاستقرار ، فهي لا تستقر ولا تصبر على الخير ، وهي لذلك قلما تشعر بالسعادة . إنها في تنقلها المبتذل كالذي يتعاطى مخدراً ، يغيبه ساعة ثم يستيقظ يعاني الآلام ...

حرية الفضـائل

تحدثنا أمس عن الحرية، حرية الفضائل والعمل الجد .

وقلنا : إن هذا هو معناها وليس هو الانطلاق وراء الشهوات والنزوات . ولكننا من الجانب الآخر نجد بعض الآباء يسرفون فى التشديد على بناتهم تشـديدا هو من الخطورة بمكان ، لأنه ينبه ذهن الفتاة الى أشياء لم يكن يحسن تنبيه ذهنها اليها . وهو يشعرها أن وراء جدران البيت المطبقة عليها باستمرار شيئا آخر فيه البهجة والمرح والمتاع، مع أنه قـد يكون فيه الويل كله . وهى لذلك ينفد صبرها ويبدأ تمردها . فإذا كسرت قيودها بعد ذلك وانطلقت على فرعها فليس الذنب ذنبها وحدها، لأن شدة الضغط تولد الانفجار . وهى نظرية فى الطبيعة ثابتة لا تخيب .

فالرجل الذى له بنات الآن فى ضيق لا يدرى كيف يفعل . يجد الحرية لهـا عواقب وخيمة، وهو بشدة حرمانه بناته من الحرية غير مطمئن البال . انه فى موقف يرثى له ، لأن الأبوة

فن ، فن عظيم . لا يستطيع كل رجل ان يكون والدا ، وخصوصا ان يكون والد بنات .

لو كانت لى بنت اصادقتها وفتحت عينها للوجود، وصحبتها فى كل مكان أسمح لنفسى بالذهاب اليه . وما أخفيت عنها شيئا ، ولعرفتها منذ نعومة أظفارها ما أعرفه من سر الحياة ، وما أعرفه من خدع الرجال ، وما أعرفه من غش العالم، وما أعرفه من حوادث يسبب لهن الوجدان ؛ وافسر لها كل نظرة ترمى اليه ، وغاية صاحبها . وكيف تحكم هى بدورها على ما تراه من وجوه ونظرات ونفثات وحركات ... وهذه هى الدروس التى تكونها ، وهى بمثابة التطعيم ضد الفساد المنتشر حولنا ، المتطاير فى الجو مع الذرات ، الممتزج بالشمس والهواء .

أما أن أحبسها وأقفل النوافذ وأحرمها (السينما) والخروج ، فبمثابة الحكم عليها بأنها ليست ذات شخصية ، ولا كرامة ، وليست جديرة بالوثوق بها . ولا بالاطمئنان لها ، وأنها فتاة قلبها هواء لا تعرف الخير من الشر .

وهذه مسبة يجب أن يرفع الأب فتاته عنها ، مسبة فى طريقة تعليمه إياها وتأديبه لها ، مسبة لأصلها وأخلاقها . ثم هى إنكار للفضيلة فيها . واعتراف بأنه إنما (يسرسها ويصمغها ويصلبها حتى يلزقها للعريس) .

ومهنة الأب أشرف من ذلك ، وواجبه أشدّ عسرا وعناء ، ومسئوليته أعظم .

فالأب الذى يترك بيته خمس عشرة ساعة فى اليوم ولا يدخله إلا ليأكل وينام ويأمر وينهى هو الأب الذى يضيع على فتياته جانب العناية والولاية والموعظة الحسنة . فإذا ورثهن بعد ذلك مالا وفيرا كان لهن مفسدة ، لأنه مال بغير أساس . فاذا أغلق من دونهن النوافذ والأبواب فهى حيلة الضعيف ، المتهاون ، الجبان ، الذى يزعم انه حريص شجاع ... وربما راعه يوما ما تكسير تلك السلاسل والأغلال بشكل يدعو الى الرثاء ، حتى رثاء أعدائه له .

الأجـار الزائفـــة

فى الأسبوع المـاضى رأى أحدهم سيدة تنزل من سيارتها وتدخل متجرا كبيرا فى محطة الرمل وهى لابسة (البيچاما) فكتب رسالة بذلك الى «الغازيت» مستنكرا ؛ فاحتج عليــه آخر طالبا ترك النـاس أحرارا ؛ فرد عليه الأول يسـفه فكرة الحرية عنده .

أقول لكم الحق إن الانسان المهذب ، سواء أكان رجلا أم امرأة، يتردد فى أن يظهر فى الشرفة (بالبيچاما) ، فما بالك بالنزول بها فى الطرقات، ودخول محل عمومى للبيع والشراء !

يقول الحكماء: إن من ليس له سر يخفيه فلا جمال له يبديه . والمقصود بالسر هنا ليس الحجاب الذى يجعـل المرأة فى شـبه سجن متحرك، وإنما هو ستر ما يحسن ستره مع حشمه الحركة والإشارة . فالمرأة التى تسير تلتفت عن يمينها ويسارها ، وقد كشفت عن صـدرها وظهرها، لا تتبعها إلا عيون الدهماء؛

لأنها لا يمكن أن تقع موقع الإعجاب من قلب الرجل الذى يعرف سر الجمال والجلال .

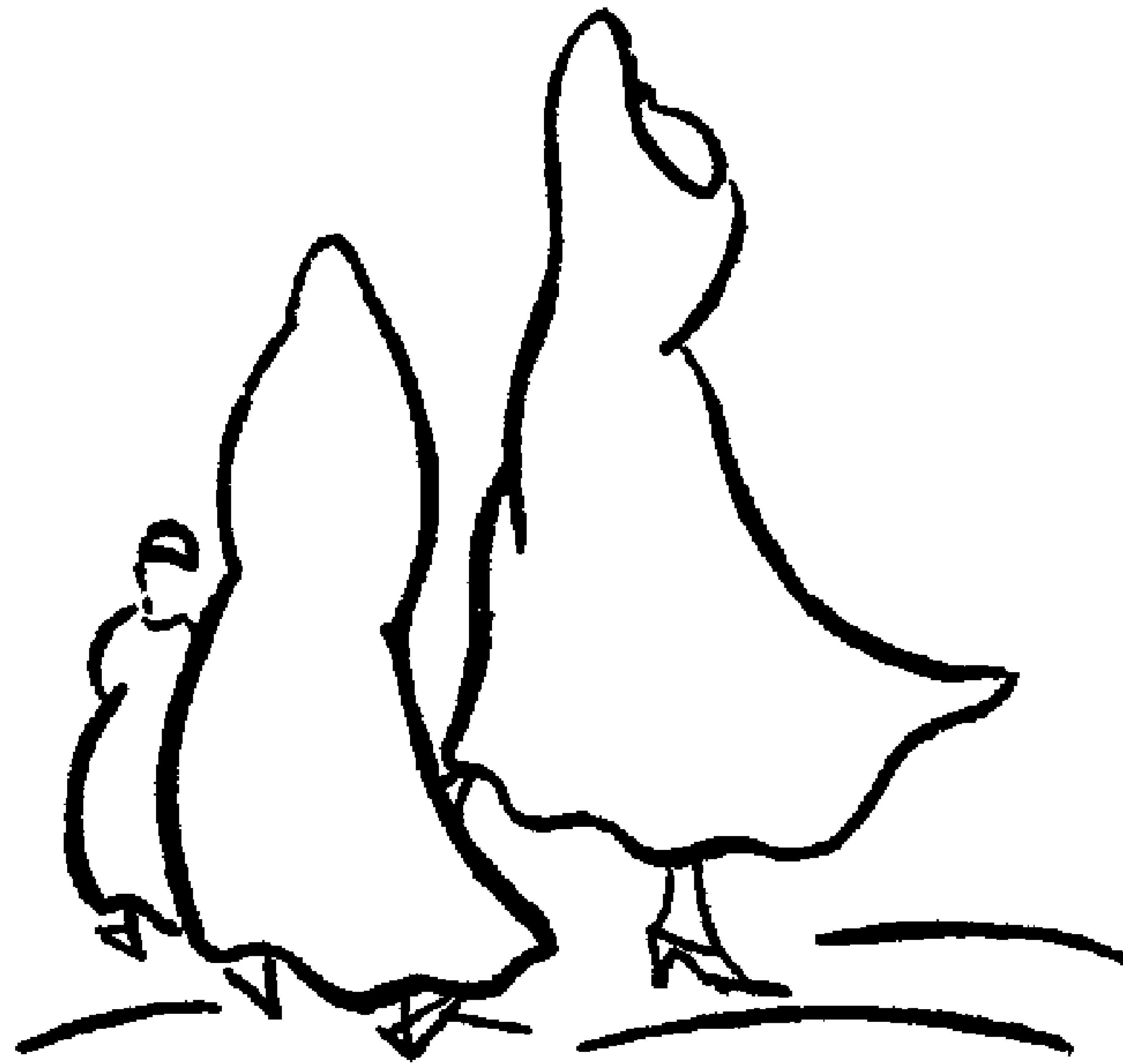
لذلك لا تجد منظر النساء على شاطئ البحر نصف عاريات يبهر إلا السذج ، بينما تجد التى تخفى منهن أكثر ما يمكن إخفاؤه من جسمها هى التى تلفت الأنظار ـ الأنظار لتى تقدرها النساء وتتأنق عادة لها ، وتحسب حسابها دون غيرها .

وفى أوربا الآن أو بالأحرى فى باريس ، لأن باريس هى سيدة (الموضة) التى تفرضها على العالم ، تقوم حركة عنيفة ضد (البيجامات) . وبعد ما كانت فى العام الماضى تغطى الشواطئ وتلبسها ألطف النساء ، دالت اليوم دولتها أو كادت ، وسرى شعور استنكار لها كما تقول جريدة « الطان » نفسها .

فهذه السيدة التى نزلت من سيارتها فى محطة الرمل (بالبيجاما) ، ولو كانت أطهر النساء ، تعرض سمعتها حتما للألسن تلوكها وتذكر عنها السوء بالحق أو بالباطل . فلا يمكن تفسير

عملها إلا بأنه إعلان عصبي عن بضاعة يزهد فيها الناس . ولو أنها كانت جميلة حقا لاحترمت جمالها ، فالجمال له حرمة يرعاها أهله ، ولا ينتهكها إلا الطائشون .

ولكن نعود فنقول : إنه لا بد من هؤلاء الطائشات فى كل مجتمع ، لأنهن بمثابة الأحجار الزائفة يعرف المرء بسهولة الى جانبها الأحجار الكريمة .



رسالة المـــــرأة

من الحفلات القليلة التى أسفت على أنها قد فاتتنى بسبب مرضى حفـلة الاتحاد النسائى فى « دار المرأة » التى استقبلت فيها السيدة النبيلة هـدى هانم شـعراوى طائفة من الفتيات النابغات كالآنسات : نعيمة الأيوبى وسهير القلماوى وفاطمة سـالم وفاطمة فهمى خليـل وكوكب حفنى ناصف وهيلين سـيداروس وتوحيدة عبـد الرحمن ومنـيرة ثابت ولطفيـة النـادى .

وليس أحق من المرأة بتكريم المرأة .

وليس أحق من زعيمة النهضة النسائية بتكريم الصـورة المثلى للآمال العظيمة التى تجيش بصـدرها ، والتى كانت تتمناها على دهرها . ولم يكن هذا التكريم فى الواقع منحصرا فى اللواتى احتفل باستقبالهن ، بل إنه يذهب الى أبعد من ذلك كثيرا ، فهو تحية تشمل جميع اللواتى تخرجن فى مصر وأوربا من المدارس

العليا ، واللواتى صرن الآن أمهات صالحات أو زوجات فاضلات أو مربيات كريمات ، وهو تحية تمتد الى المستقبل بالرجاء والدعاء، الرجاء فى الجنس والدعاء للوطن، الرجاء فى أن يكثر بيننا أمثال كوكب ناصف وسهير القلماوى ونعيمة الأيوبى وغيرهن، يكثر بيننا العدد ، ويتميز بنبوغ لا الرضاء والاكتفاء بالمستوى العادى، ويتميز قبل النبوغ وبعده بالأخلاق الفاضلة.

فليست مهن المحاماة والطب والطيران والأدب بالتى تعد إذا تولاها النساء حاسمة فى حياة الشعوب، ولكنها على أى حال رمز الى مساواة الجنسين فى التعليم والذكاء والتفوق والاحتراف.

وليس احتراف المرأة مهنة شريفة معينة بالذى يسعد المرأة أو يسعد الأمة ، لأن مكان المرأة ووظيفتها ودائرتها فى البيت أولا وفى البيت آخرا . فمهما كانت المحامية الضليعة فلن تستغنى ولن تستغنى بلادها عن أن تكون الزوج المخلصة والأم الرشيدة، وهذا هو ما يجب أن تفهمه كل فتاة . فان أعظم ثمار التربية والتعليم وأعلى درجات الذكاء والحصافة إنما تدرك لا فى ساحة القضاء، ولا فى غرفة العمليات ، ولا فى كرسى التدريس ،

ولا فى طبقات الجو ، وانما تدرك — بكل كبرياء وكل خضوع — أمام المهد ... مهد الطفل، ذاك الذى انحنى أمامه مدوخ الأرض وهازم الملوك وكاسر الجيوش «نابليون» فقال : إن من تهز المهد بيمينها تهز العالم بيسارها .

وقد تقسو الطبيعة على بعض النساء قسوة أليمة فتحرمهن من زينة النساء أو لطفهن أو حنانهن، وتجعلهن فى عالم موحش من الحرمان ، فهؤلاء يجدن فى العمل عزاء وأى عزاء . ولا غبار عليهن عندئذ اذا فكرن فى العمل دون الرجل . أما الأخريات اللواتى حباهن القدر بصفات جنسهن من رقة وحنان ودماثة فنحن بحاجة اليهن زوجات وأمهات أكثر مما نحن فى حاجة اليهن فى أية مهنة أخرى من المهن التى يمكن أن يحترفها الرجل .

انى رجل يؤيد النهضة النسائية الى أبعد حدود التأييد ، ولكننى مؤمن بأن رسالة المرأة هى رسالة البيت .

صـــوت المـــرأة

فى الأقصر . فى بهو فندق كبير . فى جانب منه انكليز لا تسمع لهم صوتا . ثم دخلت سيدة مع زوجها فملأت البهو ضجيجا . تريد أن تستأثر بالحديث وأن تتكلم بصوت مرتفع جدا . جاء يخاطب زوجها رجلان فبادرتهما بما فعلت أمس وما فعلت اليوم . وتحدّثت عن الرقص والأكل والشرب حتى الساعة الثانية صباحا . وانصرف زوجها عنها وولاها ظهره يخاطب صاحبيه فجعلت تتدخل فى الحديث مع ذلك بشكل مدهش ولا تترك تعليقها .

هذه امرأة تفضح زوجها . هذه امرأة تدل الناس أوّلا على أن زوجها ليس له نظر لأنه اختارها، مع أن الدنيا ملآنة بالنساء . وهذه امرأة تفضح نفسها لأنه ظاهر أنها «محدثة» . وأنها مفتونة تتحدّث لا لنفسها، ولا لزوجها، ولكن للآخرين .

ليس للمرأة أن تتكلم همسا . ولكن أن تتكلم بصوت معتدل

موزون منسجم مع طبيعة المكان الذى هى فيه، ولا تتكلم بهذا الشكل المبتـذل عن الطعام والشراب والرقص والنوم . فقـد تحدثت صاحبتنا أيضا عن نومها بعـد السهرة وعن استيقاظها فى الصباح لتتفرج على كذا وكذا .

مسكين زوجها ! ... فاذا كانت هـذه المرأة تتكلم بهـذا الصوت الشاذ الناشز عن أشياء عادية فى مكان حافل بالأجانب عنها، من أجانب ومصريين، فى فندق، فماذا تفعل اذا غضبت فى بيتها ؟

هـذه امرأة ينقص روحها السلام والسر. امرأة ليست عريقـة ولا نبيلة . امرأة ليست ثابتـة ولا رزينة . امرأة مسرفة مبذرة . ليست لأفكارها ،ولا لعواطفها ،ولا لألفاظها ، ولا لصوتها عندها حرمة ،فهى تهرق هذا كله فى عرض الطريق ، ولا تتحرج من مضايقة الناس وتزعم لنفسها أن الناس معجبون هائمون بخفتها وفصاحتها .

انما يهيم بهذا الجنس من النساء رجال ثرثارون فارغون ...

رجال يتكلمون فى السـمك والبلح واتمرهنـدى وآثار الكرنك والفوكس تروت فى وقت واحد ! ...

إن الصوت جزء من المرأة . فعليها أن تصونه كما تصون نظرها وجسدها ؛ بل أنه من أعز ما عندها ، أليس هو دليل فكرها ورسول روحها ؟



الغـــــيرة

يقول شكسبير فى رواية عطيل التى خلقها من جديد أستاذنا وصديقنا خليل مطران «... احذر الغيرة، تلك الخليقة الشوهاء، ذات العيون الخضراء التى تغتذى بما تأكله من لحوم البشر» .

وهذا وصف دقيق لتلك الحرباء . وقد رأيتها تنهش حياة سعيدة كانت بالأمس حافلة موفورة، حياة أسرة طيبة هادئة مكوّنة من صديق كريم يعدّ نسيج وحده فى الخلق العظيم . رجل قديس مع أنه عصرى الى أقصى حدّ هو كذلك مثال للرجولة والفضيلة . ولا عجب فهو من سبط شريف ومن معدن نقى . ولكنه تزوّج من سيدة خلفت له ولدين وخلفت له أشدّ المتاعب . كانت زوجته طيبة لولا أنها ذات غيرة جنونية . غيرة لا سبب لها ولا داع إلا أوهامها . فهى لا تريده أن يلبس بذلة جديدة، ولا أن يحمل منديلا نظيفا ! فاذا حلق ذقنه راحت تشاجره وتجادله لماذا يحلق ذقنه ؟ ! إنه يحلقها

لامرأة، لأنها هى زوجته لا تريده أن يحلق ! . مع أنه رجل أنيق ومن أوّل واجبات مهنته أن يكون أنموذج النظافة والأناقة. وقس على هذا . فهى كأنها تريده سجين إرادتها وليست إرادتها عادلة . ولا يمكن تفسير هذه الغيرة على أنها الحب فيلتمس لها العذر إنما هى الطغيان . فليس للزوجة أن تسمم ينابيع حياة زوجها وتسقيه كل يوم كأسا . فالحياة لا تحتمل هذا النكد. والزواج هو قبل كل شىء تعاون على متاعب الأيام ووحشتها فلا يجوز أن ينقلب ضغطا وإرهاقا وظلما . وإذا كان الرجل يريد أن تظهر خادمته فى بزة أنيقة فان ذلك يشرف المرأة أكثر مما يشرف الرجل . وهو دليل على أن البيت يحترم نفسه، ويحترم ضيوفه . فالزوجة التى تنغص على زوجها هذا التنغيص تسىء فهم الواجبات الزوجية وتعتدى اعتداء منكرا على حقوق الزوج وتقتل هناءها وتهدّد مستقبل أولادها. فان الرجل يستطيع أن يجد خيرا منها أما هى فيصعب عليها أن تجد مثاله . وليست البيوت لعبا من الورق تمزق بهذه السهولة. فهذه هى الاستهانة بالحياة وهذا هو النزق .

الغــيرة أيضا

يظهر أن بعض السيدات مريضات فعلا بمرض عضال اسمه الغيرة . فان أمامى رسائل عدة جاءتنى تعليقا على مانشرناه عن شقاء صديق تزوج من سيدة غيور غيرة حمقاء أفسدت عليه وعليها مزاج الحياة . ويظهر من هذه الرسائل أنه لا فرق فى ذلك بين متعلمة وجاهلة وها هو رجل فاضل « ا . م » يعانى ذلك ويحاول أن يعالجه منذ سبع سنين فلا يجد الى ذلك سبيلا . وزوجته سيدة متعلمة مثقفة من أسرة نبيلة وليس فى أخلاقها ما يشين إلا تلك الغيرة الممقوتة التى تكدر صفاء العيش كل حين فهى تأبى عليه إلا أن يكون قعيد البيت وإلا أن يكون شأنه معها شأن صغار التلاميذ يذهبون فى الصباح الى المدرسة ويعودون فى المساء الى المنزل فى موعد لا يعدونه فان أخلفوه جوزوا أصرم الجزاء .

وهو مع ذلك لا يحب السهر ولا يتأخر عن الساعة

الثامنة ولا يضن عليها بالمسرات من سينما أو مسرح ولكنه في كل مرة يعود مملوء الوطاب بعبارات اللوم والتأنيب لأن نظرة بريئة منه وقعت على فتاة عرضا من غير قصد في طريق أو ملهى . وقد أبت إلا أن يكون خدم البيت ممن قبحن صورة ولو سئن عملا . وليس لها عذر . فهو لا يدع محلا لريبة في سيره وهو يقسم :

لعمرك ما أهويت كفى لريبة ** ولا حملتني نحو فاحشة رجلي !

أما الآخر « م . ح » فهو لا يقل شقاء عن إخوانه ولقد كان أساه كامنا حتى قرأ حديث صديقنا فكتب الينا ، والشجى يبعث الشجى . وهو شاب في السادسة والعشرين خريج مدرسة عليا موظف بالحكومة لم يدخن قط ولم يرتكب محرما ولم يشرب خمرا ولم يقطع صلاة أو صياما فهو متدين محسود على دينه وسيره وسلوكه وكثير من إخوانه ينكرون عليه طرق معيشته ويتهمونه بالجمود والتأخر ومنهم من لا يصدق كل هذه البراءة والطهارة . تزوج بعد استخدامه مباشرة من فتاة ريفية عاشت في مصر أعواما واعتقد أن الخيرة في التبكير بالزواج ولكن لم

يمض عليه عام إلا وذاق الأمرين فزوجه تغار عليه من كل شيء ومن لا شيء وهي تنقم عليه حبه أهله وتكرههم كراهية التحريم رغم حبهم إياها وتقديرهم لها . لا تعرف لنظام البيت معنى تقلب كل ما فيه رأسا على عقب حتى إذا ما نظمه بنفسه أعادته إلى ما كان عليه كأنما يعز عليها أن يسود البيت نظام فهي عدوّة لدود له ! جاهلة ... ولم يعلم بجهلها إلا بعد ما قضي الأمر . حاول أن يعلمها فأبت واستكبرت . إذا زارهم قريب لها أقامت البيت وأقعدته إكراما له . وإذا حضر واحد من أهله أعرضت ونأت بجانبها . وقصارى القول أنه الآن كما يقول بين نارين نار الطلاق وله ما وراءه ونار البقاء على حال لا تطاق ويسألني هل عندي رأي لشاب بدأت تظلم الحياة في وجهه ولا يزال بعد في فجر الحياة ! ؟

وحقيقة أن المشكلة عويصة لأن الغيرة غالبا مرض شنيع ينتاب النفس ويتجسم لها . فيجب أن تعالجه هي نفسها ويجب أن نتساءل عن سر غيرتها وسر جزعها ... والغيرة أيضا شعور بعدم الثقة بالنفس أو شعور بعيوب فاضحة

كالقبح الشنيع أو الأخلاق السيئة أو الجهل الفاحش أو الذوق المنحط . فالمرأة لا يجوز لها أن تحاسب زوجها على نظـرته لأن الحساب منها دليل على أن جاذبيتها ضعيفة السلطان عليه وتكرار الحساب يقتل الاحترام المتبادل ويعرض هناءهما للانكسار . بل إنى شخصيا عرفت سيدة أوربية كانت تحاسب زوجها لا على نظرة ألقاها على امرأة مارة فى الطريق بل على النظرة التى تقول له أنه يكتمها فى صدره و بوده لو يلقيها ولكنه لا يستطيع أمامها أن يلقيها فتقول له : « روّح عنك ... وانظر! انظر ! » فاذا نظر فالويل له . واذا لم ينظر فالويل له أيضا !

وقد شهدت مرة شيئا من ذلك فترجمت لها المثل العربى : « إن غيرة المـرأة مفتاح طلاقها » فاعتدلت حينا ولا أدرى الآن ماذا فعل شيطان غيرتها .

ومثل هـذا العيش يجب أن يعالج بالحسنى من الجانبين وأن يفند الرجل لزوجته، أو الزوجة لقرينها، أسباب الغيرة التى هى غالبا نسيجة الأوهام وضرب من خيال سقيم وأضغاث أحلام .

الشيطان

كثيرا ما ينحى الرجل باللائمة على زوجته، وتحمل الزوجة قرينها كل عيوب الدنيا . ويسود فى البيت نزاع يجعل الحياة جحيما . وبعض المقربين عندئذ يجعل الحق على الزوج والبعض الآخر على الزوجة . وكثيرا ما يفوت الجميع أنه قد لا يكون الذنب ذنب أحدهما أو كليهما ولكنه ذنب المصير نفسه .

هذا المصير هو أقوى منا بغير شك . لأنه هو الذى يجمع أو يفرّق بيننا . فكأنه أحيانا سلطة هائلة طاغية لاترحم ولا ترق ولا تعرف للحنان أو للحب حرمة ونجىء نحن نزيد فى هذه السلطة وفى طغيانها وفى تعذيبها لنا بزيادة ما بيننا من اختلافات قد تكون أحيانا تافهة جدا . قد تكون من أجل ثوب تتمناه الزوجة ولا يستطيع الرجل شراءه حالا أو من أجل الذهاب الى سينما أو من أجل ما هو أصغر وأحقر من ذلك . ومع ذلك تتجسم لكل جانب عيوب الجانب الآخر وإخطائه ويتصوّر

أنه يمعن فى تعذيبه أو حرمانه أو ظلمه فتزداد الأمور توترا و يدب دبيب الكراهية فى نفوس كانت بالأمس وادعة رضية .

فعند ما ينشب فى البيت خلاف بين الرجل وزوجه يجب أن يتصوّر كل واحد منهما أن هنـاك شيطانا خفيا واقفا لهما بالمرصاد يحرض كلا منهما على صاحبه حتى يضحك بعدئذ منهما ضحكا مخيفا كأنه قرقعة عظام الموتى .

ومن واجبهما أن يحاولا عندئذ طرد الشيطان . وهـذا الذى نقوله ونشيربه هو ما شعر به أولاد البلد عندنا حتى نسمع الواحد منهم فى شدّة غضبه يطلب من الله أن يخزى الشيطان . ولا يجوز للرجل المتعلم والمرأة المتعلمة أن يكونا دون ذلك خيالا وحبا فى مجاهدة الحياة وجعل المصير أوفر حنانا وأكثر إقبالا .

فاليوم اذا كان قد اعتزم الزوجان الشـجار من أجل أمر صغير أو خطير فانهما حفظا لكرامتهما يتجنبان هذا الشجار أمام أى أحد غريب عنهما ولو كان من أهلهما . فلمـاذا إذن لا يذكران دائما أن هناك شيطانا خفيا اسمه إبليس ينتهز الفرص أو يخلق الفرص لينفذ من خرم الإبرة الى بذر بذور الشقاق بين

الحبيبين والصديقين والزوجين ؟ ولماذا لا يخجلان من أن يتركا من يستغل كل شيء ليفرق بينهما أو على الأقل لينغص عيشهما ؟

ينبغي للزوجين إذن أن يقفا جنبا الى جنب كتلة واحدة ضد الشر الظاهر والشر الخفي على السواء . وأن يتسلحا معا بالمحبة والرغبة فى التفاهم الدائم المقيم ضد الشيطان .

وقد يكون الشيطان أحيانا هو الإنسان ! ...

الطـــلاق

إن الاحصاء الذى صدر عن الطلاق فى مصر خلال العام الواقع بين أول يوليه ١٩٣٠ وآخر يونيه ١٩٣١ ينشر لنا صفحة سوداء لحياة الأسرة عندنا تبعث على القلق والحزن . ففى تلك المدة عقد ٢٨٧٧٥ زواجا بين المصريين ، ووقع ١٥,١١٧ طلاقا ! ... أى أن نسبة الطلاق إلى الزواج هى ٥٢,٥ فى المائة ! . وبمعنى آخر أنه كلما تزوج رجلان طلق رجل . وبمعنى آخر أن المأذون الشرعى يعقد فى اليوم ٧٩ زواجا ويقضى بـ ٤٢ طلاقا ! ! فانظروا كيف تكاد أن تغلب المآتم الأفراح !

وهى نسبة يقشعر منها البدن . وليس من المألوف قط أن تبنى بيوت وتهدم بهذه السرعة الشنيعة التى تدل على الطيش والنزق واتخاذ الزواج متعة ولهوا .

وليست عقود الزواج التى ذكرناها بالتى تستحق أن تعتبر عقودا بمعنى الكلمة، وروح الزواج بنفسه لا بلفظه، لأن من

تلك العقود ٦٠٨٤ عاشت بضعة أشهر فقط ولم تبلغ العام . ومنها أيضا ٥٦٩٥ لم يتجاوز الأربع السنوات ، فهى نسبة يرثى لها فعلا .

وعندى أن الطبقة المستنيرة الآن تتردّد فى الزواج كثيرا ولذلك يقل فيها الطلاق، وأنا أنظر من حولى فلا أجد بحمد الله بين معارفى من طلق أو فكر فى الطلاق ويعيش كثيرون مع بعضهم بعضا فى غير اتفاق تام ولكنهم قد راضوا أنفسهم على قبول ذلك العيش كيفما كان، إذ أدركوا أن الحياة هى مرحلة تجربة شرها أكبر من خيرها، ومرها أكثر من حلوها، فسواء كانوا متزوجين أو عزابا فالسعادة الحقة بعيدة المنال، ولا بد للعيش من فلسفة نتقبل بها الضجر والسآمة والأيام التافهة والليالى المتشابهة وإلا أصبح العيش جحيما .

فهذه الكثرة التى نراها فى الطلاق هى بلا نزاع بين الطبقات الدنيا الجاهلة . وحبذا لو أن مصلحة الإحصاء قد وجّهت عنايتها الى درس ذلك أيضا وتابعت البحث فى هذا الصدد

حتى تلقى ضوءا على أرقامها، فإن أخلاق البلد ماثلة فى تلك الأرقام .

فالعامة والجهال يستسهلون الزواج لأنه لا يكاد يكلفهم شيئا . أجل، إنه يكلفهم بعض النقود ولكن النقود تتدبر . أما الزواج فهو يكلف المتعلمين جهادا نفسانيا قاسيا ، لأنه خروج من منطقة معروف عنها أنها حرة الى منطقة معروف عنها أنها مقيدة، وهو خروج عن عادات ألفها العازب دهرا والتخلى الى حد بعيد عن أصحاب وخلان كانوا رفقاء الصبا والسراء والضراء . وهو خروج من المعلوم الى المجهول، لأن الزواج هنا لا يكفل للرجل ولا للمرأة حق التعارف بمعناه النبيل والوقوف على سرائر النفس واتجاهات الفكر والنزعات والنزوات التى قد تبدو بسيطة، ولكنها هى التى تكون الخلق وتقوم عليها سعادة البيت أو شقاؤه . فعند ما يتنسم المتعلم ريحا للوفاق فإنه يمضى ولا يتردّد غالبا ، ويوفقه الله عندئذ اذا شاء توفيقا أيا كان مداه فهو أطول مدى من زواج لا تبصر فيه بل هو خبط عشواء .

فالجاهل والفقير كلاهما لا يعرف مسئولية الأسرة والأولاد، لذلك لا عجب اذا كنا نلقى ألوف الناس لا يملكون قوت ليلة وعند كل منهم خمسة أو ستة أولاد ، وهم يلقون من الفقر والمذلة ألوانا ومع ذلك لا ينقطعون عن النسل كأنهم يزعمون أن النسل يجدّد الحظ ويتيح الفرصة للغِنى . وهو فى حالات كثيرة يعد إجراما لأنه يقضى بتضييق رزق هؤلاء الإخوة، فلا يعرف أهلهم كيف يجدون لهم الغذاء والكساء والدواء ، فكيف بالعلم والمعرفة .

ونحن اذا تصوّرنا أن ما وقع فى عام واحد من ١٥١١٧ طلاقا قد شرّد وراءه ألوف الأولاد ، لا يعرفون لهم بيت أب ولا يسكنون الى بيت أم، أدركنا جسامة الحالة وشناعتها وأن الناس يبحثون عن لذاتهم البهيمية ويجدونها بسهولة لا تكاد تكلفهم شيئا ، ويجدونها كل يوم بكتابة ورقة وتمزيق أخرى ، والثمن تدفعه الذرّيات الحاضرة والقادمة بالفقر والمرض والجهل والتشرد .

احذروا الخــدم

فى حوادث القاهرة أمس، التى أبى تحرير «الأهرام» أن ينشرها رحمة منه و إشفاقا واستنكافا، واقعة أثيمة حقا، خلاصتها أن خادما فتك بأولاد أسياده، فتك بطفلة عمرها ثلاث سنوات، و بولدين أكبر منها قليلا . ولا يسع الإنسان إلا أن يتساءل : هل هناك حدود يمكن أن تقف عندها وحشية ابن آدم ؟!

ومع ذلك فاننا لو استعرضـنا الحوادث التى تقع من هذا القبيل، وذهبنا فى تقصـيها ودرسها، وإرجاعها الى أصولهـا ومسبباتها، لوجدنا أن و زرا كبيرا من ذلك فى عنق الآباء .

فهؤلاء الآباء والأمهات يجهلون طبيعة الزمن الذى نعيش فيه . وفى الوقت الذى نجدهم يقفون كالأسود الكاسرة أمام كل شاب ينوى أن يتزوج من ابنتهم مهما كان متعلما مهذبا، فيحولون دون الرؤية والمجالسة إلا بألف شرط وشرط، وفى مقدمة هذه الشروط إحضار «الشبكه»، فى الوقت نفسه

نجدهم مستضعفين جاهلين الذنب الذى يرتكبونه بادخال رجل طويل عريض فى بيوتهم، يستبيح أسرارهم، ويراهم فى ثيابهم أحيانا وفى مباذلهم أحيانا ، ويسلمون اليه أولادهم مع أنه قد لا يكون مضّى فى خدمتهم سنة ولا شهرا .

إن أباءنا كانوا يطمئنون الى خدم أشرف من خدم اليوم بكثير . فقد فسد كل شيء، وانحطت الأخلاق . فلماذا نستثنى منها أخلاق الخدم ونظل على ثقتنا بهم ؟! إن الخادم فيما غبر كان يكاد يكون فردا من الأسرة، يربّى فيها منذ نعومة أظفاره، ثم يزوج ويبقى بعد ذلك بوابا أو حارسا فلا يطرد ولا ينهر . وكان الخدم أهلا لتلك الثقة . أما اليوم ، فلا يوجد خادم يبقى فى بيت من البيوت سنين عدة . وتلك الحرمة والقداسة التى كانت للبيوت قد استهتر بها بعض أولئك الأنذال أشدّ استهتار، وأحسوا كأن لهم حقوقا روحية أو جسدية ؟

انظر أحيانا تجد فتاة قد نضجت ، مع أنها فى عامها الثانى عشر، وذلك لطبيعة الجنس المصرى، يمشى معها شاب فى العشرين أو الثلاثين يحمل لها كتبها ويحادثها طول الطريق . كنت

أحيانا أتمنى لو دفعت أى ثمن لأسمع هـذا الحديث . ومع ذلك فليس من الصعب التنبؤ به . فهـذا الخادم الجاهل ماذا عسى أن يقول لسيدته الفتاة؟ ! أيعرف شيئا فى الأدب أو فى العلم أو فى الخلق أو فى الدين وما الى ذلك حتى يحدثها فيه؟ ! كلا! إذًا فهو يعرف شيئا آخر لا يعرف غيره يلقيه على سمعها مستأنسا بضعفها ووحدتها ، وقد يغريه البعض بالمـال فيمهد لهـذا البعض السبيل الى صداقة آثمة ... ويحمل الرسائل .

فنحن أحوج ما نكون الى تسليح البنت بالخلق القوى، لأنه هو الذى يحميها لا الخادم الجاهـل . ونحن بحاجة الى أن نضع حدًا فاصلا بين تلك (المودة) الطائشة وبين تلك الفوضى المخجلة التى نخلقها باهمالنا وعدم رقابتنا أولادنا .

ومن كان فى شك من ذلك فليته رأى ما رآه أحد زملائنا من منظر أولئك الأطفال وهم فى حالة غيبوبة فقدوا معها كل شىء، أعنى الشرف .

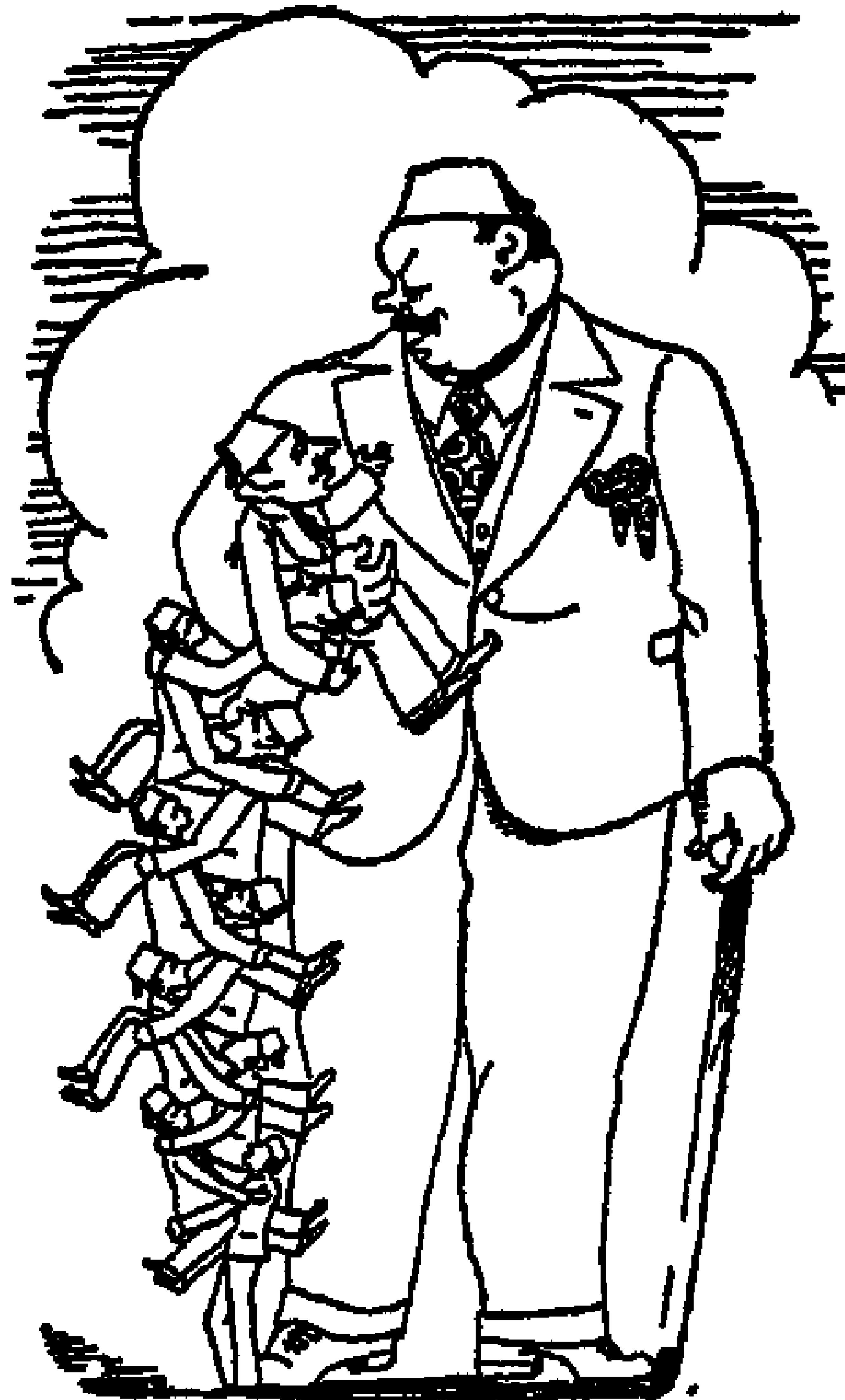
محسوب للايجار !

إعلان هام جدّا وجدّا هام

شاب متعلم طويل القامة من عائلة شريفة له مدّة خدمة طويلة بمرتب بسيط يريد أن يكون « محسوبا » من محاسيب أى عين من العيون البارزة ذات النفوذ مع التكرم بايضاح شروط المحسوبية ليزنها ويستعدّ لأداء الامتحان فيها فمن كان له رغبة فى ذلك « المحسوب » القدير فليتكرم بمخابرة إدارة جريدة الأهرام .

محسوب تحت الطلب

« ع »



إنهذا الشاب الظريف يمزح ولا يقول إلا حقا ، والمزاح ظرف لطيف للحقائق ، فقد ألقى فى روع الموظفين وطالبى التوظيف جميعا أنه يستحيل عليهم الخروج من درجة الى درجة أو دخول الحكومة إلا بالمحسوبية . ولم ننس بعد تلك الصيحة الهائلة التى ألقاها أحد الشهود فى قضية طها إذ قال : إنه وصل الى الخدمة عن طريق إحدى المغنيات . وعندما تصل الأمور الى هذا الحدّ تكون نذيرا بانحلال الأخلاق انحلالا لا قيامة بعده للفضائل .

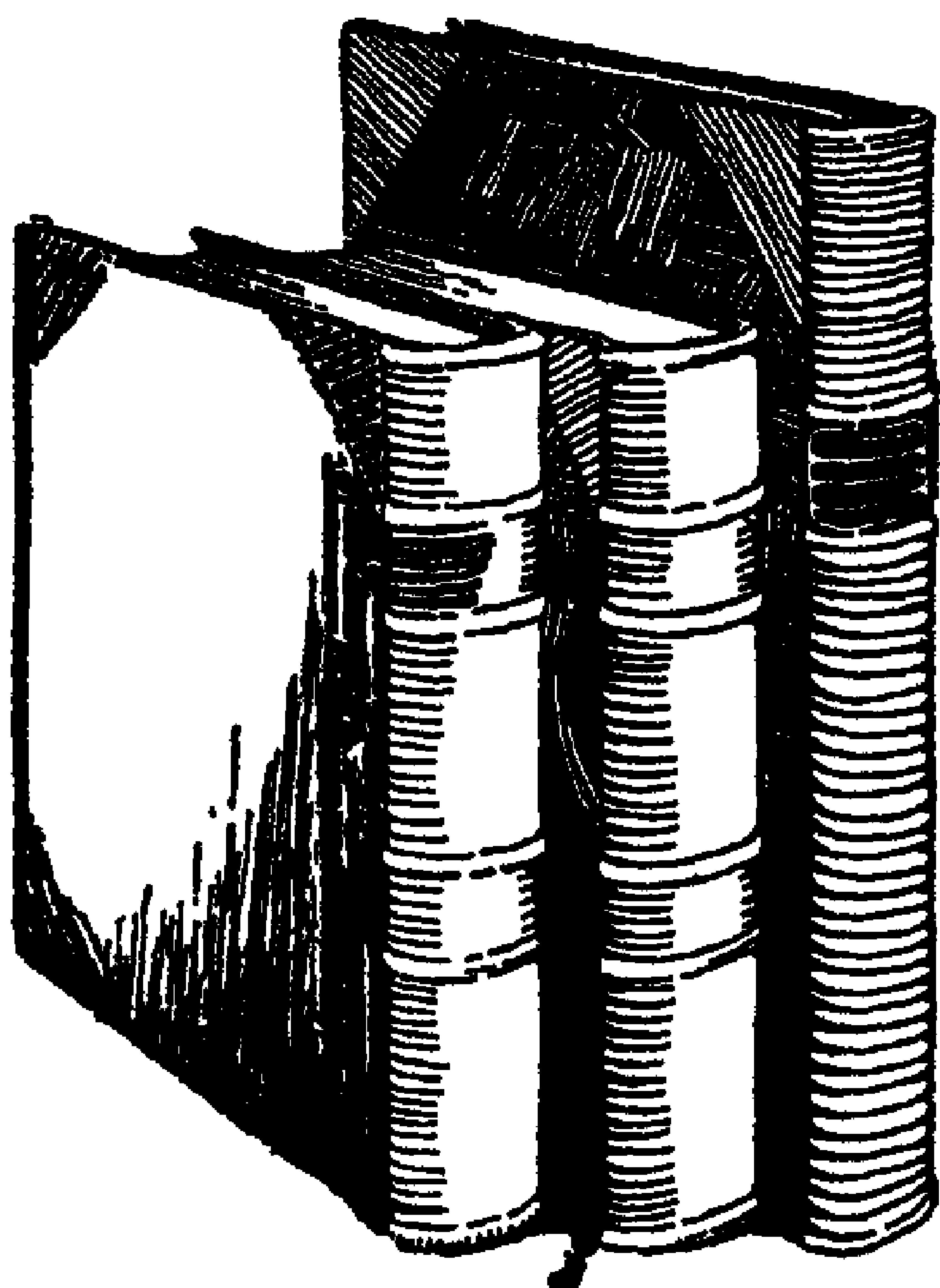
وهذا الشاب الفاضل يرى إخوانا له يقدّمون من فوق رأسه وهو حيث هو يفنى فى درجة دنيئة محروما كل علاوة قانونية ، بحكم قرار مجلس الوزراء ، وكل علاوة استثنائية بحكم حرمانه الواسطة .

والمجالس التشريعية فى كل الأمم هى التى تتولى محاربة أمثال هذه الاندفاعات الخطرة على روح الموظفين المعنوية . فعلى نوابنا وشيوخنا الكرام أن يضعوا « الفرامل » التى تغل

أيدى المسرفين فى الإيثار والحرمان ، لأن كل إيثار لموظف يتبعه حرمان لزملائه طبعا .

ووظيفة النائب عن الأمة هى وظيفة الحراسة ، الحراسة على الأموال والأخلاق، ومقاومة المحسوبية، ذلك الداء الوبيل الذى يجرفنا والذى هو مضيع الأموال ومفسد الأخلاق ...

فهل من مذكر ؟ !



طلاب المحسوبية !

رد على اعلان هام جدا وجدا هام

« أيها الزميل طالب المحسوبية .

أحييك ، وأعطف عليك . حقا إنك كنت ظريفا فى اعلانك ، ظريفا فى كتابتك ، محقا فى طلبك .

ولما كنت من روّاد هذا الطريق وعشاق هذا المبدأ المخضم فقد سبرت غور امتحاناته العديدة ، ولسوء حظى لازمنى النحس فكان نصيبى منه الفشل ، غير أنى خرجت منها ببعض الخبرة . ولما كانت شروط المحسوبية كثيرة ومتنوعة رأيت أن أوجه لك الأسئلة الآتية ، فاذا آنست فى نفسك كفاية لأدائها فثق أنك ناجح لا محالة .

(١) هل لك قدرة على كتابة مقالات المدح والاطراء لمناسبة وغير مناسبة ، ونشرها بالصحف السيارة على اختلاف نزعاتها السياسية ؟

(٢) هل تحسن المقابلات فى الحفلات والسهرات مع إنكار شخصيتك عند الاقتضاء ؟

(٣) هل تسمح لنفسك أن تشرب كأسا نخب من لا تريده اذا قضى بذلك الظرف ؟

(٤) هل تحسن الرقص الأوربى الحديث منه والقديم والتوقيعى؟ وهل لك سمعة طيبة بين العائلات الراغبات فيه؟ وهل لك عليها نفوذ ؟

(٥) هـل أنت أعزب أو متزوج؟ فان كنت الأول فهـل أنت خبير بطريق الرياضة والنزهات ؟ وان كنت الثانى فما هى مؤهلات زوجك فى عالم المدنية الحديثة ؟

(٦) هل فى استطاعتك وضع كامل وقتـك تحت تصرف من يظللك بمحسوبيتـه ؟

(٧) هل لك أوتوميل؟ ما نوعه وما مقدار فخامته؟ وهل يليق بشرف العظـماء ؟

(٨) هل تعرف لعب الورق وكياسة اللعب وأدبه ؟

(٩) هل أنت من غواة فن الطرب ؟

(١٠) هـل أنت (سـبور) تحمل بيديك وعلى صـدرك لفات الحلوى والمشروبات ولا تتأفف ؟

هذه أهم واجبات المحسوب المنسوب ومؤهلاته أدليت لك بها ، وانى لحزين مكتئب لسقوطى فى الامتحانات العدة التى حاولت أن أفوز بها حتى أصبحت أصف نفسى فيها غاوى سقوط» . طالب محسوبية قديم

* * *

حقيقة إن « طالب المحسوبية القديم » هـذا قد درس موضوعه بشكل يحمل على الاعجاب . والشروط التى أتى بهـ

تدل على باع طويل فى المحسوبية ومما يؤسف له أنه على هذا الذكاء وخفة الروح لم يعرف بعد كيف يكون محسوبا، فانى أتمنى له الخير ولو عن طريق الشر، لأن الدنيا أصبحت كلها شرا .

ولكن (الأنكت) من هذين ذلك الخطاب الذى أرسل الى تحرير الأهرام من (ا.ب.ت . بشباك بوستة سنورس) يقول فيــه :

«اطلعت بالأهرام على اعلان الشاب الذى من عائلة شريفــة ويريد المحسوبية لعين من أصحاب النفوذ، وعليه فأرجو أن يفيدنى هذا الشاب بأقرب فرصة عن اسمه ولقبــه وعائلته وأصل موطنهم ومحل اقامته الآن بعنوانى الموضح أدناه ... » .

ونحن لم نعهد أصحاب النفوذ والأعيان يكتبون خطاباتهم بقلم الرصاص ويجعلون عنواناتهم على (شبابيك البوستة) .

ربمــا كانت هذه الرسائل مؤامرة واسعة النطاق لا تلبث أن تتكشف عن نقابة للمحسوبين تتخــذ لها ادارة ومستشارين ومحاسيب للمحسوبين ! ... .

المـال نعمة ونقمة

أبلغ أحد سـكان بولاق (بوليس) القسم أن ابنه خطف بينما كانت شـقيقته عائدة به الى المنزل . فحقق هـذا البلاغ مأمور القسم ولمـا سأل شـقيقة الطفل عن أوصاف الذى خطف شـقيقها قالت إن رجلا كان يسـير مع والدها أخـذ شقيقها منها فلم تمانع لأنها رأت والدها معه وكان فى انتظاره . فاشتبه المأمور ودعا والدة الطفل فقالت أن زوجها عاطل عن العمل من مدّة وليس معـه نقود وفى اليوم التالى ليوم غياب الطفل رأت معـه ثلاثة جنيهات، وعلمت من امرأة أخرى أنه باع الطفل بأربعة جنيهات لرجل لم يرزق ذرية . فقبض على الأب والتحقيق مستمر للاستدلال على المشترى والطفل.

حقا إن هذا آخر الزمان . والظاهر أن القيامة قربت أن تقوم . اللهم لاتأخذنا على غرة وأفسح لنـا بضع سنين نكفر فيها عما تقدّم من ذنبنا وما تأخر ! ...

أهكذا يهون الولد على أبيــه ؟ ! أهكذا يضيق العيش وتسود الدنيا فى وجه الوالد حتى ينزع روحه من روحه ويبيع فلذة كبده بثمن بخس دراهم معدودة ؟ !

أف لك يا دنيا ! كم سهر هــذا الرجل المنكود، وكم كد، وكم شــقى، وقد يكون حمل الحجارة وصعد بها فوق (السقالة) أدوارا وأدوارا ليعود فى المساء حاملا لزوجه وولده طعاما !

أطلقوا سراح هذا الوالد المنكوب واقبضوا على الشارى ! اسألوه كيف طاوعته نفسه أن يختلس ولدا من أمه وأبيه بأربعة جنيهات ملعونة ؟! اسألوه هل شعر أنه يحمل لعبة من خشب وحديد أم يحمل مخلوقا حيا؟! هل فكر كيف ستقضى أم الطفل ليلها بعيدة عن حبيبها الصغير؟! وكيف سيقضى الحبيب الصغير ليله بعيدا عن حضن أمه ؟ !

لأى شيء يا رباه سيستخدم المــال بعد ذلك ؟! بأى مذلة سيقضى وبأى عذاب سيحكم القرش على النــاس ؟ ! ها هو القرش يسلب الرجل الأبوة ويختلس من المرأة الأمومة ! !...

ها هو القرش يقضي بالفراق بين طفل وأهله كأنه الحاكم بأمره المستبد الطاغي ... كأنه نيرون هذا الزمان .

اللهم اذا أعطيتنا مالا فارحمنا ولا تجعلنا نسيء الى هذا الحد استعماله ... واذا قضيت علينا بالحرمان فارحمنا ولا تحكم علينا ببيع أولادنا من أجل لقمة ! ...



لو كان لى ولد !

صرح رئيس وزارة سابق لأحد أصدقائى أنه لما كان فى الحكم كان لا يستطيع أن يحصى عدد مهنئيه بالعيد، فلما اعتزل السلطان جاء العيد فلم تصله إلا أربع بطاقات ! ! ...

ويكفى أن يحضر الإنسان مأتما يمت بقرابة ، ولو بعيدة ، الى رجل فى الحكم فلا يجد فى السرادق موضعا لقدم ! ... ويجد الناس يبكرون بالحضور ويتأخرون فى الانصراف ، ويحلو عندهم صوت الفقيه وتأخذهم نشوة الموعظة الحسنة .

سبحان الله ! ما أصعب النفاق وهو مع ذلك عند أكثر الناس صناعة لذيذة يرمون الى خدمة أنفسهم حتى من وراء نعش الميت ! ...

هؤلاء المنافقون هم الأغلبية ، ولذلك ترى أقلية الصادقين المخلصين فى آخر الصفوف. فإن الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها .

لو كان لى ولد لعلمته الصـدق والشجاعة الأدبية وتركت رزقه على خالقـه ؛ ويستطيع بعد ذلك أن يلعننى فى قبرى، ولكنه لن يستطيع إلا احترام ذكراى .



مهندس الكبارى

من القصص الانكليزية الطريفة ما يروى عن مهندس للكبارى فى ريعان شبابه تخرج من المدرسة بتفوّق فانتخبته حكومة أجنبية لبناء كوبرى وكانت له خطيبة جميلة فوعدها بالعودة اليها بعد عامين وظلا فعلا على العهد يتراسلان على البعد ولكن بعد العامين إذ وفق فى عمله وظهر نجاحه دعته حكومة أخرى لبناء كوبرى أيضا فاعتذر لخطيبته كذلك ومنّاها بقرب اللقاء وهنأها بما أتاح الله لهما من ظهور نبوغه وضمان مستقبله وتعللت هى بذلك . ولكن بعد تمام ذلك الكوبرى دعى أيضا لبناء كوبرى ثالث ورابع وخامس ... والنتيجة أنه اشتهر وأثرى ولكنه شغل تماما بالكبارى عن المحبة وببناء الأسمنت المسلح والحديد عن بناء وكر الطمأنينة وعش الأولاد فعاد الى وطنه آخر الأمر وقد انحنى ظهره وشاب شعره ولم يعد صالحا للزواج ولا للحب ولا حتى لبناء الكبارى ...

وهذا درس بليغ له ما وراءه من عظة فبعض الناس تشغلهم مرافق الحياة حتى أنهم ينسون حقوق الحياة . وتختل موازينهم فترجح عندهم كفة العقل على القلب رجحانا لا عدل فيه للعقل أو القلب جميعا .

فالاتزان هو أساس الوجود. ومبدأ العيش يجب أن يكون عدم الإسراف والتهافت على جانب دون جانب . ففى الحياة أشياء أخرى مهمة غير بناء الكبارى وهى بناء البيوت : بالحنان والحب لا بالطوب والخشب ! ...

دخـــول الدنيـــا

فى بعض الظروف والأحيان يشـعر الانسان بأن لا بدّ له من استئناف الحياة . يحس أن الحيـاة تكاسلت وفترت فهى بحاجة الى قوّة جديدة للمكافحة وغزو مناطق جديدة للسـلوى والعزاء ان لم تكن للفرح والهناء . وجميع الذين لم يتروّجوا يشعرون ان هـذا الاستئناف لا بدّ منـه مع شريكة للحياة . لذلك نحن نفرح عنـد ما نجد صـديقا يتزوّج . نفرح لفرحه لأن الفـرح هو الأمل والرجاء رمز التعلق بالحياة وتمجيـدها . فالذى كان بالأمس يجلس معنا فى مجالس العزاب قـد انتقل الى منطقة أعلى وأسمى والى دائرة ذات قداسة خاصـة ، لأنها دائرة البيت فى ظل المرأة ، فى ظل الزوجة اليوم والأم غدا .

فهذا الصديق يدخل وكله أمل فى هنائه وكله رجاء فى أن يسـعد شريكة حياته . فعلى الزوجة عندئذ أن تقـدر حياة العزوبة التى كان الرجل فيها بين عشرين صديقا كلهم لطيف

العشرة ظريف المؤانسة ... وتعرف أن واجبها خطير وأن مسؤوليتها مرهقة . فيجب عليها أن تقاوم ماضيه كله وتواجه حياة عزوبته بما كان فيها من مفاجآت ومن مودات ومن ملذات بريئة أو غير بريئة وتعرف قداسة واجبها فى إنقاذه من كل ذكرياته ومنحه ما يعوّض عليه هذا كله سواء كان خيرا أو شرا ولتعرف أن عليها أن تسعده بحب عظيم يملأ جوانحها وتضيع فيه الاختلافات التافهة التى تعرض لكل زوجين . وعليها دائما أن تتجنب كل مناقشة . فان المناقشات سخيفة وتؤدّى غالبا بين كل الناس الى الحدة . والحدة يجب ألا يكون لها أى أثر بين شريكى الحياة .

فلتدرس كل زوجة ميول زوجها وأهواءه وتجتهد فى أن ترضى منها كل ما يطيب لها وأن تصلح منها مالا تطمئن اليه . فان زوجها هو أخوها وهو ولدها وهو أبوها فى وقت واحد . أنه أصبح من لحمها ودمها أقرب اليها من أولئك جميعا فكيف تترك قيد أصبع للخلاف فى توافه مادية لم تطلع ولم تنزل ؟

لقد صدق العامة فى قولهم أن الزواج هو دخول الدنيا

وهو دخولها عندنا تحت الأعلام وعلى نغمات الموسيقى والزغاريد والآيات وبين الزهور والحلوى .

فلنحافظ على هــذه الروعة لذكرى دخولنا الدنيا ، ولنجدّد حياتنا الزوجية كل يوم بالحب المتصل المخلص الأمين وبالتعاون المتبادل على الخـير والشر فى السراء والضراء ... فان كل شىء يجب أن يزيد فى حب الزوجين الشابين ، وكل مطلع شمس يجب أن يشرق عليهما كأنهما يدخلان الدنيا لأول مرة ! ...

التأمين على الحياة

أنشأ بنك مصر شركة جديدة للتأمين على الحياة ومتى أنشأ هـذا البنك الوطنى العظيم شركة فان معنى ذلك بيوت مصرية جديدة تفتح وترزق ، ومعنـاه شبان مصريون يتعلمون ويتقدمون فى ميادين العمـل والنشاط ويتقنون ما كان حتى الآن وقفا على الأجانب . فهذا دين جديد فى عنقنا لهؤلاء الرجال النبلاء الذين يديرون هـذا البنك بحكمة غالية ، وفى تواضع ، وفى صمت ، وفى مقدمتهم زعيما الاقتصاد الوطنى وقائدا النهوض المالى طلعت حرب باشا والدكتور فؤاد بك سلطان .

والتأمين على الحياة هو من أهم ضروب الاقتصاد التى توصل اليها الفكر فى العصور الحديثة . والأوربيون قد عرفوا فضل التأمين فطبقوه على حياتهم كلها حتى شمل العمر والبيت والسيارة ، بل حتى شمل أيضا التأمين ضـد العطل والبطالة . ونحن نسمع عن راقصة أمنت على ساقيها مثلا بمائة ألف جنيه .

وهى محقة . لأن هاتين الساقين هما رأس مالها ومن دونهما لا تساوى شيئا . فاذا حدث وسقطت وأصابها رض أو كسر فانها تكون مطمئنة الخاطر بقية حياتها ولا تعانى شظف العيش. وما يقال عن الراقصة يقال عن كل محترف أيا كانت صناعته . فالتأمين يقتضى إيداع مبلغ معين فى كل سنة لمدّة معينة لمصلحة شخص معين ، فاذا حدثت وفاة نال ذلك الشخص كل المبلغ ولوكان مئات الألوف من الجنيهات ولوكان مادفع من أقساط لايتجاوز قسطا واحدا. ومن هنا تأتى ميزة التأمين عن المعاش. فالتأمين أفضل وأحسن . وكل رجل له أولاد فى عنقه هذه المسؤولية ، وكل شاب بعيد النظر لا يتردّد فى التأمين على حياته .

ولقد حدّثنى أستاذنا المغفور له داود بركات أن أوّل يوم سمع فيه المصريون باسم التأمين بصفة رائعة هو عند ما مات الزعيم الاجتماعى المرحوم قاسم أمين . فقد كان المستشار مؤلف « تحرير المرأة » يخطب فى نادى المدارس العليا فى وفد الطلبة والطالبات الرومانيين الذين يزورون مصر ثم عاد الى بيته وقضى

نحبه بغتــة . فروّع عليه أصـدقاؤه وأحبابه لمـا يعرفونه من قوّته وشبابه وكرمه . ولكنهم لم يلبثوا أن علموا بأنه كان منذ ستة أشهر فقط قد أمّن على حياته للسيدة زوجه وأولاده بستة آلاف جنيـه دفعت لهم حالا . فتداول الناس هـذه الحكاية متسائلين ما هو هذا التأمين العجيب الذى تمطر سماؤه الذهب والفضـــة ؟

والآن بعـد ربع قرن تجىء شركة مصرية صميمة لتسـدّ النقص الشاغر فى صـناعة التأمين على الحياة ببلادها . لذلك نغتبط ونقرّ عينا بهذا الظفر وهذا التقدّم . ونشعر بالاطمئنان الى المستقبل . وندرك أن مصر تخطو كل يوم الى الأمام وتربح مناطق جديدة فى ميدان الجهاد الاقتصـادى وتربح ذلك لا بالتهويش ولكن بالعمل الوطيـد والجهد الحميـد والضمان الأكيد . وهذا هو المقصود بالخدمة العامة ، وهذا هو معنى حب الأوطان .

ياليت !

تحدثني نفسي بأني سأكسب الـ ٢٤٠٠٠ جنيه من جمعية المؤاساه. على شرط الا تؤجل السحب هذه المرة، وإلا تكون قد نحدت حظى وعرضت نفسها لطلب التعويض ! .

أعتقد أنني سأحسن التصرف فى هذا المبلغ الكبير وأنه من مصلحة الجمعيــة نفسها أن أكسبه فإنى أتبرع لها من الآن على رؤوس الاشهاد بمبلغ أربعة آلاف جنيه هبة لوجه الله وحبـا بالفقراء، وآخذ العشرين ألفا كل جنيه فوق أخيه، ولأول مرة يصبح رصيدى دائنا لبنك مصر بدلا مما هو مدين باستمرار ! .

ثم بعد ذلك أتبرع لأحباب وأصدقاء وزملاء بألف جنيه، فإن بعضهم عليه ديون وبعضهم يريد أن يتزوج وبعضهم يريد أن يتفرج على باريس ! ويبقى من المبلغ تسعة عشر ألف جنيه أبنى بثلاثة آلاف منها (فيلا روستيك) صغيرة من طراز «باسك» على شاطئ النيـل فى مكان أحبه، الأثير من حوله يوقع ألحانا

شجية، وصفحة المـاء منبسطة أمامه كأنها الرجاء فى الحب ! . وأفرشها بألف جنيه، وأجعل قاعة الطعام فيه ريفية كما لو كانت فى قرية أوربية ، وأجعل ردهة الاستقبال حافلة بجميع آلات الموسـيقى من (البيانو والعود والكمنجة الى الدربوكة والرباب والناى) لأقيم فيها حفلات لعشاق شـو بان ، وأخرى لعشاق (الدلوكة) السودانية وأطلق على الردهة اسم «الفارابى» . أما المكتبة فانى سأقصرها على كتب الحب فى جميع اللغات الحية فاجمع كل كتاب يقدس الحب ويحمل اسم الحب على جبينه كالتاج ! . وأطلق على المكتبة اسم «شهر زاد» .

يبقى بعد ذلك ١٥ ألف جنيه . اشترى منها شقة وجيهة فى غاب بولونيا بثلاثة آلاف جنيه أجدد فيهـا قواى الروحية وأشحذ ذهنى وأصقل تفكيرى بصباحيات الغاب وعصرياته . واطلق عليهـا الاسم الذى كان يطلقه « أناتول فرانس » على داره : « مَغنى سعيد » ! .

وأعيش من إيراد الباقى على ما أربحه من قلمى، وأخرج كتابين فى السنة وأقضى ثمانية أشهر فى القاهرة وأربعة فى باريس

وأعيش على ذلك عشر سنين لا أتمنى على دهرى أكثر منها وأتبرع له بالباقى على شريطة أن يؤاتينى بما أريد ! . أكتب له الان وأختم على ذلك ! .

هل الذى سيربح هذه (النمرة) سيسعد أناسا أكثر منى فى الحياة ؟ !

ترى هل يؤدى للبلد خدمة أكثر من التبرع بخمسة آلاف جنيه وإخراج عشرين كتابا فوق «ما قل ودل» ؟! ترى هل يكون الحظ دائما أعمى فيعطيها الى حيوان يوصف بأنه «ثور الله فى برسيمه» يراكمها فوق بعضها ويعيش أحط من خادم وأحقر من صعلوك !

نسيت وما أنسانى إلا الشيطان فان برنامج الستة الأشهر الأولى يقضى فى رحلة حول العالم أصفها لقراء «الاهرام» يوما فيوما ليحكموا هل طغيت إذ استغنيت ؟! وهل أفسدت المادة من جوهر الفكر أو زادت الشعور، فى الأسلوب، بجمال الحياة وروعة الأمل ! . فأزور معهم الهند والسند وأركب الفيل فى بلاد تركب الأفيال ! . وأزور الصين واليابان، وآكل

من تفاح كاليفورنيا، وأقطن أياما نواطح السحاب بنيو يورك، وأسمع أغانى جزائر هايتى وأرقص الرومبا مع الزنجيات ، وأرى طلوع الشمس فى نصف الليل ببلاد النرويج ، وأزور مقبرة أبى أيوب فى استانبول ، وأقضى أسبوعا فى نابولى وأسبوعا فى روما وأسبوعا فى فلورنسا وشهرا فى الأندلس لنبكى على دولة أسلاف لنا دالت .

عجبا للناس ! . من ذا الذى لا يشترى كل هذه الأحلام الجميلة، طوال هذا الشهر، بورقة مؤاساة ، بستين قرشا ؟ ! ؟

مُنى أن تكن حقا فما أسعد المنى * وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا



مصـــدر السلطات !

فى «الأوتوبوس» : مناظر تقصر العمر، يتمنى معها الإنسان لو قصرت حياته أو تبلد إحساســه . كيف نجمع بين ما نراه وبين صفاء النفس ؟ هل من سبيل ؟ أليس هؤلاء الذين من حولنا هم مواطنونا ؟ هم أهل بلدنا ؟

تأخر «الأوتوبوس» كثيرا فكان منتظروه كثيرين، وغصت الدرجة الثانية . فأمر (الكمسارى) بالصعود الى الدرجة الأولى؛ فصعدت امرأة (بنت بلد) «جزارة» ووراءها زوجها «الجزار» . قال لها : درجة أولى ! فقالت : (وإيه يعنى، هو المفتخر؟ !) ونظرت الى الموجودين باستخفاف واستنكار : نوع من «الباشفية» .

أما رجلها فقد صــعد وهو يعتقــد أن الدنيــا لا بدّ أن تحنى له . وكانت ثيابه مخضبة بالدماء : علامة شريفة للعمل الشريف ، فهو ليس قاتل بنى آدم ولكنه رجل يكسب الخبز بعرق الجبين؛ ولكن القصاب الأجنبي لا يمكن أن يقف فى دكانه وعلى ملابسه نقطة من الدم . فليست الجزارة هى القــذارة .

فما بال هذا الجزار يترك عمله ويخرج مع امرأته ويركب بين الناس بثياب تفوح منها رائحة الدهن والدم التى تصدع الرءوس؟

فلما أبى (الكمسارى) أن يتركه بالدرجة الأولى أرغت امرأته وأزبدت ، وراحت تحلف بشرف الموجودين جميعا أنهما لن يترلا . وأن تلك (الجلابية) القذرة هى أشرف من بذلة (الكمسارى والسوّاق) وناظر المحطة . فلما اعتذر (الكمسارى) بأن القانون يحرّم ركوب صاحب (جلابية) قذرة كهذه بين ركاب «البريمو» وإلا دفع غرامة خرج صوت الرجل متحشرجا من أثر (الجوزة والخناق) يأبى ويستكبر الاعتراض على وجوده فى أى مكان مادام جالسا (بفلوسه!) . واشترك «الأوتوبوس» كله فى الشجار، وكان كل واحد يبدى رأيا ويتفاسف، وأصبحت المركبة أحزابا وشيعا . وانطلق (الكمسارى) يبحث عن (الشاويش) الذى جاء بعد ربع ساعة مثقلا ببندقيته ووزنها عدّة كيلوجرامات، ولكن كان الرجل وامرأته قد نزلا وآثرا مركبة أخرى جاءت وركبا فى الدرجة الثانية . ومسح (الشاويش) على ظهرها قائلا : (معليش) .

لم يكن الوقت له عند هؤلاء الناس قيمة . ولم يكن شعارهم

قبـل (الشاويش) إلا القوة لا (الأصول) . لم يكونوا يعرفون أين يجلسون أو ماذا يلبسون . لم يكونوا يحسبون لمن حولهم حسابا، ولم يكن على الأرض سواهم. هؤلاء هم مواطنونا الذين نحتك بهم كل يوم، نشترى منهم ونعاملهم. هؤلاء هم الأغلبية الساحقة ومصدر السلطات . هؤلاء هم الذين رضينا نحن المتعلمين بجهالتهم ولم نعمل على تنويرهم لا قليلا ولا كثيرا . هؤلاء هم الذين نتركهم يعيشون كالحيوانات ونتنغص برؤيتهم حياتنا ولا نفكر فى إنقاذهم . هؤلاء هم الذين قد امتلأت أفواههـم بالوقاحة وامتلأت عقولهم بالجهالة لا يعرفون الألف من الياء فى الوقت الذى تتناحر الأحزاب السياسية على كراسى الحكم . فلا يوجد حزب سياسى واحد له برنامج اجتماعى مثل برنامج حزب الشعب التركى الذى يفتح فى كل البلاد مدارس إجبارية لتعليم العامة وتنوير أذهانهم ورفع مستواهم ليرتفع بهم رأس البلد .

هؤلاء هم الذين نقبل أيديهـم ليعطونا فى الانتخـابات أصواتهم ثم نحتقرهم بعد ذلك وننكرهم ونزدريهم .

الذهب القاتل !

من أخبار حوادث القاهرة أن أحد الحمالين المختصين بحمل الخزانات الحديدية ونقلها ــ واسمه ابراهيم أبو هنا حسين ــ كان يحاول نقل خزانة من خزانات فرع « بنك الانجلو » بشارع السكة الحديدة فسقطت عليه الخزانة وقتلته تحتها فى الحال دون أن يتمكن أحد من رفعها عنه قبل وفاته وانقاذه . ولما أبلغت الحادثة الى (بوليس) الجمالية انتقل الى مكانها وعاينه ثم شرع فى التحقيق لمعرفة المسئول .

أما التحقيق لمعرفة المسئول فغريب . واذا كان (البوليس) يريد أن يبدى فى هذه المسائل التافهة (شطارته) فليعرف أن المسئول عن قتله هو أكل العيش .

إننى أعرف حملة الخزائن هؤلاء . كنت كثيرا ما أراهم فى صباى ، عمالقة طوالا سمانا كأنهم من جنس جعل ينقرض ، وحل مكانه أقزام . وكنت كلما كبرت تحسرت على أنه ليست

لدينا فرقة كفرق الألمان الحربية « فرسان الهوسار » الذين اشتهروا فى الحرب العظمى، وكانت لهم فيها مخاطر وأهوال .

ويالسوء حظ هذا البلد حتى فى عمالقته وجبابرته ! ... وكنت أتساءل صغيرا : ألم يجد هؤلاء شيئا لأكل العيش أرحم لهم وأجدى عليهم من حمل تلك الخزائن الحديدية التى كأنها صخور الأهرام؟! ثم لما تقدمت بى السن عرفت أن الحياة كلها أثقال ، يحملها العقل مرة والقلب مرة والجسم مرة .

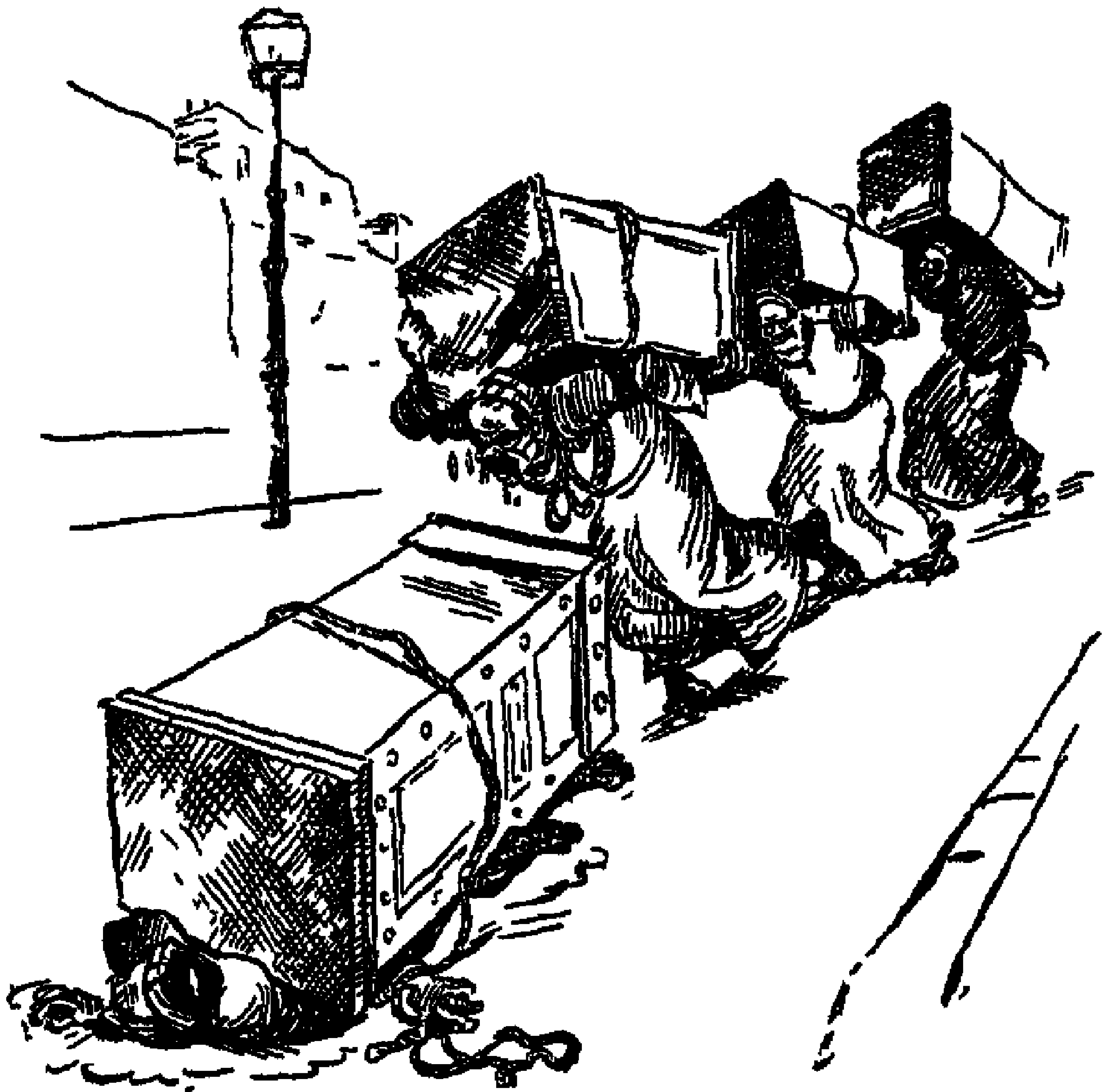
كم من رجل يجلس الى مكتبه وعلى ظهره مثل تلك الخزائن الحديدية ثقلا وهولا !... كم من رجل يسير فى الطريق أو يركب السيارة وعليه أحمال من الديون والهموم أثقل من الخزانة التى قضت على إبراهيم أبو هنا .

ومنذ أقدم الأزمان وصف أبو العلاء المعرى الحياة بأنها تعب كلها . ونحن اذا مارأينا رجلا ينوء تحت عبء من الحديد والنحاس أو الخشب والرصاص عذرناه ورحمناه ، ولكننا اذا جاء وقت الحساب قترنا عليه فى القرش والدانق ! ...

إن المسئول عن موت الفقير هو الفقر . ليت سيدنا عليا رأى الفقر رجلا فقتله كما تمنى وخلص الناس منه ! ... وأما المقتول فقد استراح ، وسيجوع أهله من بعده لأن حمل الخزائن الحديدية ، مهما تثقل حتى تقتل ، لا يدر الذهب والفضة .

ليست لهؤلاء العمال نقابة ، فالجوع يقف على باب العامل في اليوم الذي يمرض فيه ، ويدخل بيته في اليوم الذي يموت فيه .

الله لهم ! ...



رسـالة الفضـيلة

هل يكتب الكاتب لكى يعجب القراء ويفتنهم فيقولون: يا له من كاتب ما جاد الزمان بمثله ؟ !

هل يكتب لكى يرضيهم ويتملقهم ويرثى القتلى تارة ويمجد القتلة تارة أخرى؟ ويعـزى الجبناء مرة ويهنئ الوقحاء مرة ثانيـــة ؟

هل هذه هى وظيفة الكاتب ؟

كلا ! لأنه عندئذ لا يكون كاتبا وإنمـا يكون مهرجا . يكون « بليـاتشو » يصـبغ وجهه بالبودرة ويخرج ليضحك النـاس .

ليس الكاتب هو الذى يكون الألفاظ ويجبرها على الورق كما يلوك البعير طعامه . إنما الكاتب الصادق الأمين، هو الذى يحيا ويشعر... وينظر الى نفع الناس لا الى نفع نفسه . لأنه عند ما يكتب لايشعر بوجوده هو بقدر ما يشعر بوجودهم هم،

يتطلعون اليه ، ويثقون به، ويؤملون فيه . عندئذ يؤاتيه الفكر بعد الشعور والتأمل .

ومهما كان الجمهور الذى يقرأ لهذا الكاتب منوعا مختلف النزعة والتربية فانه سيشعر بعد زمن ، إن طوعا وإن كرها، بشيء من الاطمئنان الى أقواله فيتحرك ويقصده، ويتوجه اليه بالشكوى مما يضايقه فى الشؤون العامة والخاصة .

وهذا هو الفوز العظيم .

خطرت لى هذه الكلمات عند ما زار « الأهرام » أمس شاب فاضل يدرس الحقوق وينوى الاشتغال بالصحافة عقب تخرجه . فقلت له : إننا بحاجة الى عناصر جديدة كريمة تدخل فى هذه المهنة لتطرد منها الطفيليات والحشرات التى ترتع فى أعراض الناس وتعيش من وراء ذلك بالسحت الحرام وتفسد كرامة المهنة .

نحن بحاجة الى شباب أقوياء بالفضيلة والاعتزاز بالنفس، والترفع بل والكبرياء، لا ينزلون ولو ماتوا جوعا الى الحمأة التى

يتمرغ فيها الزعانف الخاملون الذين كل حيلتهم وبضاعتهم القذف والشتائم .

فعلى من يريد احتراف مهنتنا أن يكون من المؤمنين برسالة الفضيلة . يعتبر المسائل العامة مسألته الخاصة التى يناضل عنها ويدافع ، ويعيش من أجلها ولا يتردّد فى ذلك ولو راح فداءها .

دار المـــرأة

فى يوم من أيام نوفمبر ســنة ١٩٢٨ وقفت ســيارة زرقاء فخمة فى عطفة الشماشرجى إحدى حوارى شارع محمــد على . ونزلت منها أربع ســيدات كريمات : زعيمة النهضة النسائية السيدة هدى هانم شــعراوى والسيدة عقيلة الدكتور مكلانهن مدير الجامعة الأمريكية بالقــاهرة وسائحتان أمريكيتان من صديقات الســيدة الأخيرة . وكان فى الحارة رحبة فيها حنفية عمومية يستقى منها الفقيرات المــاء بالصفائح ... وصعدن السلم المتهدّم . وكانت تلك دار الاتحاد النسائى لليتيمات الصغيرات . فكانت نواة تربية وتعليم للواتى حرمن عطف الوالدين أو أن آباءهن لا يملكون كثــيرا ولا قليلا . كن تحت رعاية ملك طاهر وأم حنــون وسع قلبهــا كل من يقصدها طالبــا رحمة أو مكرمة . فشمل برها ورحمتها الوفا ممن سيظل الناس يجهلون أسماءهم أبد الدهر . ومع ذلك فان النــاس لا يرون اليوم من

فضلها وإحسانها إلا أقله ، لا يرون من هذا القلب العظيم إلا قطرة ، ومن هذا النور المستفيض إلا لمحة ...

ليت هاتين السائحتين الأمريكيتين اللتين اغتبطتا يوما مـ وفرحتا بأولئك الصغيرات ، فى ذلك البيت المتواضع ، ينسجن الملابس ويحكن السجاد ويتعلمن علوم الدنيا والدين ، ليتهما كانتا معنا أمس ، لتشهدا بما تقطع دونه أعناق الرجال . لتشهدا قصرا جديدا بشارع قصر العينى هو (دار المرأة) اند راتى وقفت السيدة هدى هانم شعراوى لا تتذوق لهناء ولا للرحة طعما قبل أن تراها تقوم وتنهض عن الأرض حجرا حجرا ومترا مترا . فإذا هى فسيحة منيفة . وإذا هى فى عـ م واحد قد تم لها كل شىء . صبرت وظفرت . وكانت عند عهدها وكان العهد مسؤولا .

ليست ألوف الجنيهات وحدها التى تبرعت بها هى التى نشيد اليوم بذكرها . كلا . إن المال هو آخر أفضالها وإحسانها . إنها قد وهبت حياتها للخير وهذا سر عظمتها . إنها

تعيش كل دقيقة من أيامهـا ولياليها لا تكاد تذكر إلا هؤلاء الصغيرات اللواتى رأيناهن أمس كالزهور وقد تربين فى حماها فهى الراعى الأمين .

ان هذا اليوم هو أسـعد أيام حياتها ونحن نعلم ذلك عن يقين . انهـا كانت تنتظره بفارغ الصبر وكانت تعمل له منـذ سنين . وهذه هى الهمة الشماء والعزيمة المـاضية والصبر الذى امتازت به المرأة منذ الأزل، وكان من أخص صفاتها النبيلة .

أتراها ستستريح الآن ؟ ! والله ما أظن !... ان هذا الفرح الجديد هو قوة جديدة ستصرفها كلها فى عمل جديد . إنها ستواصل مهمتها غير عابئة فى ذلك السبيل بجهد أو تعب أو مرض . انها كانت لا تستطيع الوقوف على قدميها من وفرة ما بذلته استعدادا لعيد اليتيمات وكانت تتجلد وتقاوم حتى أنهكها المرض ولزمت الفراش زمنا ولا يعرف النـاس من أمر ذلك شيئا . وهذا هو أنفس الاحسان. هذا هو أجمل البر . هذا هو أشرف الجود . هذه هى المروءة ماثلة بكامل معانيها فى أروع أشـكالها .

فانت يا من تسـير فى شارع قصر العينى ، إذا ما جاوزت مدرسة الطب وجدت بجوارهـا الى يمينك (دار المـرأة) ... فاحن الرأس إجلالا ،لأن هنا هدى ورحمة ،هنا صفحة فى التاريخ بيضـاء ...



أيتها الراقصـــة !

قامت فى تلك الأيام مسابقة للرقص فى « جروبى » ، كانت هى المسابقة النهائية بعد طول التجنى والدلال من المحلفين ، وبعد التلويح للصبيان والبنـات بالجائزة الأولى والجائزة الثانية والجائزة ... والجائزة ... وقد طلب الىّ صديق عزيز أن أحضر تلك المسابقــة لأرى بعض فتياتنـا المصريات ؛ فقلت له إن الحياة لا تنقصها همــوم ، إن هؤلاء الفتيات لا يرتكبن وزرا ولكنهن يقفن موقفا لا يشرفهن . ربما زعمن أن فى تلك الحلبة الراقصـة يجدن العــريس ، وهنّ اذا وجدنه فعــلا فلن يكون إلا عريسا هازلا لا وزن له .

إن الرجل العـاقل لا يختار زوجتــه من بين الراقصات . وهؤلاء الفتيات اللواتى يشـتركن فى تلك المسابقات ينزلن الى مستوى مختلط ، أكثره مبتذل ، من العاملات والطائشــات

والمغامرات . فالفتاة التى تدخل فى هذه الزمرة الغربية يجرى عليها الحكم العام، وهو ليس من صالحها فى شىء .

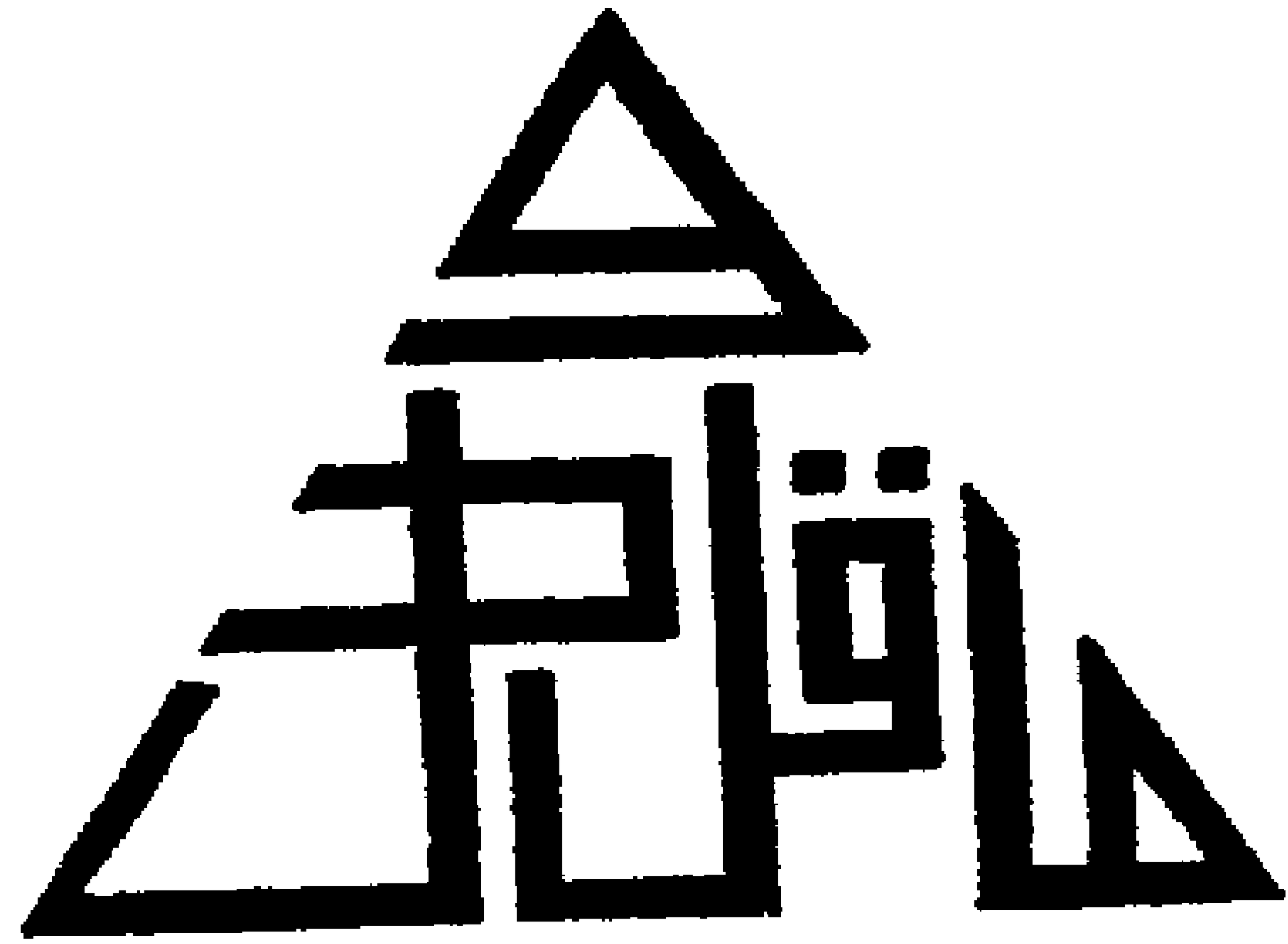
لقد خفّت سورة الرقص فى أوربا خفة مشاهدة ، وخفّ ذلك السعار الذى انتابها «بالجاز بند والشارلستون» بعد الحرب، وانصرفت الفتاة الآن عن ذلك الى ماهو أولى بذكائها وأحفظ لكرامتها. فالفتاة المصرية، سواء أكانت مصرية صميمة أم مصرية مختلطة، يجب أن تدرك أن مسابقات الرقص ليست بالمضمار الذى لها أن تفخر فيه أو تزهو به، أو تتسابق حتى يتصبب عرقها وتنهد قواها . فلتتنازل عن تصفيق شبان أيفاع من الذين يحلقون حواجبهم ويرسمونها كما لو كانت مخطوطة بعود الكبريت ، أولئك الذين يسيرون عراة الرءوس ليست لهم حرفة، ولو تخلى عنهم آباؤهم وأمهاتهم لماتوا جوعا . فلتتنازل عن تصفيق أنواع «الچيجولو» وهم أشدّ خساسة من المرأة التى تبيع عرضها لتأكل خبزها ، ولتعلم إذاً أن الفوز بجائزة فى مرقص شائع هو أدعى الى الخجل والاستحياء منه الى الغرور والمباهاة .

إن هؤلاء الأوربيين لم يرقصوا إلا بعد ما عملوا وسهروا ودرسوا وألفوا وصنعوا وابتكروا واخترعوا وملئوا الدنيا فكرا ونورا . أما نحن فما زلنا فى أول الطريق كالطفل يحبو الى العلم والمعرفة والتحرر من العبوديات التى نرزح تحتها ، فاذا جاءت فتاتنا الجديدة تهز خصرها فى مسابقة عامة يشهدها كل من هب ودب بخمسة قروش ، فهو دليل على أن ميزانها مختل ، وأنها تأتى البيوت من غير أبوابها ، وأنها تعرض بسمعتها وحرمة بلادها للضياع ، وأنها ناشئة مغامرة خارجة على المجتمع المصرى الذى يعمل العقلاء على النهوض به ، ولن يكون نهوضه إلا بالفتاة العاقلة الرشيدة التى تعرف الغى من الرشد ، الفتاة التى قبلت حتى الآن القيود والأغلال فى كبرياء وشهامة وأبت أن تكسر تلك القيود والأغلال أول ما تكسرها فى حلبات الرقص ! ...

كَمُلَ طبع ثلاثة آلاف وثلثمائة نسخة من كتاب
« ما قل ودل » بمطبعة دار الكتب المصرية
فى يوم الأحد أول يوليه سنة ١٩٣٤
(١٩ ربيع الأوّل سنة ١٣٥٣)

محمد نديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٤/٨ , ٣٣٠٠)



الثانى

مطبعة دار الكتب المصرية

١٩٣٤

وجدانيات



أين قرائى ! ؟

كلما فكرت فى أنى سأعيش وأموت جالسا على مكتبي حزنت على مصيرى . لشد ما أتمنى أن أكون صيادا للضوارى فى الغابات والأحراج ! ... وأن أفعل ما يفعله أولئك المستكشفون الشجعان الذين يعيشون مع الموت فى كل لحظة بحيث لم يعودوا يهابون الموت ! ...

يقولون : إن كل انسان يكره صنعته . أما أنا فأحبها ، وقد ضحيت كثيرا حتى أصل الى مزاولتها . فلما وصلت حققت أمانىّ الى أقصى حدّ . ولكن النفس تتجدد ، وكذلك الأمانى . وفى كل يوم تختفى مطامع وتولد مطامع . والذين يشتغلون بالفكر للفكر لا يحسبون للمال حسابا . يريدون أن يكسبوا كثيرا ليبذلوا كثيرا ، ويبذلوا فى سبيل تحسين المصير ، فى سبيل الهناء والمثل الأعلى ، فى سبيل الخير والتسامح والمحبة ، فى سبيل جعل الحياة حياة (٢٤ قيراط) .

فى رحيلى الأخير عن أوربا مررت بمدينة « شامونى » بجنوب فرنسا على حدود سويسرا حيث الجبل الشامخة المغطاة بالثلوج الناصعة كالحليب . ولقيت فى الفندق رجالا ونساء لا همّ لهم إلا حديث الجبل وصعود الجبل . كانوا يتحدثون عن ذلك ويعدون له المعدات بشغف وتهور . وكانوا يصفون رحلاتهم الماضية ويصورون رحلاتهم القادمة فى غزو الجبل كما لو كانوا عشاقا هائمين . تتكلم النساء عن الجبل كأنه رجل ، ويتكلم عنه الرجال كأنه امرأة : عشق نبيل . فى الحياة أكثر من عشق واحد . عشق الطبيعة ، عشق ترويض النفس على الشدائد ، عشق الخطر والمجازفة . ليت شبابنا الناعمين كانوا هناك ليسمعوا ويعرفوا أن هناك فتيات أشد رجولة منهم وأوفر كرامة وأكثر تذوقا لمعانى الوجود .

الحياة قصيدة : بعض الناس يرسمها بأبيات من الشعر ، وآخرون بألوان من الزيت ، وغيرهم بنقود من الذهب ، وغيرهم بالتخنث والدعة ، وغيرهم باقتحام الدنيا وفتح أبواب جديدة مجهولة قد يخرج عليهم منها الموت ، وقد تخرج حياة جديدة .

نابليون الذى دوّخ الدنيا كانت النـار فى صدره . سـعد زغلول الذى تحدى الانكليز كانت الثـورة فى قلبه . قاسم أمين الذى قاوم البلاد كلها كان الإصلاح فى عقله .

فلنسأل أنفسـنا كل يوم ماذا نحمل فى صـدورنا وقلوبنا وعقولنا؟ وأية رسالة هى رسالتنا؟ وما هو معنى وجودنا ؟ ومن أى شيء نظمت قصيدة حياتنا؟ وهل نعيش لأنفسنا فقط دون المجموع؟ واذا كنا نعيش لأنفسنا فلأى جانب من جوانب تلك النفس نعيش ؟ ...

لقـد تمنى « بول موران » مرة أن يحشد قراءه فى ساحة عظيمة مثـل « الكونكورد » ويفتح معهـم فتح ، أو يقوم بغزوة ما .

واليوم أتمنى ذلك مثله .

الكآبة

فى بعض الأحيان تطغى الكآبة على النفس وينفد صبر الإنسان، وفى الحزن شيء من مخافة الحياة، فالحياة مهيبة ولا شك ونحن نسخر منها فى حين أنها هى التى تسخر منا . أفراحها طائشة لا دوام لها ما إن تأتى حتى ترحل، وأحزانها ضيوف ثقيلة كثيرة التردّد طويلة المقام .

أمس جلست على حافة صحراء «هليو بوليس» أتأمل فى الأفق البعيد كأنه البحر بغير غوانى الإسكندرية، فشعرت بأن للنفس حقها من الوحدة، وعليها أن تدفع فى وحشتها ثمن ما تجرعته من قطرات الهناءة وقلت : ترى لو أننى الآن فى الإسكندرية على رمال « ستانلى وجليمونو بولو » ، فهل كنت أكون أسعد حظاً ؟

كلا، أعتقد أن وحشتى تزداد بين تلك الجماعات الصاخبة المرحة المستهترة الناعمة القاعدة المستلقية باسترخاء ودلال تعبث

بنفسها وبعقول الشباب، وقد ضرب الشيوخ من حولها نطاقا من نظرات تبرق بالأماني المستحيلة .

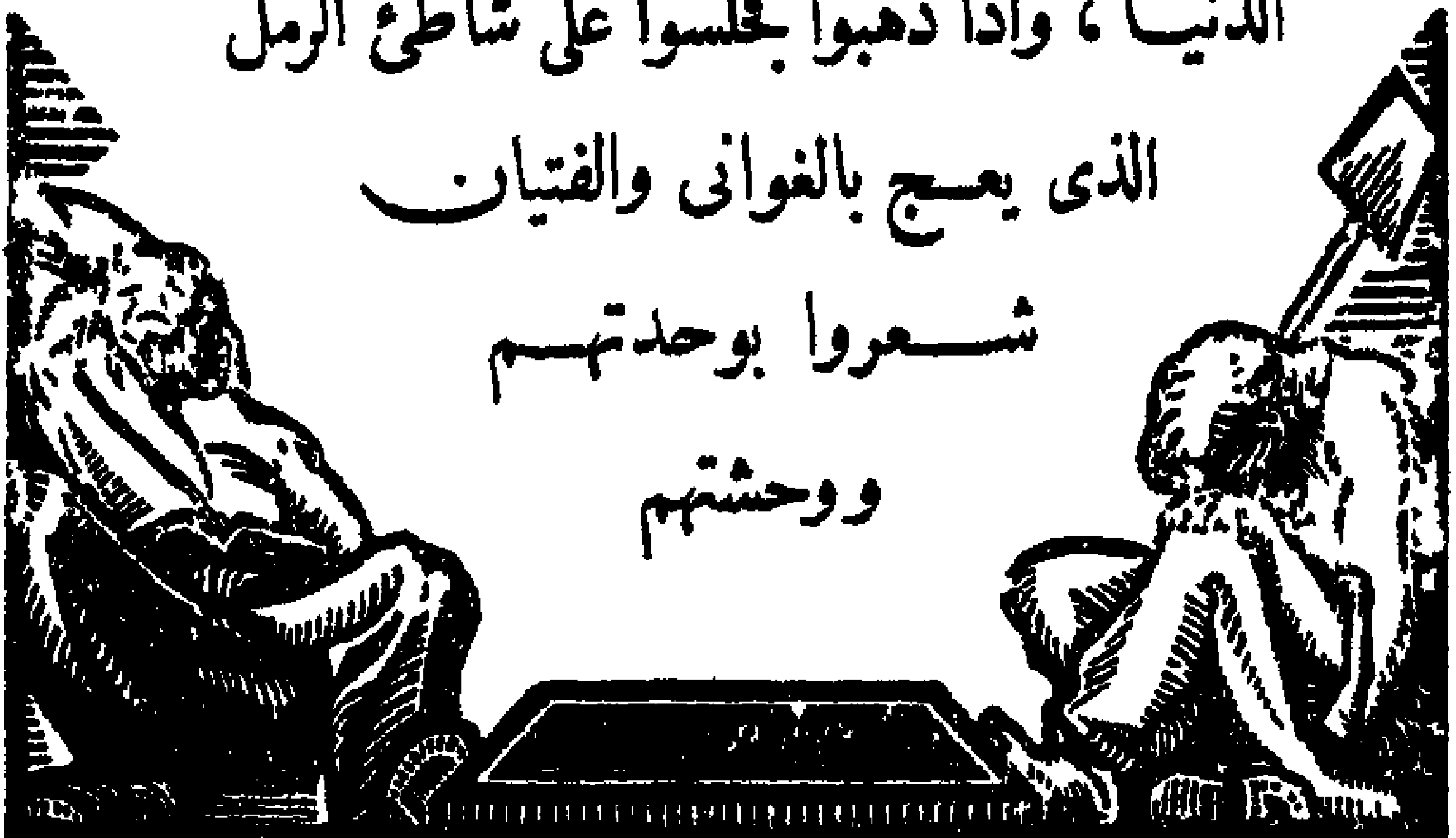
والوحدة عبادة، عبادة السكوت والسر، وهى تلك الصيحة الأزلية التى صاحها «كارايل» مناديا ببناء الهياكل والمحاريب لعبادة السر والسكوت ، والسكوت يطهّر الأيام . واذا كان الكلام من الزمن فالصمت من الأبد .

وشفاه الأصدقاء والمحبين هى التى وحدها تتعبد للسر والسكوت ولو تكلمت . وشفاه الغادرين والمنافقين هى التى تجدف بالسر والسكوت ولو لزمت الصمت .

خذ كل واحد على حدة من الذين تحسبهم أسعد الناس، خذ أجمل فتاة على رمل الإسكندرية واسأله أو اسألها ما سر سعادته أو سعادتها، فتخرج بجواب مبهم غامض لا دقة فيه ولا صراحة . ولعل خلاصة أجوبة السعداء حقا هى أنهم سعداء لأنهم قد نسوا الأمس ويعيشون اليوم دون التفكير فى الغد .

ومن حكايات الشرق أن سلطاناً وصف له ساحر قميص رجل سعيد يلبسه ليسعد، فظلوا يبحثون فى جميع أرجاء المملكة عن ذلك الرجل السعيد ، حتى وجدوه ، ولكنه لم يكن عليه قميص !...

فكما يعيش الحداد الذى يطرق حدوة الحصان كل يوم ويبيعها ويأكل بثمنها يعيش السعداء . أما الذين يفكرون تفكيرا يشمل الأمس واليوم والغد، فهم كالمضارب فى (بورصة) القدر . ونجد هؤلاء اذا جلسوا وحيدين على حافة صحراء « هليو بوليس » كان لوحدتهم صراخ كأنما اجتمع فيه ضجيج الدنيا ، واذا ذهبوا فجلسوا على شاطئ الرمل الذى يعج بالغوانى والفتيان شعروا بوحدتهم ووحشتهم



الكآبة أيضا

« كثير من النـاس فى هذا العصر المـادى الخلو من كل معنى سام يأنسون الى ما تكتب بعنوان «ما قل ودل» ، واذا قلت «النـاس» فما أقصد إلا الذين تربطهم و إياك رابطة روحية معنوية .

وكاتب هـذه السطور ينتسب الى تلك الفئـة ، وقد آلمه منك أنك تتألم وتبيح لنفسك أن تعلن عن ألمك ووحشتك ، ولا بد أن ألمك هذا سوف يطغى على جميع قرائك فكم يسبب ألمك للناس ... ؟

مابالك ياسـيدى تطغى عليك الكآبة وينفـد صبرك فتكاد تختنق بالحزن وما للحياة مهيبة ! إذن فعذرا « لمودة الانتحار » التى أصبحت شـعار المتبرمين من الحياة ...

ليست حياتك إلا أنت ، فلمـاذا تسخر من نفسك ؟ ولقـد كنت أظن أنك وصلت فى حياتك الى المرحلة الحـالية من الأفـراح والأحزان التى تنتاب عامة الناس من مصيفى الاسكندرية على رمال «استانلى وجليمونوبلو» ... الى الركع السجود فى المساجد والكأس والمحاريب والهيا كل ... ؟

... وما بالك أيها الاجتماعى تدعو الى الوحدة لأن الوحدة عبادة ؟ نعم إن ،

الوحدة عبادة ولكنها للزاهدين فى الحيـاة وللذين قصرت همتهم على أن يعيشوا بين الناس ؛ ان الوحدة ياسيدى مضادة لناموس الحياة ، وهى هروب وجبن ، ولا فارق عندى بين المتحرين وبين الذين يؤثرون الوحدة ، فما لها خلقنا ، بل خلقنا للجلاد والتجربة والامتحان ، ذلك هو الدين وهو الواجب .

وأخيرا أرجو أن تعمق على هـذا جزاء وفاقا للشك واليقين اللذين ملأت بهما كلمتك .

على أنى أرجو أن يكون التعليق مستخلصا من كلمتك : «ونجد هؤلاء اذا جلسوا وحيدين على حافة صحراء «هليو بوليس» كان لوحدتهم صراخ كأنما اجتمع فيه ضجيج الدنيا واذا ذهبوا فجلسوا على شاطئ الرمل الذى يعج بالغوانى والفتيات شعروا بوحدتهم ووحشتهم » .

وآمل أن تكون فى تعليقك مراعيا أنك فوق الأفـراح والأحزان المتولدة من الجلوس وحيدا أو بين الحسان ، كلا ولا بين جدران المساجد والكنائس والكهوف » .

المخلص — ع . ع . س المحامى

كلا يا سـيدى العزيز لست فوق الأفراح والأحزان لأنى بشر مثلكم ، ولى الحق فى الفرح والحزن ، ولى الحق فى الوحدة والوحشة ، والألم يطهر كالنار ، واذا لم يألم الكاتب ويرسم ألمه ويشركه فيه قراؤه فمتى تكون الصلة الروحية بينهم ، ومتى يكون

التعاون النفسى والفكرى ؟ أليس العهد بيننا أن نكون على الخير سواء ؟ أليس خطابك هذا نفسه على ما فى ظاهره من نقد وملامة هو فى حقيقته ألم وعزاء ؟ !

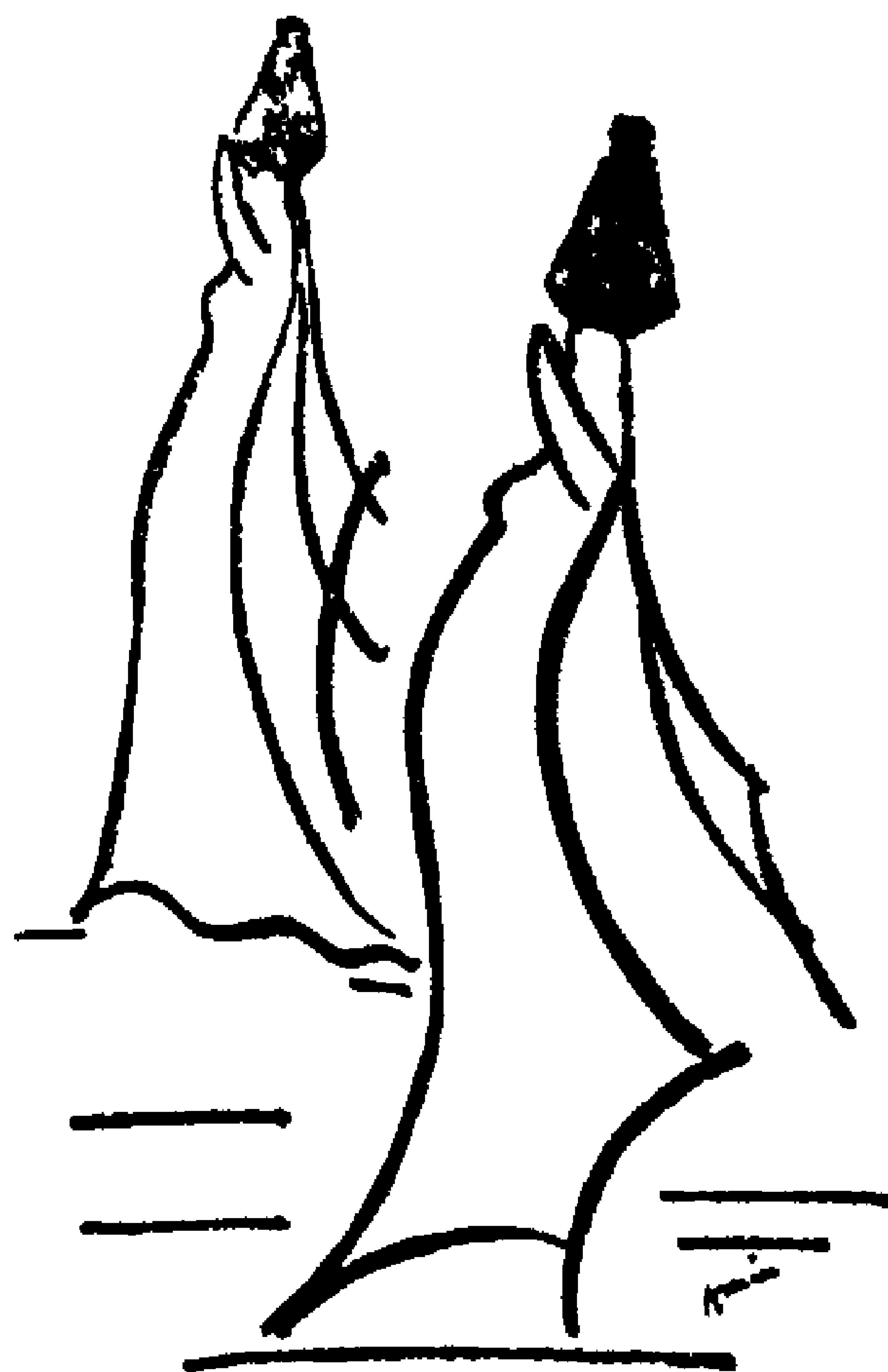
نحن إذًا قد ابتسمنا كثيرا وسخرنا كثيرا واجترنا بلا ريب مراحل كثيرة فى بهجة ومرح، وانتصرنا للضعفاء، وتآزرنا فى الدفاع عنهم كتابا وقراء لأن الكاتب بغير قرائه لا يساوى شيئا .

واذا كان " نيتشه " الفيلسوف الألمانى يحتقر قراءه ويقول : «إننا لو علمنا حقيقتهم لما سطرنا لهم حرفا» فإننى — والقياس مع الفارق — أحب قرائى وأتخيلهم دائما أمامى ، ولكن كيف لا تكون لى حرية الحزن وحرية الوحدة ؟ وكيف يفرض بعد كل الذى كتبناه أن نفوسنا لا تمر بمناطق فيها النور والظلام، وفيها الفرح والحزن، وفيها الضحك والبكاء ؟ !

ليست الوحدة جبانة ، ولكنها تطهر النفوس كالصوم . أليس الصوم عبادة ؟ !

وليس الزاهدون فى الحياة هم الذين قصرت همتهم دائما،

وليسوا بالهاربين من الجلاد والتجربة والامتحان ، بل إن الوحدة هى درجة تصوف تصل اليها النفس بعد جميع التجارب ، وبعد الحرب العوان بينها وبين ميولها وبين الناس . أليست الوحدة هى التى تفصلنا عن البشر لتصلنا بالله ؟



أحـــلام طائر

أصبحت القاهرة مثل لندن وباريس فى حركة السيارات . بل ان القاهرة بسياراتها أجمل كثيرا وأغنى من لندن وباريس . ففى عاصمة الانجليز تجد سيارات الرولز رويس وبعدها مباشرة سيارات مسخوطة كالسلحفاة ... تستطيع أن تمشى تحت الأمنيبوس ! ... فتجد مظاهر الغنى الطائل ثم مظاهر الاقتصاد التام . ولا تجـد بين بين . وكذلك فى باريس فان السيارات إطـلاقا متوسطة الحـال ، متواضعة بالنسـبة للفخامة الـتى فى عاصمتنا لا سيما اذا قدّرنا أن القاهرة فى حجمها وعدد سكانها ربع باريس ... واذا قدّرنا ان سـعر البنزين هنا ضعفه فى أوربا .

ذلك أن الشرقى يميل بطبعه الى مظاهر الفخفخة والوجاهة . يحب الزينـة ، والنفخة ، وليس ذلك فينا وحـدنا ، بل انه فى أسلافنا من عرب وفراعنة من أقدم الأزمان ، والأهرامات

التى جندوا لها مائة ألف شخص يتغيرون كل ثلاثة أشهر كانت جعلت لتكون قبرا ! ...

ومع ذلك فان للسيارة فوائد جمة . بعض الناس يركبها لأنه يحب أحلامه . فالسيارة تعزله عن العالم وتجعله فى عالم قائم برأسه، تجعله فى مجتمع نفسه . فيعيش بين ذكرياته وخواطره، يعيش بين ماضيه وحاضره . فلا يعانى آلام الاختلاط بالناس ففى كل خطوة مأساة . يعترلهم بعض الوقت ترويحا لنفسه وحتى لا يألم لهم باستمرار . حتى يألم لنفسه اذا شاء؛ فان بعض الذكريات يقطر الدموع وبعض الذكريات يقطر الدماء ...

فهذا الجو النفسانى يحتاجه أهل الأحلام . وقائد السيارة عندئذ يقودها بعقله الواعى فى حين أن عقله غير الواعى، أو الباطنى، يكون فى دنيا لا تقل عن ألف ليلة وليلة ... دنيا طفولته وصباه، دنيا شبابه، دنيا رجولته ... يتذكر ويعيش فى الذكرى مع أحباب قدماء ضرب الدهر بينه وبينهم بسهم الفراق . وفى الحب الفراق محتوم ! ... يتمنى لو عرف هل يذكرونه

مثلما يذكرهم . وماذا يفعلون الآن ؟ ! هل يأكلون ويشربون ويلعبون ويمرحون أم أنهم قد انفصلوا بالروح كما انفصلوا بالجسد ؟ !

ويشرف فى وحدته هذه السائرة المتعجلة التى ربما كانت على سرعة ستين أو سبعين كيلو مترا ، على الحاضر بعد ما انحنى على الماضى ... ويتساءل : ماذا يدخر الغد ؟ ! أى تعويض فيه عن الأمس ؟ ! أى أمل يرجى من دهر بخيل خؤون ؟ ! ويخشى أن تطوى صفحة الحاضر هذه دون أن يُخط فيها سطر يجعل لها قيمة . فليست صفحات العمر كثيرة . إنها محدودة معدودة .

فى السيارة يكون الرجل، رجل الأحلام، فى عالم وحده... تمر عن يمينه ويساره الناس كالأشباح . يحسدونه وهو غير سعيد . لأن قلبه حساس وشعوره حى . يحمل آلام فقرهم وبؤسهم وقذارتهم وجهلهم فى الوقت الذى هم أنفسهم لا يشعرون ببعض ذلك .. فهو يعيش لهم ولنفسه . ينفصل عنهم ولكنهم فى فؤاده، يحملهم ، ويحمل أشجانه ، ويحمل همّ الذين راحوا عنه وتركوه وحده ، يعانى الفوضى والظلمات .

معنى الحب !

ظهرت أخيرا لكاتب انجليزى كبير رواية تمثيلية مؤثرة ، خلاصتها : أن ضابطا من ضباط الطيران خاطب زوجته الشابة فى لندن بالتليفون من باريس يخبرها بأنه عائد للحال فى الطيارة . ولكن العاصفة دهمته فوقع على الشاطئ البريطانى .

وتمر على الحادث بضع سنوات، وما زال الضابط نصف مشلول . نراه جالسا فى عربة صغيرة هادئا راضيا، بتلك الأعصاب الانكليزية المتينة التى تبتسم للموت كما تبتسم للحب ، تحوطه أمه التى تعبده عبادة ، وطبيبه، وممرضة هى فتاة تتفانى منذ ثلاث سنوات فى خدمته .

ولكنه ترك زوجته فى ذاك المساء تذهب الى المسرح بصحبة أخيه الصغير العائد من أمريكا الجنوبية . وعند ما تعود الزوجة فتدخل نراها تزهو بحسنها ودلالها ، يترقرق البشر فى محياها فيتململ من رؤيتها على هذه الحال

الشائقة زوجها الذى يتمناها ولا يستطيع حراكا . وعندئذ تسير به ممرضته الى غرفته وتخلو زوجته بالشقيق ... فلا نلبث أن نعرف أنها خليلته، وأنها تعلم أن البوح بالحقيقة يقتل زوجها دون إمهال .

فاذا جاء الفصل الثانى وجدنا الزوج مسجى على فراش الموت ويذكر الطبيب تصلب الشرايين . وتطالب الممرضة بتشريح الجثة، فهى واثقة من أن مريضها قد قتل؛ فقد اختفت خمسة أقراص كلورالين . ويستحيل أن يكون انتحر لأنه لا يستطيع الوصول الى هذه الأقراص وهو كسيح . وكل الظواهر ضد الزوجة فتحتج وتعلن براءتها، ولا تنكر حبها لأخى زوجها . وعندئذ يعطيها ضابط صديق للعائلة مسدسا لتضع به حدا لحياتها .

فإذا جاء الفصل الثالث حل اللغز بمفاجأة جديدة اذ تعلن الأم أنها هى القاتلة . وهذا الاعتراف يحول الرواية التمثيلية الى مأساة سيكولوجية أخلاقية . فالباعث على الفاجعة لا يكشف إلا فى الختام . فقد كانت الأم تعلم أن حب الزوجة هو العزاء

الوحيـد الذى بقى لابنها المشلول . كما تعـلم أن الزوجة الشابة بالرغم من تعلقها بالمريض لم تسـتطع أن تضحى له بحياتها . وهى تفهم خيانتها ، وتسامحها . ولكن ابنها لا يلبث أن يعرف بها وهذه المعرفة أشد إيلاما له من الموت . فدست لابنها السم ليذهب عن الدنيا حاملا معه هناءه الأخير...

وعندئذ تخر الممرضة جاثيـة على ركبتيها عنـد قدمى الأم وتقول : «لقد أحببته أنت أكثر منى ! » ...

نحن بازاء زوجة تحب وتخون، وأم تحب وتقتل، وممرضة تحب وتكتم . ترى ... من التى أحبت الرجل أكثر من سواها؟! أهى الأم كما يختم المؤلف روايته على لسان الممرضة؟!... أليس حب الأم هو حب الفطرة، حب الغريزة، حب الطبيعة فى الدم والأعصاب المكتوب منذ الخليقة على التى تحمل ولدها تسعة شهور؟!

ولكن هذه الممرضة ، هذه الفتاة الغريبة عن هذا الرجل، هذه الشابة الحسناء ، هل من شك فى أنها أحبته حقا ، وقد خدمته ثلاث سنين تعلله وتدلله كأنه طفلها !؟ أجل ... أحبت

هــذه الفتاة مريضها المفلوج المربوط الى عجــلة، وكان رجلا ينازل فى الجو الأبطال، فأصبح عاجزا يداعب الأطفال، أحبته، وكانت أمامها الدنيــا فسيحة حافلة بالحرية والقوة والجمــال والفتوة فآثرت أن تضحى بهذا كله، وأن تخفى فى صميمها حبا كريما رحيما صادقا ؛ لأنه حب بلا أمل ولا رجاء ...

هذا هو الحب .

لأنه أعظم من حب الإنسان للإنسان ، أشرف من حب الحيوان للحيوان .



وفاء الزوجيـــة

جاء فى «الأهرام» أمس : أن أجنبيا توفى عن زوجتــه السيدة « أنّا أسطاسى » فحزنت عليه حزنا شــديدا جعلها تؤثر الموت على الحياة وتعتزم الانتحار، فأضرمت النار فى نفسها أثناء وجودها بمنزلها بشارع صلاح الدين، فأصيبت بحروق خطيرة ونقلت الى المستشفى فى حالة النزع .

أى أن هــذه السيدة عند ما يصل هذا العــدد الى أيدى القراء الأعزاء تكون قد ثوت فى التراب واستراحت وأصبحت من غير سكان هــذه الدنيا ، وتركتها لنا بخيرها وشرها ، وحبها وبغضها، وغناها وفقــرها ، وفتنتها وغرورها ، و . وأيامهــا الفــارغة !

إن الإنسان ليلتفت يمنــة و يسرة متسائلا : أفى الإمكان أنه لا يزال يوجد فى هــذه الأرض الغادرة الخؤون مثل هــذا الحب العظيم ؟!

ما أكثر الذين يعيشون من حولنا أزواجا أمام الناس وأمام الشريعة وهم أشدّ بغضا لبعضهم بعضا من الأعداء الالداء ! يأكلون على مائدة واحدة، ويخرجون للنزهة فى سيارة واحدة، ويجلسون فى الملهى فى لوج (مقصورة) واحدة، ويذهبون للزيارات جنبا الى جنب، مع أنه تفرقهم هاوية من الخديعة والاثم . رجل يأخذ من مال زوجته على أن يترك لها الحبل على الغارب تلق من تحب وتهوى . وامرأة ربطتها بزوجها أولاد واشتجرت لها مصالح مادية لاسبيل الى تفريقها بالحسنى، فارتضت من الدنيا اسمه ورسمه، وراحت تلعنه لعنة عملية يشاركها فيها غريب يحتقر الزوجين جميعًا . أو رجل تزوّج ممن لا يحب فأصبحت زوجته عنده خادمة تحضر طعامه وتربى أولاده، وليس لها منه أكثر مما لأية امرأة أجنبية تمر فى حياته مرور الطيف على المرآة من حين الى حين ! .

وما أكثر الذين يعاشرون بعضهم بعضا ويتمنون لبعضهم الموت العاجل ولا يصبرهم على الضيم والكره إلا الطمع فى الميراث !

وما أكثر الذين يعيشون من حولنا لا يربطهم حب ولا كره ولا يعرفون من الزواج إلا أنه سنة تتبع وشر لا بد منه!

ولكن هل الزواج هو العقد الذى يوقعه المأذون أو الكاهن؟! هل هو المهر الذى يدفعه الزوج المسلم أو الزوجة المسيحية أو الإسرائيلية؟! هل هو البيت الذى يمتلئ بالفراش الوثير حتى يطفح؟! هل هو النفع المادى المتبادل، هى بعزبتها وبيوتها وهو بشهادته ومركزه؟! هل الزواج هو هذا لا أكثر ولا أقل؟!

أسئلة تنتظر الجواب .

أما أنا فقد ذابت نفسى حسرة على أن يمحى من الوجود مثل حب «أنّا أنسطاسى» لزوجها، فان مثل هذا الحب هو جوهر الخير ونعمة الوجود .

ومن يعرف كيف يحب يلق الله !.

الرزق الروحى

أيام تتشابه . ليال بعضها يقتــل البعض نعيشها على الرغم منا . نضحك ونمرح أحيانا خديعة لأنفسنا . إن الفرح الحقيق لا يعرف إلا النفوس التى لم تعد من هذه الدنيا . ونحن منها . أعمالنا تربطنا بالناس، وفى كل خطوة يصدمنا الناس بسخائمهم وشرورهم ودسائسهم وحسدهم .

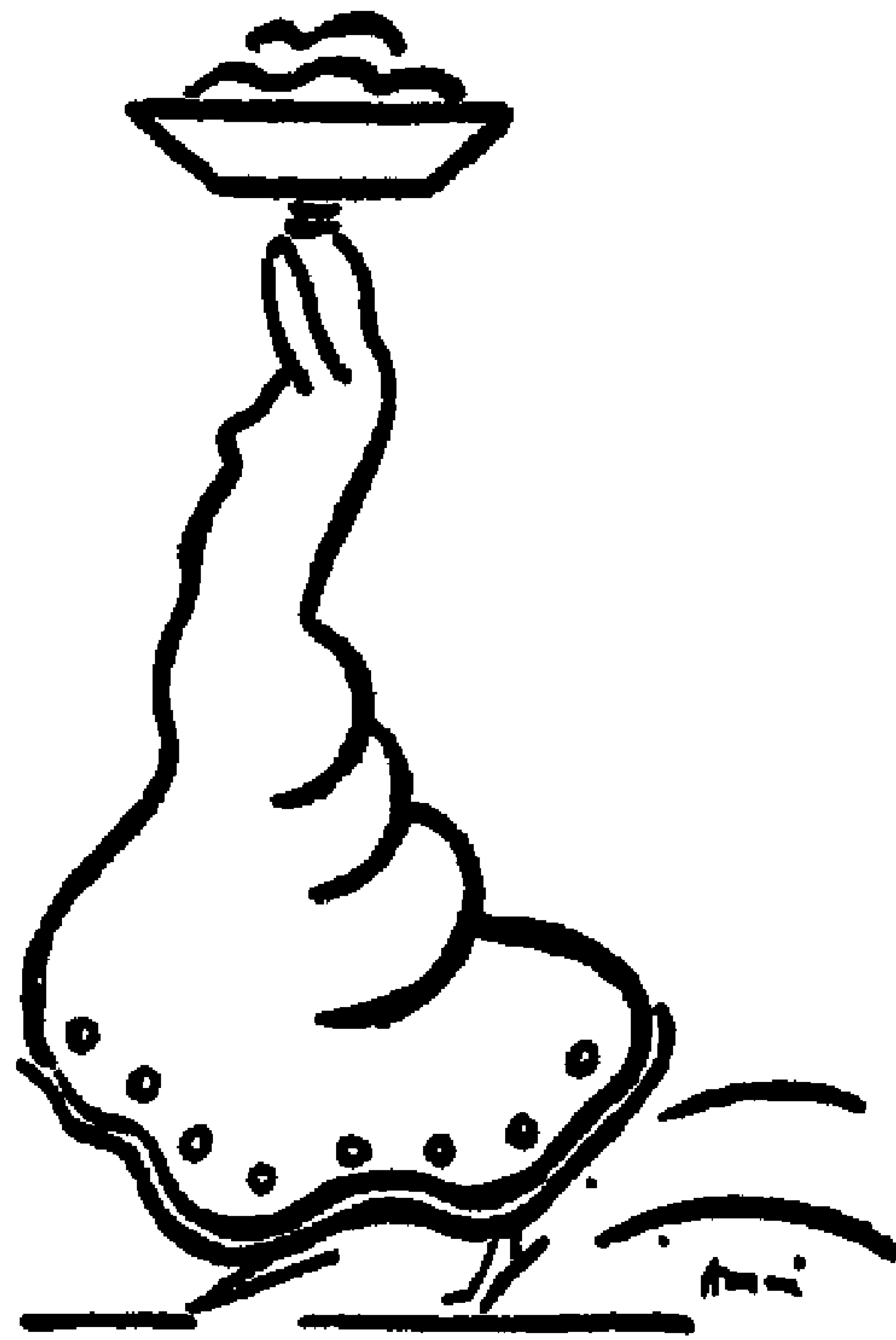
أين الفرار من الناس؟ إن ذلك الشاب الذى أرسل يسألنى الهجـرة يبحث عن طلب الرزق، وأنا أقــول له خذنى معك فى طلب رزق آخر، الرزق الروحى . إنه يريد السفر الى البرازيل وماله قليل، ويسألنى بيانا وتفصيلا وتشجيعا .

أما البيانات فليست عندى ، وأما التشجيع فإنى أكيله له كيلا ، ولكن لا بدّ له من معين ، هــذا المعين ليس بيدى، لأنه من قلبــه ، ومن يساعد نفسه يساعده ربه . فليفصــل ما يراه فى نهــاره تفصيلا ، وليقــل لى ماذا يفعل بين الفطور

والغـداء والعشاء؟ ماهى أحاديثه العذبة ؟ ماهى الصلة القوية التى تربطه بالوجود وتجعله اذا حان وقت النوم كره النوم لأنه يفصله عن السعادة ؟ فاذا لم يجد من حوله شيئا فماذا ينتظر ؟ ليحمل (خُرجه) على ظهره ويسير لا يلوى على شىء ، ليضرب أبواب المنـازل القروية فى الطريق ليقدّموا له خبزا ناشـفا وبصلا . وربمـا قدّموا له بعض (البيسارية) المقليـة . إن الفقراء أكرم من الأغنياء . فاذا كان يسألنى فى التحاقه بالباخرة ليخدم بهـا فانى أنذره بأن ذلك ليس من الهنات، فان خدمة البواخر تتطلب شجاعة وجلدا ومغالبـة للنفس تفوق التصوّر . وقد يحمل الفحم الى الأتون الذى كأنه طاقة من جهنم فيتصبب عرقا قبـل الدنو منه ويفعل ذلك ويكرره حتى تنهدّ قواه . ولكن ذلك خير له ، لأنه عنـدئذ يكون مجاهدا فى الحيـاة ، يكون رجلا يصنع حياته ويبنيها حجرا حجرا فى أفق طليق بعيد عن المراءاة والغش والنفاق ...

وعند مايصل الى تلك البلاد العذراء فليترك المدن ويقصد القـرى . بل ليقصـد الغابات والأحراش . وليعش مع الطير

ويؤاخى الحيوان . ولينس ماضيه كله وليبــدأ صفحة جديدة لايقصد منها جمع المــال ولكن أن يعيش طاهرا، على الفطرة، يحب ويحب، يتزود بالتقوى، ويجتهد فى أن يسعد انسانا آخر فى كل هذه الدنيا، فهذه هى رسالة الانسان، ووالله إن إسعاد إنسان واحد لكثير !...



البطون الملعونة

فى الصبح المبكر من يوم الخميس الماضى وجد نجار على باب دكانه بالفجالة وهو يفتحها ، بسم الله الرحمن الرحيم ، لقيطا ملق على ظهره ، كانت نظرته الأولى الى الحياة شكوى الى السماء من ظلم الانسان . فأحضره الى قسم الأزبكية فأطلق عليه الضابط اسم اليوم الذى وجد فيه « خميس » ! ... وأرسله الى قصر العينى وما زال حيا ، وعملت قضية ضدّ الأم المجهولة لتعريضها هذا الطفل للخطر . ولم يكن هناك أمل طبعا بأن تضبط هذه الأم أو تعرف يوما ما .

وفى اليوم نفسه أرسل أحد الأطباء إخطارا للقسم بأنه استدعى لإسعاف مريضة فلما كشف عليها وجدها فى حالة غيبوبة واتضح له أن ذلك بسبب الوضع .

فاشتبه (البوليس) فى أن تكون هذه المرأة هى أم لقيط الصباح وانتقل الى البيت فوجدها فى المطبخ غائبة عن رشدها ،

وظهر أن هـذه المرأة هى خادم بالبيت وقد حملت سـفاحا وأخفت ذلك عن مخدوميها ، وتناولت عشاءها ليـلة الوضع وقامت بخـدمة البيت كالمعتاد ، ثم دخلت المطبـخ وولدت وحدها دون أن تأتى بحركة أو ترفع صوتا خشية الفضيحة حتى ولدته، ثم ألقته تحت نافذة المطبخ، فقسم لها أن تذهب فى أثر ولدها الى مستشفى قصر العينى .

فلنقف لحظة لا نكتب فيها ولا تقرءون حدادا على هذه المأساة . إنها رمز لعشرات المآسى التى تقع كل يوم بين سمعنا وبصرنا .

فلنتأمل كيف قضى الأمر. هذه امرأة أريد أن تتصوروا شـعورها بالجنين تسـعة أشهر، وهى خادم ذليلة ، حياتهـا منوطة بلقمتها ، كل يوم تخشى مائة مرة أن يكتشفوا عارها ثم تصـوّروا ليلتهـا الموعودة، كيف خدمت على المـائدة ! وكيف انصرفت تجر أذيالها ! ثم كيف جاءها المخاض ! كيف تلد امرأة دون أن تصرخ أو تستغيث! ونحن نعلم كيف تصرخ المرأة ساعة الوضع حتى يبلغ صراخها عنان السماء . كيف تنزع

الحياة من الحياة لتخرج الجنين من أحشائها فى صمت وسكون؟ !
أليس هذا دليل حياء غريزى وضمير حى وشعور عظيم بالعار ؟ !
أليس فى كتمان الألم الفظيع الى هذا الحدّ يقظة الحزن والندم واحتقار البشرية والاستخفاف بالحياة ؟ !

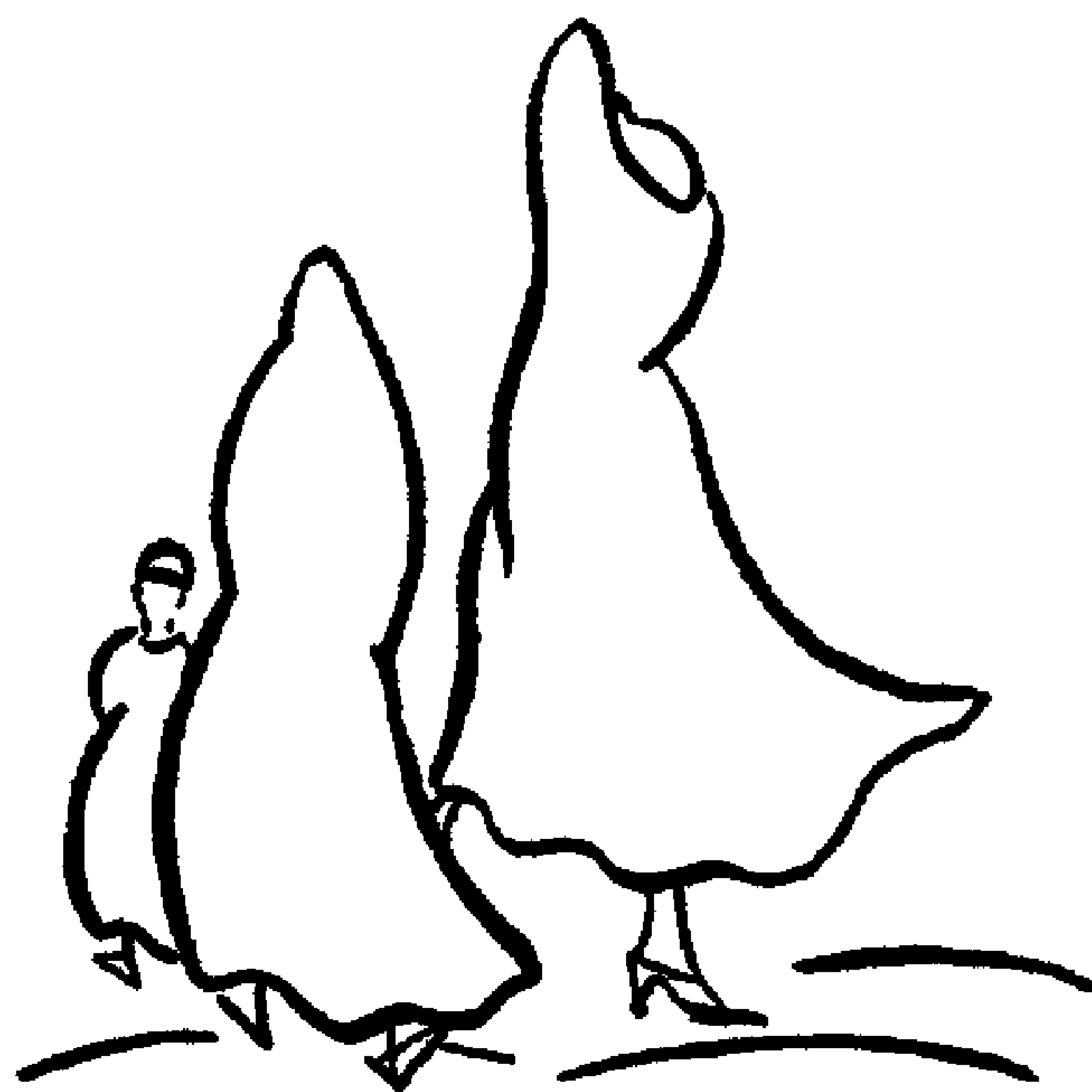
وكيف جرؤت بعد هذا العناء المهول كله أن ترميه من النافذة ؟ ! أى شعور خالج تلك التى ما رأت وجه ابنها حتى بدا لها شيطانا فأفلتته من يدها الى هوّة سحيقة من الدور الثالث ؟ !

إنها دفعت ثمن طيشها وزلتها دون ريب . ولكنها ستدفع فى الغد أضعاف ذلك أيضا ، فقد مات الطفل، وها هى ذى الآن تحوط سريرها فى قصر العينى العيون والرقباء، فإن بانتظارها حكم القضاء باعتبارها مجرمة قاتلة نفسا حرم الله قتلها .

وهذا صحيح، وهذا حق . ولكن ! ... ان هناك رجلا نذلا يلهو الآن ويمرح ويبذر الإثم والشر مع غيرها وغيرها فى كل مكان ولا يحصد شيئا ، وهو الذى أورثها هذا الشقاء

كله، ولا يُسأل عمـا يفعل، لأن القضاء، ولو عرفـه، لا يستطيع بحكم القانون أن يمداليه يدا .

ولكن يد الله فوق أيدى البشر .



موكب

الساعة السابعة مساء، فى محطة القاهرة، ثانى أيام العيد .

ليس فى الساحة الواسعة موضع لقدم . قطرات (بحرى وقبلى) واصلة تجر عددا عديدا من مركبات الدرجة الثالثة . فترى خارجا من بطن الأرض تلك القافلة التى لا آخر لها، المكونة من (الصعايدة) الأشداء يحملون زكايب الخبز و(الكشك والفريك والبتاو) . حمل ثقيل الوزن زهيد القيمة، علامة الفقر . صياح وجلبة تصم الآذان، دليل الجهل . رباه !... هل كل هذا الجيش من المواطنين سيعيش الشهور الطوال على ذلك الخبز الناشف كالحطب، كالحجر ؟ ! هل كل هذا الجيش لا يعرف اللحم الا مرة فى الأسبوع ولا الفاكهة الا مرة فى الشهر ؟ ! هل كل هذا الجيش لا يعرف القراءة والكتابة ؟ ! هل كل هذا الجيش لا يعرف تاريخ بلاده ولا جغرافيتها ولا ماليتها ولا حضارتها القديمة ولا الجديدة ؟ ! هل كل هذا الجيش

يعيش رزق يوم بيوم ؟! هل كل هذا الجيش منا وليس منا ، محسوب علينا وهو مع ذلك منفصل عنا؟! ننظر اليه نحن الذين تعلمنا شزرا، واذا اقتربنا منـه نفرنا ، واذا تقـدم الينا عبسنا وتولينا، واذا سألنا خدمة أعرضنا ؟ !

والى جانب هذه القافلة الماثلة القادمة قافلة أخرى راحلة، قافلة فى ثياب بهيجة أنيقة، قافلة آتاها الله من فضـله وآثرها بالدنيا ، قافلة السـياح . على حقائبهم الجلدية بطاقات ملوّنة من فنادق «ونتر بالاس ومينا هاوس وشبرد» . تجد عليها معبد الكرنك أو الأهرام أو زهرة اللوتس .

موكبان يتعارضان ، موكب ألوف الجنيهات ، وموكب الملاليم المعـدودات . موكب النزهـة والتمتع ، وموكب قطع الصخور لأكل البصـل والخبز القفار . موكب المرح والرقص والموسـيقى والخمر والآثار والبواخر، وموكب الخـدم وباعة (اليانصيب) والفعلة .

هل سيحشد هؤلاء جميعا جنبا الى جنب يوم القيـامة ؟ هل سـتعوض الدنيا على من فقـدها وهل ستعطى الآخرة لمن

أحسن عملا ؟! أو هل ستعطى الآخرة لمن قدم صالحا ؟!
أو هل ستعطى الآخرة لمن عاش فى الذل والحرمان ؟ !



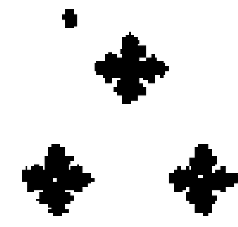
بائع الدقة !

« هو شيخ يبلغ الثمانين ، قد وهن منه العظم واشتعل الرأس شيبا ، يدب في الأرض متكئا على عصاه التي تكاد تنوء به ليبيع التوابل المسحوقة (الدقة) في لفائف من القرطاس الخشن كل واحدة بمليم واحد سدا لرمقه . تقدم اليه كريم من ذوى الإحسان ونقده قرشا صاغا وشاء أن يتأدب في إحسانه بأخذه لفافة واحدة جبرا لكسره . فاستفز التعفف في هذا الشيخ الفاني كبرياءه وأبى أن يسيغ هذه المنة إلا على أساس السعر الحق في البيع والشراء ، وقد أنطقته العظمة الحقه بالقول الفصل ألا وهو : (معاذ الله أن أكون كما ظننت لقد أغناني الله من فضله) .

فهل في البانثيون المصري المزمع إنشاؤه متسع لهذا الرجل ؟

وهلا ترى أيها الأستاذ الأصيل أن هذا الرجل قد أملى علينا تعريفا للعظمة في أظهر معانيها ؟ » .

رأس البر — على فهمى شمس الدين



كلا ياسيدى فليس في مدافن العظماء أماكن للفقراء ...

وأمس ، وأمس فقط ، كتب أحد الشبان كلمة في إحدى

زميلاتنا يتأفف فيها ويشكو ويتألم لأنه شاهد مريضا من مرضى قصر العينى ! !

هذه هى أخلاق طائفة كبيرة فى هذا البلد ممثلة فى كلمة، الإنسانية منهـا براء . فنحن، دون أن نكون عظماء ولا حتى أنصاف عظماء، ننظر الى من هم دوننا باشمئزاز، والى الفقر باعتبار أنه رذيلة الرذائل . مع أن الفضائل تصدر عن الأكواخ قبل القصـــور .

ولكن هؤلاء الناس الكبار النفوس ، كذلك الشيخ الذى وصفته لنا ببراعة، ليسوا فى حاجة الى أن يدفنوا فى مدافن الكبراء، تكفيهم تلك القبور من الكلس والحجارة المتهدمة فى صحراء محرقة، بعيدين عن الطبل والزمر، وعن العطور والبخور، وعن المرائين والنفعيين ، والمدّعين والمنافقين، لأنهم بفضائلهم وتواضعهم، فى الدنيا والآخرة، فى نعيم مقيم .

أما أولئك الكبراء الذين سيحشدون فى «البانتيون» المزمع انشاؤه، فسوف ترى كيف يكونون محل القيل والقال، والأخذ والرد، والجدال والنزاع، وتختلف فى مزاياهم وعيوبهم الناس

شيعا وأحزابا ، ويغضب البعض لأنهم يجمعون بين الأضداد، ويقولون إنهم لو كانوا أحياء لما اتفقوا فكيف تدفنونهم فى صعيد واحد ! . وما الى ذلك .

دع صاحبك بائع الدقة بعد مماته مستريحا يا أخى يكسب « قراءة الفاتحة » من حين الى حين كلما مر بقبره فقير معدم مثله . وكفاه ماعاناه فى حياته من ازدراء الأغنياء واحتقار الكبراء.



الإيمان والحب

نقص عليك اليوم قصة فريدة تدعو الى التفكير العميق والتأمل الطويل، قصة وضعتها امرأة جمعت في سطورها أجمل التحليل وأدق الوصف للعواطف ، قصة فيها نفوس نبيلة، مخلصة، طليقة، مقيدة، رحيمة، قاسية، تتيه في بيداء الحب باحثة عنه كاملا ، حائرة ، مقسمة المشاعر بين حب الله وحب البشر .

هل يمكن أن يكون الله جل جلاله منافسًا للرجل فى قلب المرأة يزاحمه عليه ويأخذه من دونه؟! أو أن يكون منافسًا للمرأة فى قلب الرجل يستولى عليه ويجعل حبه إياها هواء ؟ !

توجد قصص يكون الله فيها منافسًا للرجل فى قلب المرأة ، فيحاول الرجل عندئذ الدفاع والنضال ، تحرقه الغيرة ويثيره الغضب ، فيتمرد على الأرض والسماء جميعا . أما فى قصة اليوم الطريفة فعكس ذلك . فهو الرجل الذى

لكى يهب نفسه لله قد انفصل عن زوجته ، وهذه الزوجة لأنها امرأة، بدلا من أن تناضل وتقاوم، تتحد مع المنافس، وحبا فى زوجها تبحث عن حب الله وتجمع بينهما وتقدم جسمها وروحها قربانا ، ولكنها مع ذلك تفشل آخر الأمر لأنها قدرت قواها بأكثر مما هى فى الواقع، بيد أن النضال فى حدّ ذاته له روعته وعظمته إذ أنه مأساة إنسانية مروعة تمزق الفؤاد .

أما بطلة القصة فقد تزوجت من طبيب قبيل الحرب وكانا كلاهما ممتازا بالقلب والعقل . وضربت بينهما الحرب بسهم الفراق ، ثم جمع السلم بينهما، ولكنهما إذ التقيا بعد هذه السنين الطويلة، وهذا الانزعاج على سعادتهما، شعرا بأنه قد بقى لهما ضرب من القشعريرة الروحية، ضرب من القلق الخفى . وفى خلال رحلة لهما مرا بدير كان للزوج فيه صديق، فشعر بأن الديريناديه، وأنه بحاجة الى العزلة والسلام، ولما تحدت زوجته شعوره ووصفته بالخيال قال لها : من السهل وصفه عندك بالخيال طالما أن العلم به فوق طاقتك . فلما

أدركت أنه قد انخرط فى سلك الرهبنة دون أن يثق بها ويبوح لها شعرت بأنه قد خان عهدها فثارت ثائرتها وانفجر حبها . ومنذئذ والنضال كل يوم فى ازدياد . وكان المثل الأعلى الذى اجتذب زوجها يغريها بالشجاعة ، أو بالأحرى بالقسوة ، فحاولت أن تجد الهداية حيث اهتدى ، حتى لا تفقده تماما ولا تحرم من تفكيره بها ولو لماما .

وأخيرا إذ شعرت أن سعادة الرجل الذى تحبه هى فى الدير ، أقنعت نفسها بأنها هى أيضا مجذوبة بانجذابه . ذلك ان المرأة لا تجد برهانا على الحب أعظم من التضحية . تلك التضحية التى يتقبلها الرجل دائما قبولا أعمى مدفوعا بأنانيته العمياء .

ولكنها كانت قد خدعت نفسها . فغادرت الدير بعد سبع سنين قضتها فى آلام ، وراحت فى كل أنحاء الدنيا تجر ذيول اليأس من حب لا دواء له ولا شفاء منه .

وعند ما راحت ترى مرة أخرى ذاك الذى كان زوجها وظل ربها ، تخلى عنها وغادرها فى خلال زيارتها القصيرة أكثر من مرة ليعنى بأشغاله وطقوسه ، فقضت نحبها .

يا لهـذه النفس الحائرة المعـذبة الحزينـة! . لم يفهمها الرجل ولا القس لأنها روح أنثوية، نقية، فياضة العواطف، فألقيا بها فى غياهب الدير، كما يلق الكافر فى النار .

أما رئيسـة الدير فهى التى فهمت قلب المـرأة فأطلقت سراحها، وردت اليها بعـد سنين حريتها . ولكنها للأسف كانت الحرية التى ستقضى منها نحبها .

لقـد غادرت الدنيا بعـد ما غفرت للدنيا ما أصابها من أحزان . فالحب يأمر بالصـفح . ولم تتهم أحـدا . ومع ذلك فالرجال هم الذين ألقوا بهـا فى هـذا اليأس والقنوط ، وحرموها — لا أدرى باسم ماذا — من الخير الوحيـد الذى كانت تستطيع أن تحيا به .

وهكذا نرى فى هـذه القصة كيف تتحارب أرواح كلها شريفـة ، طاهرة، كريمة ، متحابة ! وكيف تقسو فى الحب قسوة غريبة . وكيف تنزلق من الايمـان الى الخطأ ، وكيف تعيش بالحب، وتموت بالحب !

النـاس السـعداء

يعدّ «هرمان كستن» الآن من بين جميع الروائيين الألمـان أشدّهم طرافة وأكثرهم إصالة ، فى أسلوبه التعمق والشمول والتشكك اليقظ ، والمثـل الأعلى بلا أوهام ، والغضب يختفى وراء التهكم ، فى أسـلوب سريع قاطع كضربات السيف ، ضرباته التى تقع مع ذلك على نغم الموسيقى . وهذا الأسلوب المباشر يكاد يحاكى أسلوب «أندريه جيد» . وميله الى رسم المتناقضات وإلى التشييد والبناء الجرىء يقربه من «چيرودو» . ورواياته المشهورة «رجل مأفون» و «چوزيف ينشد حريته» و «زواج حب» قد ترجمت الى جميع اللغات الأوربية .

أما روايتـه الأخيرة « الناس السعداء » فقد صوّر لنا فيها المجتمع الألمـانى بعـد الحرب ، وعرض واقعـة حب عظيم اجتمع فيها كل ما يمكن أن يحزن أو يضحك ، دون أن يتأثر ، فقـد أراد أن يبقى فوق عالم متخبط معتوه محزون كاد الشر فيه

يهزم الخير. وقد عرضه لنا كما هو بكل بشاعته وكل ضعفه، ولم يشفق على بطليه الشابين، ولم يشفق على من يحيط بهما. فعرض لنا أيضا البيوت التى واجهتها نبالة وأصل عريق وهى تخفى وراء جدرانها النذالة والطيش. وسير أمامنا فى كتابه موكبا من الوجهاء السخفاء، وصغار المستخدمين، والتجار المفلسين، والصحفيين العاطلين، والمغامرين الجائعين، ودنيا بأسرها لا تتحرج دون منكر أو محرم، تحمله أحيانا على العطف والرثاء لها، وأحيانا على السخط والاشمئزاز منها. فهو يحتقر أشخاص رواياته ويرثى لهم. وهذا المزيج من السخرية والشفقة هو الذى يجعل لأسلوب «هرمان كستن» لونا خاصا به.

«ماكس» مهندس بلا عمل، وهو رجل مثقف، قد أحفظه البؤس فضاق منه خلقه واحتدّ طبعه، و «الزا» حبيبته، ابنة تاجر مهدّد بالإفلاس، دونه تعليما وأشدّ منه هوى، يتحابان بقوّة ويريدان الزواج ولكن المال يقف عقبة فى سبيلهما. مثلما نرى هنا فى مصر وفى كل مكان الحكاية ذاتها والأشخاص أنفسهم والأسباب عينها. يلتقيان كل مساء فى الشارع

أو فى مقهى يتناقشان ثم يتعانقان، يتحدّثان عن الحب ثم عن الفقر، حتى يكشف أبو الفتاة أمرهما فينهر ذلك الفتى المفلس الذى يغوى فتاته ، ويسأله كيف يحب ويعشق وهو لا يملك أبيض ولا أصفر ! ثم يعترف له أنه أعطى شيكا على البنك بألفى مارك إغاثة لصديق له فى حالة عوز وضيق ولكنه بلا رصيد، فاذا أحضر له فى خلال سبعة أيام هذا المبلغ زوّجه من ابنته الزا . فهذه المائة جنيه هى ثمن هناءة الشخصين، تشرى بها حياته وحياتها . ومن أين له ؟ . لقد فعل المستحيل فلم يفلح . فالمال إذاً هو تلك القوّة الهائلة المشئومة التى تقف فى وجه الهناءة . إذاً قد تحول فى مجتمعنا العصرى : الحب، والصداقة، والشرف والمصير، والسعادة الى أشباح هاربة، وظلال زائلة، وألوان حائلة أمام الحقيقة الوحيدة المجردة ! .

لم يجد «ماكس» المائة الجنيه، وحمله الحب على الشحاذة وسؤال الناس فى الطرقات ، وعلى التهريج وعلى السرقة . ولكنه على هذا كله قد عجز عن إنقاذ أسرة حبيبته . قال لها

مرة : إن الابتسامة تباع والصداقة تباع والحب يباع والرجل يباع ويشرى .

ثم يجىء الرجل السعيد ، تاجر غنى سمين جميل يعشق « الزا » ويعرض مبلغا هائلا على أبويها اذا تزوجت منه . ولكن «الزا» تأبى . فيقبض على أبيها و يسجن وتموت أمها من الغم والهم . فتجرى الى حبيبها ، الذى كان يتعقبه البوليس لاشتراكه فى سرقة، فينزعج و يطرد حبيبته الوفية صارخا : « إننى لم أعد أحبك ، وأنت تعرفين الآن ذلك، بل وأكثر منه ، فاننى أمقتك! . إننى أمقت كل شىء فيك : رائحتك ، وجهك ، جسمك ، مشيك، صوتك، كل شىء كل شىء! . وأننى أخاف منك، فاذهبى عنى، انصرفى !، أنت تجلبين لى النحس، أنت طالع شؤم على كل من يتصل بك . اليك عنى ، أبعدى ، فما أشد كرهى لك ! لقد جعلت منى شقيا . وقبل أن أعرفك كنت فتيا ، والآن أصبحت هرما . وكنت قبلا أثق بالناس والآن أصبحت اكفر بكل

شيء . وكنت قبــلا رجلا والآن أجدنى حيوانا . فذنب من هو؟! إنه ذنبك أنت، أنت وحدك المذنبة ! » .

نخرجت « الزا » تتعــثر فى أذيالها، وتجتر همومها، وبآخر قرش فى جيبها اشــترت تذكرة لركوب المترو ، ثم ألقت تحت القطار بنفسها .

هذا هو جزاء الحب والوفاء والتضحية فى هذه الدنيا التى يعــدّ المــال ـــ والمــال وحده ـــ (ديكتاتورها) وحاكمها المطلق المستبد .

الأولاد

قرأت سيدة فاضلة رواية الكاتب الشاب «هرمان كستن» التي لخصناها في هذا الباب فكتبت الينا تقول : ان من هذه المآسي يوجد الكثير بيننا . وضربت لذلك مثلا نفسها . فهي سيدة متزوجة منذ سبع سنوات . ولم يكن زواجها زواج حب . ورزقت ثلاثة أولاد من زوج متعلم تعليما راقيا في مصر وأوربا . وليست بالجاهلة وان كانت دونه معرفة باللغات الأجنبية والثقافة العامة . وكانت حياتهما بين بين لا تعد سعيدة ولا تعيسة . وذلك بفضل احتمالها طباعه الحادة التي لم يكد يحتملها أحد من أهله ، ثم طرأ على عمله بعض التغيير وانتقل الى وسط آخر ، وكانت ترجو أن تحسن أخلاقه فاذا هي قد ساءت وصار لا يعود الى البيت أكثر الأيام إلا بعد نصف الليل وهي تترقبه طبعا . وما كانت لتستطيع في تلك الحالة أن تهش له وتبش فلا تقول كلمة واحدة حتى ينفجر كالبركان قاذفا ما لا

يليق بالرجل المهذب . ويمثــل دور « ماكس » مع « إلزا » في تلك الرواية . ويقول لها إنها عار التصق به ، مع أنها أشرف منه حسبا ونسبا . وهي وان كانت ليست فائقة الجمال فإنها تعد جميلة وسنها مناسبة ، وهو يبرر عمله بقوله إنه رجل يشتغل طول النهار فيحق له الذهاب من شغله الى (فسحته) ناسيا أن هناك في زوايا بعيدة مَن هي واقفة حياتها على خدمته وإسعاده . ففي عرفه أن تلك التي تدعى شريكة حياته ليس لهــا الحق في أن تسأله أين كانــ ، لأنه رجل وليس بحاجة الى وصي . فتفكر بدورها أحيانا أن تحذو حذوه وتذهب الى (السينما والتياترو) ولا ترجع إلا بعد نصف الليل ، ولكن شرفها وأصلها يحولان دون ذلك . وهما مسيحيان لا يجوز لهما الانفصال .

وتختم السيدة رسالتها بقولها : « ما قولك في رجل عصرى هذه حياته مع زوجته وأم أولاده ، وأولاده ... فكلمة منك ! ... لعلهــا تكون الدواء لدائنا . أنا لا أجهل أنك انتقادى صعب ولكن حكمك مقبول مهما كان » .

واني أؤكد لسيدتي أنني أتمنى من صميم نفسي لو ردت اليها

كلمة أو كلمات فردوسها المفقود . و ياليت هذا الصوت الضعيف يصل الى مسامع زوجها ، والى مسامع ألوف الأزواج الذين ينسجون على منواله . وليست العلة عنده على ما أرى متأصلة ، بل هى عارضة ، فلابد للسيدة من أن تدرسها لتدركها . فهذا التغيير الذى طرأ على عمله والوسط الذى انتقل اليه هما سر الداء . فما هو هذا الوسط ؟ وما سر جاذبيته الجديدة ؟ وهل هو خطر حقيقى على أخلاقه أم هو نزوة عارضة ؟

إن أخلاقك قوية بدليل احتمالك مالم يحتمله أهل زوجك . ففى هذه الأخلاق معين عظيم للمرأة المحبة ، والأم الحنون . تستمد منه الصبر والتريث فلا تيأس سريعا بل تتربص للفرص حتى تسنح فتنتهزها وتستغل لحظات الحنان والحب التى لابد أن تمر بهما . وإنى أتمنى عليها ألا تعبس له ولا تتوق عنه وهو عائد نصف الليل ، فقد يكون فى تلك الحال متلف الأعصاب ، شاعرا بالضجر والملال ممن كان بينهم من أصحاب أو رفاق انما يغشى جماعتهم بحكم العادة . فكيف ترهقه فوق ذلك بالتعنيف فى اللحظة التى يجب عليها فيها أن تكون المتسامحة

مع المذنب، الفياضة بالعطف على النفور، الشاعرة بضعف الرجل، المدركة لما هو فيه من كلال وملال، من الناس ومن نفسه .

فليس بقاء الهناءة فى الزواج إلا موقوفا على استمرار تلك الدراسة من جانب الزوجين لنفسية كل منهما . واذا كان معاوية يقول : « والله لو كانت بينى وبين الناس شعرة لما انقطعت قط . كانوا اذا أرخوها شددتها واذا شدوها أرخيتها » فلماذا لا تكون الحياة الزوجية على هذا النمط من السياسة (والدبلوماسية) ؟ !

إن السعادة المطلقة، السعادة الكاملة لا توجد أبدا، لا فى العزوبة ولا فى الزواج . ولكن اذا كان بين الزوجين ثلاثة أولاد فهم أقوى، دون أى شك، من تلك الشعرة التى يتخيلها معاوية بينه وبين الناس .

فمن أجل هؤلاء الأولاد، لا من أجل أشخاصنا المادية وميولنا الزائفة، ينبغى أن تتسامح المرأة وأن يستقيم الرجل .

أين تضع قلبها ؟

« فتاة متعلمة راقية جميلة من عائلة كبيرة يتمسك أهلها بالعادات القديمة ، تقدم لها خطاب عديدون كلهم كفء لها ، بل تمناها من هم أعلى منها مركزا ، وكان نصيبهم جميعا الرفض من والدها لا لسبب سوى أنه مدين ، مع العلم بأنه كان في إمكانه تلافي هذا الدين لو أنه فكر ولو قليلا في مستقبل ابنته التي تجاوزت الآن العشرين من عمرها بكثير . والآن ياسيدي لم يعد لها أي أمل في الزواج لانقطاع الطالبين ، فماذا تفعل الفتاة في هذا الموقف ؟ ألا يحق لها أن تحب وتتمتع بالحياة ! ولو لتنتقم لشبابها الضائع إذا كان الحب يعد انتقاما ، أم تصبر وتتحمل ما يخبئه لها المستقبل المظلم من الآلام ؟ وبعد ذلك يلومون فتيات اليوم ويشكون من انتشار الفساد وسوء الأخلاق ، ويعزون اليهن السبب في إحجام الشبان عن الزواج ! فما رأيك في هذا الأب القاسي الذي لا يفكر في شيء سوى المال ؟ فمن المذنب أهو أم هي ؟ منتظرة كلمتك في هذا الموضوع الذي يهم الكثيرات لأن هناك مئات من الفتيات في مثل هذا الموقف » . حائرة

نعم ياسيدتي لها حق الحب والحياة على شريطة أن تعرف أين تضع قلبها . صحيح إن هذا القلب ملكها ولكن ليس للمالك أن يلقي برأس ماله كله في البحر ، ويجلس بعد ذلك على

الشاطئ يندب سوء المآل. بل إن المال الضائع قد يعوّض، أما القلب المنكسر فهيهات أن يجبر.

والفتاة المصرية ياسيدتى قلما تعرف كيف تحب، لأنه لا سبيل لها الى اختبار النفوس، فهى لا تكاد تحب إلا الوجوه التى كثيرا ما تكون خادعة، وهى بسيطة جدا تعتقد أن كل نظرة حنو تخفى وراءها حبا مبرحا صادقًا.

ولست أدرى كيف يكون دين أبيك عثرة فى سبيل زواجك ؟! أفلا بد له من أن يجهزك جهاز الزمن الخالى الذى كانت تدفع فيه الألوف ولا يستعمل منه شيء؟! إن الحضارة قد أرتنا أن أجمل البيوت هى أبسط البيوت، وكلما اكتظت بالفراش والرياش قل سحرها وأصبحت أقرب الى الدكاكين.

وأنت كما تقولين فتاة متعلمة راقية جميلة من أسرة كبيرة، ويوجد مائة ألف شاب يتمنون بعض هذه الصفات فى شريكة الحياة ولا يهمهم دين أبيها. ولعله إذ يقرأ هذه الكلمات يذكر واجبا نسيه فيسدّد دينه الأدبى نحوك بترويجك كما يحرص على تسديد ديون الناس !

بغير حب ... وبغير أولاد

لله ما أعجب الأدوار التي يمر بها قلب الإنسان ! ...
كيف يمكن أن يؤمن اليوم بأشياء كان يكفر بها أمس ؟ ؟
كيف يمكن أن يتحوّل وينتقل ويظل القلب قلبا ؟

قارنوا بين الرجل قبل الزواج وبعده، بماذا كان ينظر الى الطفل يحبو على الأرض؟! وبماذا كان ينظر الى حنان الأب؟! أليس باعتباره نوعا من الضعف ؟! ثم هو يتزوّج ويوجد له ولد فلا تسعه الدنيا ويصبح الجبار أمام طفله كالطفل ! .

حدّثني منذ أيام صديقي الدكتور ن ... عما يلقاه من متاعب الحياة ، وان جميع هذه المتاعب ينساها ويطرحها ظهريا عند ما تدخل في الصباح بنته الصغيرة التي لا تتجاوز السنتين وتلعب تحت سريره، حتى تجمع له «فردتي البانتوفلي» وتقول : « السبسب ... بابا ! ... » .

كنت أسمعه معجبا مندهشا ، اذ كان يتكلم بأي روح !...

هـذا الرجل الذى درس الطب وعاش فى بلاد الغربة بعيـدا عن أهله، ورأى ألوف المرضى فى حالات خطر وحالات يأس، كنت تجده إذ يتكلم عن الطفل كالطفل ! ... .

وأمس ماتت الصغيرة التى لا تتجاوز ستة أشهر كريمة صديق الأستاذ ح . ج . ما سلمت حتى ودّعت . لم تأت الا لترحل . عبرت الطريق لتودع بعض الألم لمجيئها وكل الألم لذهابها ! ... يا للعناية التى بذلت فى سبيلها ! ويا للسهرات التى ضحيت من أجلها ! ويا للأمانى التى كانت معقودة عليها ولها ! ... .

كنت أراه يداعبهـا ويلاعبها فلم أقدّر حبـه إياها حق قدره، ولكننى إذ رأيته من بعيد، يوم موتها، عرفت كيف يكون حب الوالد والحزن على الولد .

إذًا فنحن الذين نعيش بغـير حب وبغير أولاد لا نعيش بكل قلوبنا . إنمـا نعيش ببعض هـذه القلوب، فلسنا نحس الحياة فى صميمها بل على هامشها ، فتجاربنا محدودة ومشاعرنا منقوصـــة .

وليس للذين يألمون فى هذا السبيل من عذب الولد إلا أن

يحمـدوا الله ، فهو سبحانه قد فتح لهم منطق للحنان وللحب لم يعرفها الكثيرون . واذا كان يشـوبه أحياناً بعض الحرمان فان رحمة الله كفيلة بأن تعوّض المفقود وتجبر الفؤاد، وعندئذ يشرق نور جديد على حنايا القلب الحزين ! ...



الوفاء كالنـار

عود الى حديث القلوب . وسـبحان الذى أسكن فى كل قلب ما أشغله ! انظروا الى رجل آخر غير الأب الهائم بابنـه ، الرجل الذى يحب ولا يرى فى الدنيا غير محبوبه . وقد يكون ذلك المحبوب لا يسـتحق الالتفات ، تمـر به ألوف النـاس ولا يلقون اليـه بالا ، ولكن المحب يمر بألوف النساء الفاتنات ولا يشعر بوجودهن ، لأن الدنيا لا تسع إلا التى اختارها قلبه . وكنا أحيانا نرى فى البلدان الأجنبية الزنوج الذين تفننت الطبيعة فى تبشيعهم يسيرون الى جوانب الغوانى الشقراوات ممـا يجعل التناقض مدهشا مشـيرا للغمزات والابتسامات . يحار المـرء كيف بدأ ذلك الحب ، كيف تجرأ عليه أحدهما أو كلاهما ؟ ! كيف كانت النظـرة الأولى وماذا تبعها بعـد ذلك ! وكيف لم تهرب تلك الشقراء بدلا من أن تفتح ذراعيها لحب غريب شاذ ! والفرنسيون يطلقون على ذلك : سنة التناقض .

يمكن القول إذا بأن المرء فى الحب لا يختار ، كما أنه لا يختار مسقط رأسه ودينه وأبويه ، ولكن النظرة الأولى هى التى يجب أن تحاسب النفس عليها . لنفرض أنها وقعت على مخلوق علاقتنا به تورثنا الهم والغم ، وتفتح المجال لمتاعب ومصائب، فلماذا نمضى فى الهوى والهوان ؟ !

من مصلحتنا عندئذ أن نتوقف ، وليس لنا أن نعتقد أننا مسوقون الى هذا بالرغم منا ،وان هذا هو حكم القضاء والقدر، ونندفع بعد ذلك الاندفاع، الذى يوصف عادة بأنه أعمى ، فى حين أننا مبصرون . فما أغربه من حب ذلك الذى لو أوتى صاحبه الصراحة لقال : إنى لا تربطنى بك أيتها المرأة إلا حاجة طبيعية مرهقة ،وأريد التحرر منها ولكننى لا أستطيع ، وإنى لأتربص الفرص للهرب منك والبعد عنك ! ...

أليس فى هذا من السباب والإهانة ما فيه ؟ ! أليس هذا هو البغض فى شكل الحب ؟ !

هكذا نجد فى العواطف التناقض . ولكن أهى عواطف هذه التى تتنازع وتتعارض بدل الانسجام كالألحان ؟ !

وما دام فى الحياة الحب وفى الحب الحياة أليس لنا أن نتردّد فى الاختيار ولا نزعم أنه فرض علينا فرضا؟! أليس لنا أن نتأنق فيه أشدّ من تأنقنا فى الطعام والشراب ؟

ولكن يوجد للمسألة جانب آخر . لنفرض أن القدر قد تسلط وحكم فعلا علينا بحب يراه الناس ـ وقد نراه معهم ـ ليس هو ما نطمع فيه وما يجوز أن نتمناه على دهرنا، فكيف نفعل؟! ليس لنا أن ننساق ونتدهور فنتزل دركات بعضها تحت بعض، بل علينا أن نرفع هذا الحب الوضيع درجات . نرفعه بالوفاء له وبتخليصه من شوائبه حتى يفى لنا . فعندما يكون الوفاء فى الحب متبادلا يرتفع الحب ولا يصبح وضيعا حتى ولو بدأ وضيعا . فالوفاء يطهر الحب كالنار .

الشــباب الراحل

ما هو شعورنا عند ما يموت شاب أو شابة فى ربيع العمر بغتة، وكان بالأمس مزدهر الصحة والعافية ضاحكا للدنيا يتأهب لاستقبال الحياة والحب، فيدهمه الموت ويختطفه؟ شعور استنكار غريب واحتقار لهذا الوجود الغادر الذى لا أمان له. شعور سخرية بهذه الدنيا التى لاتساوى جناح بعوضة. شعور استخفاف بآمالنا وطموحنا وجهودنا وما بذلناه بالأمس وما نعدّه للغد. شعور الألم سلفا على من قد نتركهم أحوج ما يكونون الى عطفنا وحبنا ووجودنا. شعور خوف على هؤلاء الأحبة الذين قد نغادرهم بلا وداع. شعور لرغبة فى الانتقام لأنفسنا فى كل لحظة من هذه الحياة قبل أن تنتقم منا. شعور قنوط لتأكدنا بأننا اذا بدأنا بهذا الانتقام فإنها الدنيا التى تنتقم إذ ذاك منا. شعور عجز مطلق وتسليم على طول الخط. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

نحن فى هذه الدنيا نمشى فى ظلام دامس . كل ما نرسمه من خطط، وكل ما نحيكه من الأمانى ، وكل ما نعده للمستقبل القريب أو البعيد يضحك منه القدر ضحكا ترتعد له الفرائص، لأنه ضحك شيطانى مخيف، ضحك القوى من الضعيف .

يعزى بعضنا بعضا بكلمات فارغة (كالبقية فى حياتك) . حياة من ؟! وأية بقيــة هذه التى يريد المحب أن تضاف الى حياته من حياة حبيبه الراحل المفقود ؟!

ليس أفظع من رؤية الشــباب الناضر، كفتاة أو فتى ، يغيب فى لحده، ويهال عليه التراب، ويترك وحده، وينصرف عنه المشيعون ، وينصرف عنه الأهل والمقربون ، وينصرف عنه حتى أحب الناس اليه .

ستأتى غيوم الشتاء فتؤنس وحشتنا ، وستبكى عيون السماء فتعــزينا فى محنتنا . فاذا جاء الربيع حقــدنا على أزهاره وورده ، لأن القلب منفطر، والنفس فى حداد، وهى تذكرنا كم أهدينا الى الحبيب من زهر، ولن نجد فى الشقاء إلا هدية الهناء، فنعود لنضعها بخشوع لدى القبر .

الكاتب ليس مهرجا !

كتبنا منذ ثلاثة أيام كلمة تفجع على الشباب الذى يختفى بغتة من الوجود إذ يقبضه اليه الموت ولا يرحم ذلك الربيع بل يجرده من الزهور . فاعترضت علينا سيدة « أسيوطية » كريمة : « ... مالى أرى ذلك السخط على الحياة وتلك المرارة المؤلمة بأجلى معانيها ؟ مالى أراك ترثى موت الشباب فى حال أننى أحسدهم لتحررهم من قيود الحياة المرهقة ! مالى أرى دموع الألم بين سطورك اليوم وعهدى بك المعزى لكل المحن والمصائب ! إن الحياة ياسيدى مفعمة بالأحزان وكلنا قلبه مكسور من نزلات الدهر وضرباته ، كلنا مستنكر ومحتقر لهذا الوجود الذى لا أمان له ، فارحم نفسك وارأف بنا فالكأس طافحة ، ولا ترد على النفس مرارتها بل ابعث الينا بما يفرج عنها كآبتها وفرج عن نفسك معنا ... » .

وأنا أقول لسيدتى الفاضلة : إن الكاتب كالمصور يجب

أن يرسم جميع الصور التى تمر به ويقف أمامها يتأملها مع قرائه . فعند ما تمر أمامه مواكب الحزن والأسى، عند ما يرى شبابا كان بالأمس القريب حافلا بالحب والحياة يغيب فى قبره فهل يسكت أو يكتب؟! هذا هو محور المسألة .

هل يبحث عندئذ عن موضوع آخر سطحى تافه ليكتب فيه ويملأ نصف عموده ؟! هل يغنى وصوته متحشرج بالحسرة، وصدره مختلج الألم، وعينه تذرف الدموع ؟

أفلا يكون عندئذ زائفا عند نفسه وعند الناس ؟ ولماذا يحق للغنى أن يشكو ويتألم وينوح أحيانا ولا يباح ذلك للكاتب أحيانا ؟ أليس الحزن عظيما كالفرح إن لم يكن أعظم وأنبل منه ؟ فكيف نتركه يمر دون أن نحنى له ودون أن نحييه ونحن انما نحيي بتحيته المصير العاجل أو الآجل ؟

فاذا وصفنا هذا الشقاء للقراء، أفلسنا نحمل اليهم فى ذات الوقت العزاء ؟! ذلك أنهم يرون الحزن شاملا وليس وقفا عليهم، يرون أن الدهر إن سرنا زمنا أساء الينا أزمانا ، يرون أن

الانسانية قد اشتركت فى الألم الذى يطهرها من أدران المسرات .

فالكاتب يا سيدتى يجب أن يكون صادقا فى شعوره وإحساسه ، أمينا فى رسم هذا الشعور والإحساس . لأن هذه الأمانة هى الوحدة الروحية التى تربطه بالقارئ، وتوثق بينهما الألفة بل الصداقة .

وهذه المحطات الحزينة التى نقف عندها ، من حين إلى حين، تنبهنا من غفلتنا وتوقظنا من سباتنا فلا ننساق مع قطار الملذات زاعمين أن الدنيا تجرى لنا ميسرة رخاء ... ومن هنا تجئ أيضا الموعظة الحسنة، واذا كان المهرج مطالبا كل ليلة بأن يضحك الجماهير المحتشدة فى المسرح لأنها دفعت ثمن ضحكها سلفا فان الكاتب الأمين يأبى هذه الصفقة، ويعيش حرا، أى يعيش أفراحه وأحزانه ...

المصـــير

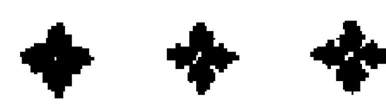
« ١٧ مايو سنة ١٨٣٨ »

« ... ... مات « تاليران » . بجاء الأطباء وحنطوا الجثمان على طريقة قدماء المصريين . أى أنهـم أخرجوا الأحشاء من البطن والمخ من الجمجمة . ولما تم هم ذلك ، وحولوا « تاليران » العظيم الى مومياء ، ووضعـوا المومياء فى تابوت مكسو بالحرير الأبيض ، انصرفوا تاركين على منضدة مخ الداهية الكبير ، ذلك المخ الذى احتـوى أفكارا لاتحصى ، وأوحى الى ألوف الرجال بما لايستقصى ، وشيد صروحا وأقام أمجادا ، وقاد ثورتين ، وخدع عشرين ملكا ، واستوعب الدنيا .

وما أن خرج الأطبـاء حتى دخل خادم رأى ماتركوه فصاح : وى ! . . هذا الشيء الذى نسوه ؟ ! .

فاذا تظنونه قد فعل به ؟ ! لقد ذكر أن بالشارع صنـدوقا للقمامة فحمل المخ ورماه فيه ! Finis rerum »

فيكتور هوجو



هذه نهاية الأشياء ، نهاية الحياة العامة ، وإنها لنهاية مخجلة حزينة ! ... وهى مكتوبة علينـا جميعا . فاذا لم يكن المخ ملق

فى القمامة فان الدود سيأكله . وهـذه العظة الماثلة ننساها دائما . ننساها ونتكبر على الناس ، ونظلم الغير ونستبد بالمستضعفين فى الأرض ، ونأتى كل محرم كأننا ملكنا الأرض طولا وعرضا ! ...

فلنقف قليلا أمام خاتمتنا الحزينة حاسرين . ولنذكر قليلا أننا فى يوم ما سنرقد جميعًا جنبا الى جنب ، لا فرق بين غنى وفقير ، وعظيم وحقير . وإن أكرمنا يومئذ عند الله أتقانا ، وإن أشرفنا عند الله أكثرنا برا بالناس .



القلوب الكسيرة

أرسل إلىّ بعض كرام الناس كراسة «أوتوجراف» من التى يحتفظون بها عادة ويسجلون بها خواطر الأصدقاء أو الأدباء. تصفحتها فلم أجد فيها ما يشجعنى على أن أكتب شيئا أو ما يوحى إلىّ بكتابة شىء، على الرغم من أن فيها أسماء بعض الكبراء.

ولكن جملة وحدة كانت تساوى كل ما فى تلك الكراسة، كانت بمثابة الوسام الثمين على ثوب مهلهل، وهى بالفرنسية بقلم سيدة مصرية، وهذه ترجمتها:

« لن يكون لرجل أن يضع يده على حياتى، على قلبى الذى لا يعنى خفقانه أحداً سواى ».

ففكرت فى أن أضع الى جانبها هذه الكلمات: « المرأة التى تعيش بلا حب، أعنى بلا سيادة رجل عليها وعبوديته لها فى وقت واحد، المرأة التى لا تعنى خفقات قلبها أحدا سواها، لا تعدّ حياتها حياة، ثم تردّدت وأحجمت، إذ أدركت مبلغ

ما فى هذه الجملة من القسوة . وقلت فى نفسي: إن الذى يده فى المـاء ليس كالذى يده فى النار. وتلك الجملة تنبئ بحزن عظيم ويأس شـديد وصدمة عنيفة مصـدرها الرجل بلا ريب . وهذه السيدة قد كفرت بحب الرجل ، بحب الرجال جميعا ، فلا بدّ من احترام حزنها والانحناء له ولها .

إن خيانته لها فظيعة بلا نزاع ، لأن الإنسان يشم فى تلك الجملة رائحة كبدها المحروقة . ربما كان قد أعطاها حبا عظيما ثم حرمها فتضاعف ذنبه عندها ، وهو حتما قد انصرف عنها بعد ماقطف زهرة شبابها ثم ورثها أولادا ، من يدرى كم عددهم ؟ هم عزاؤها حينا وألمها حينا آخر . ينادون (ماما) دون (بابا) لأنه أراد أن يكون أبا لأولاد غيرهم وزوجا لأم غير أمهـم ، ولعلها دون أمهم خلقا وفضيلة وجمالا وإن كانت تفوقها مالا .

فى رواية « ويلهلم ميستر » للشاعر العظيم جيته جمعيـة اسمها « جمعية الإغضاء » وينبغى لأعضائها أن يغضوا الطرف عن كل شيء فلا يفكرون قط لا فى الماضى ولا فى المستقبل .

وهذا بديع جدا فى مثل حال تلك السيدة ، ولكن هـل

تستطيع ؟ هل تستطيع أن تهرب من ذات نفسها ، وتسكت صراخ قلبها ، وتخمد نار ضجرها ، وتتحـرر من ذكريات عشر أو خمس عشرة سنة قضتها فى سعادة ؟

ومع ذلك فليس لهـا أن تظل جالسة تحـدق فى ظلمات آلامها وتغزل أحزانهـا ، لأن هذا لا يجديها فتيلا . فعليها أن تعمل على النسيان . والنسيان يجيء عن طريق العمل اليدوى البسيط الذى لا دخل للعقل فيه . الثوب الذى تخيطه بيدها لابنتها أو (الأباچور) الذى تتأنق فيه لحجرتها أو المفرش الذى تطرزه لمـائدتها يلهيها أكثر من أى شيء آخر .

وهـذا ما نجده أيضا فى رواية « تاييس » لأن الراهب « بافنوس » ظل يقاوم شبح غانيـة الاسكندرية وهو يلحقه ويضطهده ، وظل يراها بارزة على الجدار ثم تشقه وتدنو منه وتعانقـه . فيضرب رأسـه بالجدار ليتخلص من اشتهائه ... ولم يجده ذلك . وانما لمـا بدأ يعمل بيده ويجدل الليف حبالا وسلالا غاب عنه الشبح واستروح قلبه السلوى .

خدعــوها !

قالت لى مرة فتاة فنلنــدية : « أتظن أننا نصــدّق كل ما يقوله الرجال؟ كلا . إنما نحن نتعامى ونتغابى . فنسمع كلاما بعينه من كل واحد منهم . فنحمل أنفسنا على التظاهر بتصديقه . ونضرب صفحا عن التكرار . لأننا نبحث عن الهناء الحقيقى ولا نجــده فى أرض كلها سراب خادع وظل زائل ولون حائل ... » .

وهى تعــنى أن هذه الخديعــة من الرجال . أى أن كل الرجال يكذبون قليلا أو كثيرا . فهذه الفتاة الجميلة ، الرشيقة . الأنيقة كانت تبحث عن الهناء ولا تجده . وكلما عرفت رجلا فى الجامعــة أو فى مجتمع شريف ولفتت نظــره وراح يحدّثها تشككت فى كلامه وتمنت مع ذلك تصديقه . فالقاعدة عندها أصبحت الخديعــة ولكنها تبحث عن الصــدق أو الاخلاص باعتبار أن لكل قاعدة شواذها . وهى كذلك أصبحت دون وعى

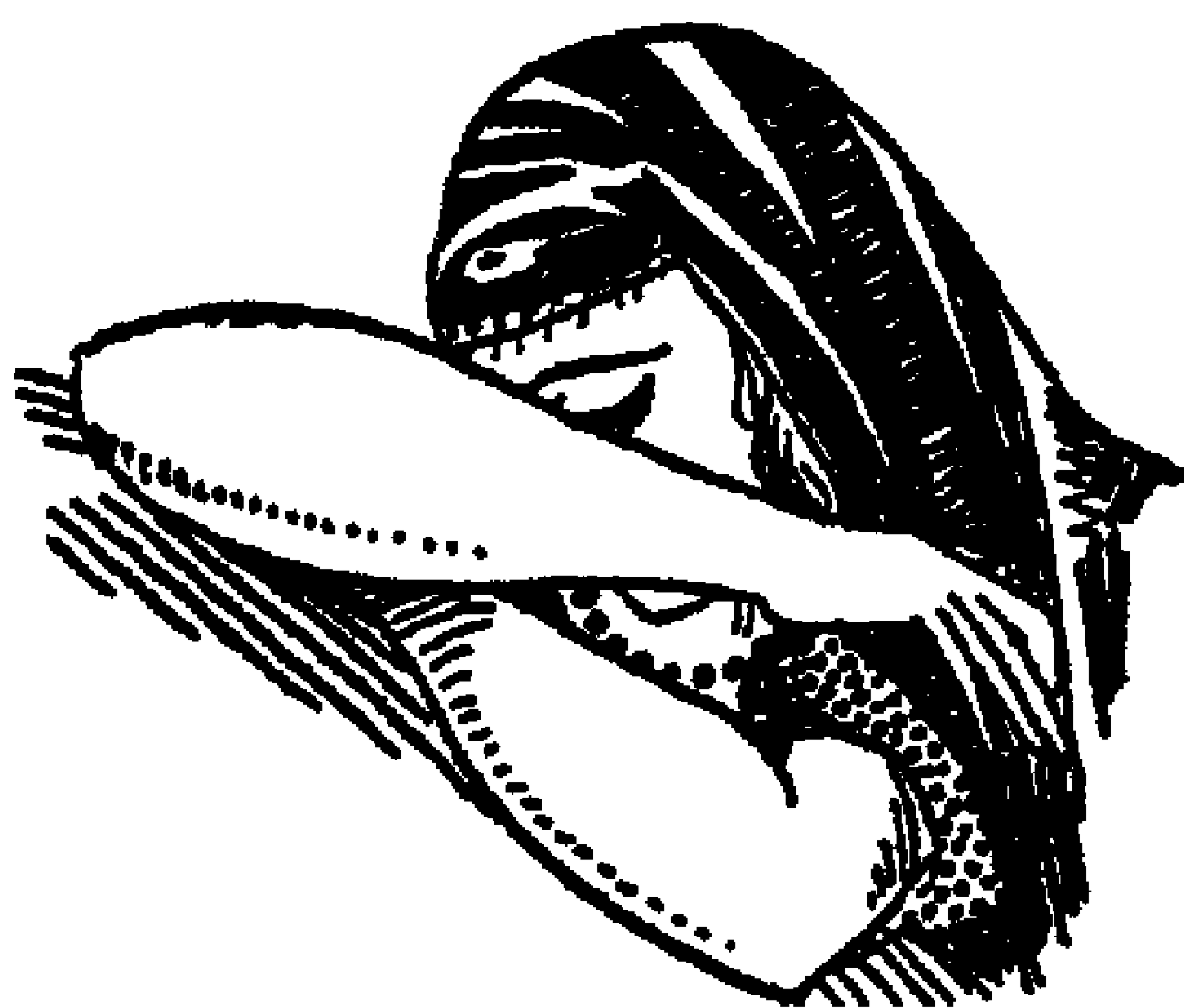
منها زاهـدة فى الدنيا لأنها بدأت تعـرفها على حقيقتها . وكل يأس جديد يحمل اليها زهدا جديدا . ولعل هذا المصيرالحزين الذى ينتظرها ويكاد ينتظر كل امرأة جميلة ذكية الفؤاد رقيقة الأحساس هو الذى جعلها تبحث فى العلوم عن أشدّها وعورة فجعلت تدرس فى السوربون علوم الاحصاء . تحاول أن تحب الأرقام وتنسى فى جمعها وطرحها وضربها : نفسها . وهذه مهنة قلما تحترفها امرأة . فأكثر الفتيات يدرسن الآداب أو الحقوق . وكانت تقضى لياليها منكبة على كتبها وبحوثها غارقة فى الأسانيد والوثائق والمراجع كأنها اتخذت من الورق بيتـا ومن الكتاب حبيبـا ! .

وكانت تقول أنها مع ذلك ليست قدّيسـة . لأنها امرأة لهـا الحق فى الحياة، فى الحياة الوافرة الهناء بقدر ما هى وافرة الحسن والذكاء . ولكن من أين لها ما تريد ؟ !

فالرجل العابث بقلب المرأة قـد يتصوّر أنه يلهو ويتسلى وقد يتصوّر أنه فى الوقت نفسه يلهيها ويسليها مع انه فى الواقع يطعنها فى فؤادها . لأنه يدخل عليها الوهم باعتباره حقيقـة .

وهو يسلبها راحة القلب التى كانت لها قبل أن تعرفه ويخدعها ولا يعوضها عن ذلك شيئا . فهو آثم . وهو يشرع فى إثمه ذاك باعتباره طبيعيا للغاية .

فانظروا إذا واعجبوا كيف أنه ابتدأ كلاما وانتهى إجراما .



فتـــاة حزينـــة

أمامى رسالة حزينة من فتاة حزينة مع أنها فى العشرين من عمرها ، فى السن التى تحلو فيها الحياة . آنسة « عبلة » وحيدة أبويهـا كانت تسكن الاسـكندرية ثم انتقلوا منذ عامين الى ضيعة صغيرة فى الريف ،فساد حولها السكون والوحشة مع أنها تقضى الصباح فى مراقبة تدبير البيت ، وتربى الطيور وتتعهدها بنفسها ،وبعد الظهر تركب جوادا للتنزه أو تذهب لقنص الطير أو صيد الأسماك أو تتريض على الأقدام ، ولها فى ذلك حريتها . وفى المساء تجلس مع والديهـا فتعزف بعض الموسيقى أو تقرأ الصحف والمجلات . وهى مخطوبة وخطيبها سافر هذه السنة الى أوربا لاتمام علومه حيث يمكث خمس سـنوات أخرى . وحاله المـادية لا تمكنه من أن يأخذها معـه . وكانت والدتها تود لو تزوجا وساعدتهما بمالها ، اولا أن لهما أقارب بحاجة الى المعونة فآثرت الفتاة ذوى قرباها على سعادتها وبقيت هنا ...

وتقول « عبلة » : « إذا قدر لى أن أعيش فى هذا المنفى خمس سنوات بعيدة عن العالم ومسراته فلا سبيل الى احتمال هذه الحياة القاسية التى على منوال واحد . وروح الشباب تريد التجديد . وقد فكرت جديا فى الانتحار » .

ولكنها لا تكاد تقف فى الصلاة بين يدى الله تعالى حتى تنبذ هذه الفكرة الخبيثة ولا يفرج عنها إلا البكاء . وينتابها ألم نفسانى شديد فتسود الدنيا فى عينيها وتخشى أن تصاب بمرض عصبى لأن والديها قررا البقاء هناك وعدم الرجوع الى الإسكندرية ...

والآنسة تسألنى كيف الخلاص .

حقا إنها فى أزمة نفسانية ليست مع ذلك عسيرة الحل ؛ إنما أحب أن أقول لها إن ألوف الفتيات سيحسدنها اليوم على حياتها ولو كن يتنزهن على شاطئ (بولكلى وستانلى) ما ذا ينقصها ؟ بعض (التواليت) وبعض الشبان الذين تورث عشرتهم الكآبة فلا تجد المرأة فيهم نخوة الرجال ؟! أنها اليوم بريئة طاهرة تنتظر رجلا ورجل ينتظرها . وهذا وحده يكفى عزاء

وهناء . لأن هناك ألوف الفتيات يعشن منتظرات بلا أمل ولا رجاء .

إن طيورها التى نتعهدها فى الصباح لها أرواحها الجديرة أيضا بالتأمل والدرس. ستجد بينها الدجاجة المتواضعة الخجول، وتجد الدجاجة (الغندوره) التى تتيه بقامتها وخطوتها ونظرتها... وتجد الديك بعرفه اليـاقوتى يلفت عنقه ويحدج بطرف عينه يمينا ويسارا ويرفع عقيرته بالصياح والغناء ...

وتجد جوادها يعرفها ويحبها. ينتظرها فى موعدها ويصهل لو تأخرت عنه. ويفرح لقدومها وينحنى لركوبها وينطلق بها ...!

وتجد فى الصيد دروس الصبر الجميل وحلاوة اللقاء بعـد العناء . وتخرج اليها السمكة الفضـية البيضاء ترتعش وتخفق كقلب الحبيب الذى طال شوقه واصطباره .

فكرى إذا يا بنيتى فى هـذا كله واعلمى — وأنت تؤمنين كما تقولين بخبرتى وتجربتى فى الحيـاة — أن عشرة الحيوان خير من عشرة الإنسان . وأريد أن أشير عليك الى جانب هذا بشراء جهاز (راديو). فالراديو فى العواصم هو شىء يصم الآذان

ولا يطاق ، ولكنه فى الريف نعمة من النعم . يستطيع أن نتصل به بالقاهرة وطوكيو وباريس واستانبول ...

واذكرى بعد هذا كله أنك ضحيت من أجل أقاربك . فهلا ضحيت من أجل هناءتك المقبلة؟! ولطالما أيتها الآنسة «عبلة» انتظرت سميتك «عبلة العربية» صاحبها عنترة يخوض المعارك والمعامع وينتصر لأن اسمها على لسانه . وأنت لك « عنترتك » فلا تدعيه يفقدك فلن ينتفع بالعيش من بعدك .

وافرحى لطلوع الشمس وغروبها وسلام المساء فى الريف ، فهو يحمل معه السلام الى النفس . أما هنا فى المدن فالحرب والشقاء ... !

ســـعاة الواجب

كنت مرة نازلا بين أسرة سويسرية يقطن عندها شاب انجليزى كريم الأخلاق . وقد دهشت فى اليوم التالى لنوع الطعام الذى يقدمونه لأنه كان رديئا جدا . فلما كنا على مائدة الفطور ذات صباح قلت له : أتعرف أن الزبدة التى نأكلها صناعية؟ قال أعرف . قلت : وكيف احتملتها شهرين طويلين مع أننى ضقت بها ذرعا بعد يومين؟ قال : إننى أكره الشكوى وكفى .

ويوجد أناس هم على الضدّ من هـذا الانجليزى يشكون من كل شيء، من الجو والنـاس والأهل والقدر ، حتى ومن أنفســـهم .

ولا تعالج شؤون الحياة بالشكوى . إنما لا بدّ لها من السيف القاطع مع الابتسام .

الآنسة الكريمة التى سألتنى أمس رأيى فى حالها كانت تشكو من علة الضجر مع أن كل مايحيط بها يدعوالى السلوى والاهتمام

بل والسعادة.ولكنها تتلقى الصحف وترى صور شاطئ «ستانلى وبولكلى» وتسمع عن غوانى الاسكندرية (بالبيجامات) وهواء البحر والسهر فى ضوء القمر فتضيق الدنيا فى عينها وتعمل على تكوين ضجرها . فهل هذا الضجر مهما ازداد واشتد بها يحل عقدتها ويفرج عنها ؟ كلا، فهو إذًا شر محض . إنهـا تسىء الى نفسها من حيث ينبـغى لهـا الاحسان، فالنفس كالجسم بحاجة الى الانصاف والعناية والتعهـد والرعاية . وليس لنـا أن نلح عليها بأسباب نخلقها بخيالنا وأوهامنا ونزيد فى متاعبها وهمومها ونحملها ما لا طاقة لها به .

السعادة تصنع وتكتسب . إنها تبنى حجرا حجرا، والعاجز هو الذى يعجز عن نقل الحجارة . وعند ما يجوع الرجل يفعل كل شىء ليأكل، بل عند مايجوع الرجال فى الصحراء ويظمأ يأكل التراب، كما يقول لنا رحالتنا العظيم أحمد حسنين بك، فاذا كانت النفس جائعـة فكيف نكتفى بالشكوى ونزيدها جوعا وضجرا بدلا من أن ندخل عليها ألوف المسرات البريئة التى فى متناول

يدنا . أما الذى ليس فى يدنا فهو سر شقائنا وهو غالبا ما نتعلق به .

فلتسأل فتاتنا الكريمة نفسها عما ينقصها . ولتحلل هذا النقص شيئا فشيئا، تجده هشيما تذروه الرياح . إنها محبة محبوبة فى صحة جيدة موفورة الرزق تلعب وتمرح ما طاب لها وتعمل وتجهد ما شاءت، وتسمع الموسيقى وتقرأ الصحف وتركب الخيل وتصطاد السمك وتتعهد طيورها . فلا أدرى متى تتسرب اليها هواجس الشقاء ؟ إن عليها أن تقفل طاقة الأحزان التى تفتحها على نفسها بذات يدها . فاذا أوت الى فراشها فعليها أن تذكر أن الدنيا ممتلئة بالفقر والمرض والشقاء والشيخوخة والألم والعار، وأن تذكر أنها تعيش موفورة الحظ من المال والصحة والشباب والعفاف . ولتحمد الله كل ليلة ألف مرة ولتسأله أن يبارك لها فيما وهبها . ولتبسم للحياة وتحفل بها وتدخل السرور على قلب والديها فهما ينتظران منها فى شيخوختهما أن تكون قرة أعينهما . وأن تدفع لهما الآن بعض ما بذلاه لها . وفى هذا سعادة أخرى هى سعادة الواجب .

المساجد والصـــلاة

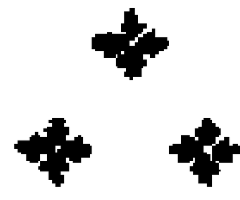
« ... أريد أن أطرح عليك سؤالا لتجيب عليه بما تشاء وكيفما ترغب . وسيحمل علينا جمهور من ذوى العقول الضيقة يساعدهم فى ذلك بعض المرائين الذين يلطمــون فى كل مأتم حتى لو كان مأتم إبليس . ولكنى أعرف فيــك الشجاعة الكافية لاقناعهم أو ردّهم الى حدودهم .

والسؤال : لماذا لانتقــدم بنظام المساجد فنهيؤها بالمقاعد وننظم حركات الصلاة حتى تتناسب مع الجلوس ؟

لقد كان موسى وأصحابه يصلون على الأرض ، وكان عيسى وأتباعه كذلك لأن حياة الناس فى أوقاتهم كانت تختلف عن حياتنا ، فلما جاء المتأخرون من أتباع موسى وعيسى غيروا نظام صلاتهم بحيث تتفق مع حياتهم الاجتماعية .

انى أنتظر كلمتكم فى الموضوع ، كما أرجو أن يكتب فيــه غير واحد من الذين سوف يقرءونه والسلام .

عبد الرحمن فوزى
خريج جامعة لندن



تسألنى رأيى يا أخى ومع ذلك تجعلنى فى صفك قبــل أن أبديه ... و «تهوشنى» بـ «ذوى العقول الضيقة والمرائين» ! .

قد يؤدى تطور الأحوال الى ما نتمناه من وجود المقاعد فى المساجد، وتنظيم حركات الصلاة بحيث تتناسب مع الجلوس، وقد يؤدى التطور الى أكثر من ذلك .

ولكن أقول لك الحق يا أخى ، ورزقى على الله ، أننى أتمنى أن يكون هذا اليوم لا يزال بعيدا .

كنت مرة منذ بضع سنين عند صديق كريم فى مجمع حافل، وقرأ أحدنا قصيدة ما ، فقام صديقنا ومضيفنا عن مقعده وجلس على البساط قائلا : إنه لا يجوز سماع هذا الشعر إلا ونحن جلوس على الأرض .

فطابت لى هذه الفكرة، وشعرت بمقدار ما فى هذه العاطفة من صدق ووفاء . ولم يكن يمكن أن يشعر بها إلا كاتب كبير مثله .

والآن أذكر ذلك بعد عشر سنين أو أكثر . فأنت تريد أن تدخل بيوت الله بالجرأة التى تدخل بها بيوت الناس . وتريد أن تجلس على مقاعد مريحة، وقد تغلو بعد ذلك فتطلب فراشا

وثيرا ، ثم قد تغلو وتغالى فتطلب أن يقدموا لنا المرطبات صيفا والمدفئات شتاء .

يكفينا يا سيدى ما نحن فيه من غرور الدنيا، نركب السيارة وننظر الى مخلوقات الله السائرين على الأقدام كأننا من معدن أفضل من معادنهم، وأولى بالهناءة منهم، والله يعلم أنها حظوظ . ونركب الطيارة، نزعج الطير فى وكره ، ونحلق فى الجو نعلو السحاب وكأننا نحاول الوصول الى أسباب السموات .

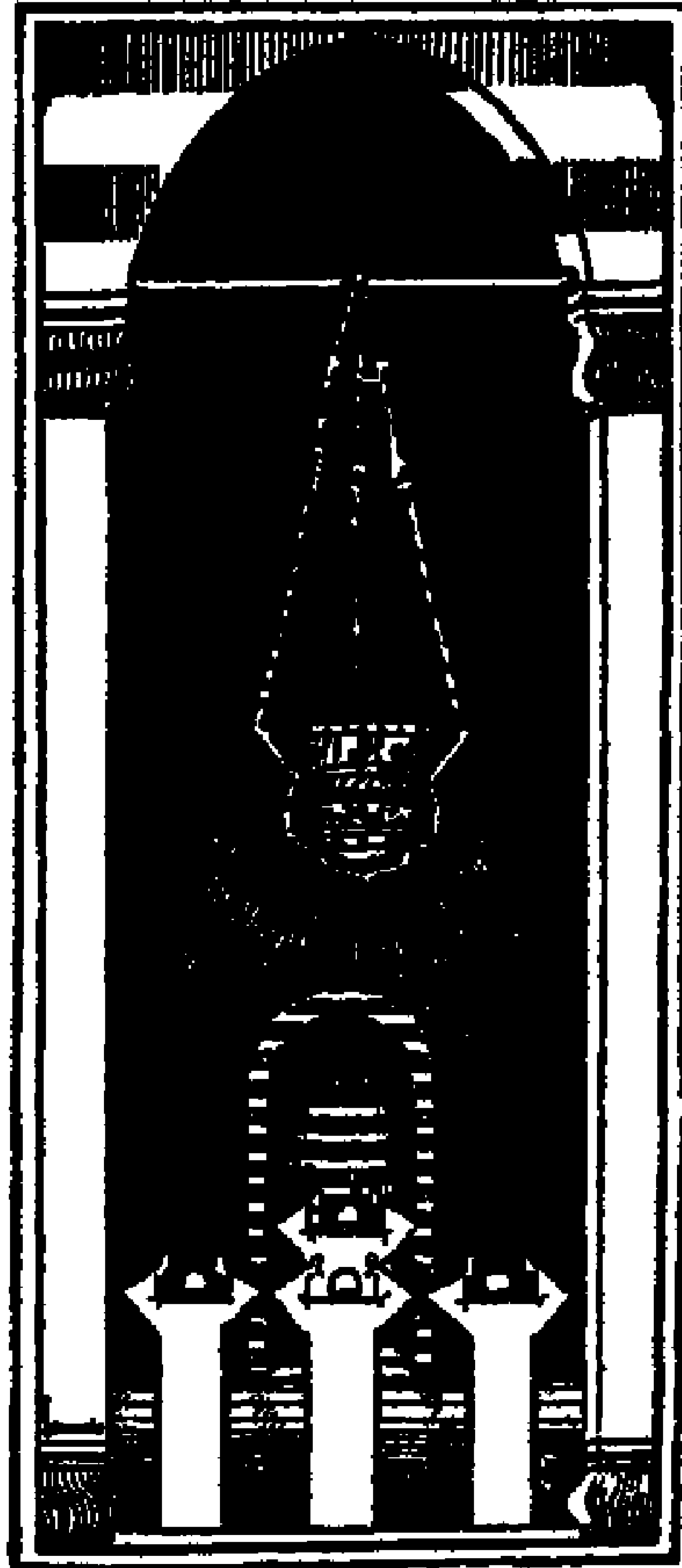
واذا جرى بين أصابعنا بعض المال ، صعرنا خدودنا وسرنا فى الأرض مرحا، وطغينا ما شاءت نفوسنا الطغيان .

دعنا إذًا يا سيدى ندخل مساجد الله فى ذل وخشوع . ودعنا نسجد حتى تمس جباهنا الأرض ويلوثها الثرى، لعلنا نكفر ذرة واحدة عن الظلم والإساءة والغرور . لاتحرمنا يا أخى هذه الترضية النفسانية، وهذا العزاء، وهذا التكفير .

وأنت لو دخلت الكنائس لوجدت سيدة جميلة أنيقة تترك المقعد الخشبي وتجثو بثوبها الحريرى تنحنى لسيدنا المسيح وعيناها مغرورقتان بالدموع . أليس ذلك شعورا منها بالاحتياج

الى الضراعة والتوسل وهى فى موقف الضراعة حقا والابتهال ؟ !
ولن يكون ذلك بالجلوس رجلا على رجل ، وتنظيم حركات الصلاة . بل اننى أذهب الى أبعد من هذا كله ، وكنت أوثر وأتمنى لو أنهم لم يستبدلوا فى بيوت الله بقناديل الزيت المتواضعة الخافتة تلك المصابيح الكهربائية الساطعة الفاجرة ! ...

إن كل شيء يدور ويتحوّل . ولكننى أريد أن أكون اليوم رجعيا والسلام .



رمضان

ثبت الهلال . واتجهت مئات الألوف من العيون الى السماء تنظر وترجو . واتجهت معها مئات الألوف من القلوب تؤمل وتدعو .

نحن الآن أقرب الى الله، لأننا الى الفقراء أقرب . ألسنا نحرم أنفسنا طوال يومنا الطعام والشراب ؟ ! ألسنا نتساوى الآن فى الجوع ؟!

ولكن إذا غربت الشمس فليس لنا أن نترك الزاد يطغى علينا . لأن حكمة الصوم هى الحرمان . هى الزهد .

ونحن نتأنق فى موائد الفطور لأنها طبيعة النفس تريد أن تعوض ما فاتها . وخير لنا لو أننا لم نسرف، لأن المعدة بيت الداء . أولى لنا أن نخص بالصنف الزائد بعض الذين قلما يتاح لهم أن يذوقوا مثله .

إن أولادنا الذين نحملهم على الصيام فيذوقون عذابه ينبغى

لنا أن نعلمهم حكمته ، لأن الصوم من دون حكمته لا يساوى شيئا . فلنعط الكبار أمامهم حتى يعطوا بدورهم الصغار مثلهم . فما أكثر الأولاد المحرومين وملاجئ أبناء السبيل واللقطاء غاصة بهم . فلماذا لا نصحب أولادنا يوما فى رمضان الى تلك الملاجئ ، ونحملهم الفطائر والحلوى والفاكهة ، ونحملهم ما فضل من ثيابهم ومن لعبهم ، ونجعلهم يعيشون ساعة فى سعادة الاحسان بين أولاد لن يعرفوا آباءهم الأنذال ، ولا أمهاتهم من الفاجرات أو الضحايا .

هذه حلقة صغيرة من حلقات رمضان . ولكنها تربطنا بالله .



لعب الأولاد

فى القـاهرة ، على ذلك الصليب العجيب لتقاطع شارع عماد الدين وفؤاد الأول، بين الساعة السادسة والسابعة مساء، يرى الإنسان الآن قطعة من أوربا ، أو بالأحرى من باريس، لأنه قلما يجتمع مثل هـذا الجمال وهـذه الأناقة وهذا التنوع فى الصور والأزياء فى غير مدينة النور .

أصبح النظر الى المحال التجارية متعة للنفس . السيارات الصغيرة الحمراء مكدسة على الأبواب تنتظر راكبها الصغير الموعود الذى لن يدفع فيها مليما ولن يخضع لصفارة (عسكرى) المرور ولن يحمل هم الزيت والبنزين، بل يركبها فرحا مغتبطا فى حديقة الدار، يضرب زمارتها فى الفضاء، وكلما ضرب تجـدد ضحكه وســروره .

وهـذا منطاد «زبلن» معلق وراء الزجاج . رمز صـغير لحضارة عظيمة وشجاعة عظيمة ونبوغ عظيم . رمز يتعلم منـه

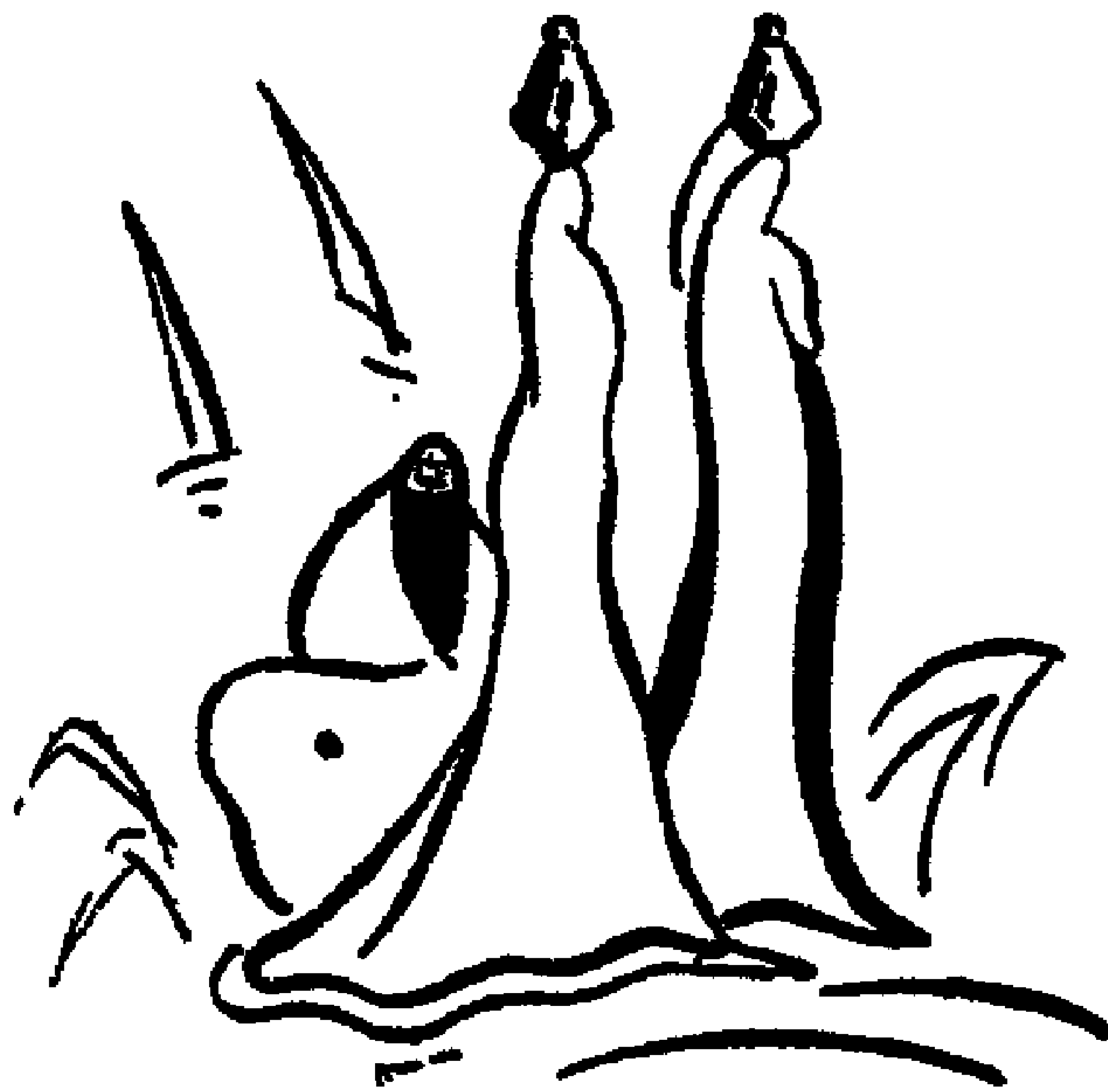
الولد أن وراء جدار البيت آفاقا فسيحة عليه أن يتطلب رؤيتها وأن يساهم فى مجازفاتها وأفراحها وأحزانها وأمجادها جميعا . فليست الحياة هى الأمان والاطمئنان . يجب أن ندفع فى الحياة ثمنا باهظا من قلوبنا ومن عقولنا ومن صحتنا وإلا كانت الحياة خاملة كاسدة آسنة . وهذا النضال نفسه هو الذى نتغلب به على فراغ الأيام وكآبتها .

ليس أجمل من منظر الأم الشابة تأخذ بيد ولدها الصغير تتجول به ويسير الى جانبها كأنه رجل يحميها . نعم يحميها من النظرات الخائنة ويجعل لها حتى عند الرجل الطائش نوعا من المهابة والقداسة . وترى أحيانا رجالا يسيرون جنب نسائهم كالنساء . وترى أحيانا أولادا يسيرون جنب أمهاتهم كالرجال ! ...

كل هذه الأناقة والرشاقة فى مصر قد اجتمعت بمناسبة العيد البهيج . عيد الميلاد وعيد الإنسانية ، كأنها تحية الاستقبال .

فعند ما تجتمع هذه الأسر التى لايحصى عددها ، حول شجرة

الميلاد، فى ذلك المساء الذى كدست فيه اللعب والهدايا فى أسرّة الأطفال ومخابئ البيت حتى يجدها ملائكة الدار فى الصباح، نشعر نحن المسلمين بهذه البهجة عينها كأن العيــد عيدنا، وهو عيدنا فعلا، لأننا أخوان فى إنسانية واحدة شعارها الرحمة والخير والمحبة، وهى التى ولدت يوم ولد سيدنا المسيح عليه السلام.



ليلة عيد الميلاد

أعتقد أن أكثر الذين عاشوا زمنا فى أوربا قد شعروا أمس، فى ليلة عيد الميلاد، بوحشة غريبة . يستحيل على أنغام « الجازبند » والأرجل الراقصة والصياح والضحك واللعب والمزاح أن تتغلب على صوت الذكريات أو تمحو من النفس صورتها .

سبحان الله ! فى مثل هذا العيد ، فى بلاد الغربة ، كنت أشعر بأنى فى وطنى واليوم فى وطنى أشعر بأنى غريب !

من كان يصدق أن الدهر يضرب هكذا بسهم الفراق بيننا وبين أوطاننا الروحية ، وبيننا وبين أحبابنا فنعيش بلداء نأكل ونشرب ونعمل وننام بحركات «أوتوماتيكية» ليس فيها من الحياة إلا ظلها ومن الروح إلا اسمها ؟ !

من كان يصدق أن العيد يجىء وليس لنا برنامج ، وليس لنا مائدة ، وليس لنا رقص ولا ضجيج ولا مفاجآت وليس

لنا أمل إلا أن نذهب فننام ، ونلق على وجوهنا الغطاء حتى لا نرى على لوحة الظلمات الأنوار الجذابة المصوبة الينا من وراء ألوف الأميال، من وراء البحار والوهاد والجبال .

عند ما ينتصف الليل ، سنكون قد أوينا الى الفراش، فلن نذهب في موكب صاخب بين الحى اللاتيني ومونبارناس نصعد الفنادق و « البنسيونات » ، ونوقظ النيام من أصحابنا ، ونخرجهم من فراشهم نلومهم على الكسل والنوم والخمول والناس في عيد، لا نرحم ما هم فيه من دفء وما في الخارج من برد وثلج، ولا نرحم إفلاسهم ان كانوا بلا مال، بل نضع القروش على القروش، ونروح نحيي باريس ونحيي الشباب ! ...

لن نوقظ أحدا الليلة ، ولن يسأل عنا أحد . سنعود اذا جن الليل منفردين الى صحراء « هليو بوليس » ، فنجد في الجو غيمة وفي القلب غيوما .

من كان يصدّق أن القلم لم يتحرك حتى بتحية العيد يرسلها بالبريد الى اخوان الصفاء والولاء ؟ !

ليس هذا الصمت إلا رحمة بهم وبأنفسنا . علام نرسل

هـذه الوريقات المذهبة المصوّر عليها النيل أو الأهرام ونحن نعلم أنهـا ستكون بمثابة من يرفع الضماد عن جرح لم يلتئم ! بأى حق نقطـر الصاب والعلقم، برسائل العيـد ، فى كؤوس الشمبانيا والنبيذ الأبيض ؟

كفانا أننا نذكرهم، وربمـا زعموا أننا نسيناهم . .

اذكرونا مثل ذكرانا لكم   رب ذكرى قربت من نزحا
واذكروا صبًّا إذا غنى بكم   شرب الدمع وعاف القدحا



عيـــدهم عيـــدنا

يقولون ان الوطن مجموعة من الذكريات والأمانى .
وكذلك الإنسان عندى . فنحن نعيش على ذكريات الأمس وأمانى الغـد . فإذا غضب قارئ لأننى أتحدث عن ذكرياتى فكأنه يريد أن يحرمنى نصف حيـاتى، واذا رضى قارئ عن هذه الأحاديث فهو قد اتقى الله فى هذا النصف الأول ! .

خذ مثـلا ذلك (الالبوم) من الصـور التى جمعناها على مدى الأيام. قلبه أنت فى يدك، فهل ترى منه أكثر من لمحات جمال أو مناظر خلابة، أو صور أشخاص، أو سفن وبواخر، أو مدن وشوارع، أو مقاهى ومدارس ؟

ولكن أنا ! ، إننى آخـذه فى يدى بحنان وعطف كأنه ولدى . وأفتحه بنوع من القداسة كأنه كتاب صلاة، وأتصفحه بشغف كأننى أعيش مرة أخرى، أيام هناءتى وشقائى ، أيام غناى وبؤسى، أيام صحتى ومرضى، أيام تمتعى وحرمانى .

كنا أمس فى أجازة عيد الميلاد . تركنا مشاغل الحياة اليومية لنعود الى حياتنا الخاصة التى لا يشاركنا فيها أحد، حياة أفراح وآلام مضت فى حساب الزمن وهى باقية فى حساب الروح. وجدت صورة صغيرة لى فى منزل الأسرة الفرنسية التى كنت أعيش معها فى عيد ميلاد سنة ١٩٢٩ بباريس، ووجدت حولى جماعة من الانجليز من نساء ورجال كانوا قد جاءوا خصيصا من لندن لقضاء هذا العيد بيننا ، فطاب لهم المقام حتى مكثوا بدل الأيام الخمسة ، خمسة عشر! ... عندئذ ذكرت تلك المودات التى توثقت عراها فى ذلك الزمن الضئيل، ووازنت بين أصحابها وبين كثير من الناس الذين نعرفهم منذ سنين ولا تربطنا بهم مودة حقيقية . ذكرت الليالى الساهرة فى السمر واللعب الزكى أو النزهات الحلوية أو زيارة دور الآثار والمتاحف التى كان كل شخص منا له رأى فيها، ومجموعة تلك الأراء تكاد تكون كتابا فى الثقافة العامة .

شعرت بحنين غريب لوسط كل من فيه متعلم زكى

الفؤاد، يشعل الاحتكاك به نارا فى الفكر تصقل الذهن وتجعل للوجود معنى ساميا يجهله الذين يعيشون للأكل والخمول .

عيـد هؤلاء الناس هو عيدنا . ان لهم دينهم ولنا دين . ولكنا جميعا قد اجتمعنا عنـد دين عظيم جدا هو دين هـذه الإنسانية العليا التى لا دخل لهـا فى المذاهب والشعائر، ودين تلك الروحيـة العليا التى توحّـد بين نفوس قوم اجتمعوا من أقصى الأرض ، والتقوا ليمجدوا النـور الذى يشملهم ، نور العقل ونور القلب .



كلما الغيث همى

شعرت أمس ببعض الهناء . لأن الجو قد اكفهر والمطر ظل يتساقط من الصبح حتى المساء. وغسلت مياه السماء كثيرا من أدران البشر . وشعر بالانقباض الذين يريدون أن يحيوا حياتهم على وتيرة واحدة . تطلع الشمس، ثم تطلع الشمس، ثم تطلع ... كانت أمس طبيعتنا غنية. دلتنا على أن عندها شيئا آخر غير الشمس والحرارة . أرسلت مطرا ولو رزازا وغيرت لون السماء الصافى الذى لا يتحوّل، ولمعت الطرقات وعكست أنوار المصابيح العالية، واكتسبت أوراق الأشجار لونا من الزمرد، وكأن الدنيا قد أسرعت الى عُرس لا يلبث أن ينفض وتحل السرادق وتطفأ المصابيح. فى ذلك البرد شعر القلب بالحرارة. لأنه وجد الجو الذى يعرف كيف يعيش فيه . فإن حرارة الشمس الدائمة تصيب القلب بالبرود . إن الجو الذى لا يتغير كاللحن الموسيقى الذى لا يتنوع فليس فيه من الطرب شىء .

كان سكان البادية منــذ أقدم الأزمان وما زالوا يبتهلون الى الله ويصــلون حتى ينزل عليهم من السماء ماء فتخرج لهم الأرض غلتها. ونحن مثلهم. نحن البدو التائهون فى هذه المدنية الزائفة. نحن أيضا نبتهل الى الله ونصلى حتى ينزل علينا من السماء ماء وثلجا حتى نشعر بأن الله ما زال معنا . حتى نشعر بأننا جزء من تلك الشــعوب الحية التى تعيش فى الجليــد وتبتكر وتخترع وتبدع وترسم للكون آياته الجديدة .

فاللهم خذ شيئا من شمسنا، واعطنا شيئا من ثلوجهم !...



فى غفلة الدهر

فى غفلة الدهر يجب أن ننتهز لمحـات السعادة . فالدهر حسود حقود. إنه ينفس علينا الراحة والأمل والرجاء فى الحياة والحب . إنه يأخذ منا أكثر ممـا يعطينا . إنه قد يغمـرنا بالمـال ولكنه يقتر علينا فى رزق الفؤاد، وعندئذ يصبح المـال شـقوة . أى شيء أجمل من أن نتفاهم فى الحياة روحان ؟ ! فهذه هى رسالة الحياة، ولهذا وحده نكد ونكدح ونعيش .

الأيام نفسها متثاقلة ، والليالى أشد وطأة . وعيش المرء الى جنب إنسان غير ممتزج به فى الروح تمام الامتزاج هو ضريبة فادحة تقصم الظهـور ، فإن الخـبز عندئذ يبتـل بالدموع . أما اللذان يتفاهمان فإن الخـبز الأسود يصبح لديهما ألذ من الشهد المصفى .

ما أكثر الذين يعيشون بجمود كأنهم بغـير قلوب ! بعض الناس الذين يحسون الألم والعذاب يحسدونهم مع أنهـم أحق

بالرثاء لهم، لأن الإحساس هو ميزان الحياة . وخير للإنسان أن يحس ويألم من أن يكون والجماد سواء .

لماذا نعيش ؟ ! هذا هو السؤال الذى يجب أن نبادر به أنفسنا كل صباح . هل نحن سعداء بأنفسنا أو أنها هى الأنانية السعيدة بنا ؟ ! قد تلذ لنا الوحدة ولكن الوحدة يجب أن يكون لها حق معلوم بحيث لا تفصلنا عن منطقة الإنسانية المفروشة بالقلوب . وعلى كل فرد أن يحاول أن يسعد فردا أو أفرادا، أن يسعد أمه أو زوجه أو ولده، وإلا فهو يسلب الحياة معناها ويخون رسالتها . لماذا يقطب وجهه ويدخل كاشرا عن نابه كالذئب فى الوقت الذى يجب أن يدخل على امرأته فاتحا ذراعيه مجددا الحب فى كل لحظة . فالحياة قصيرة أقصر من أن تكون صغيرة، وضيقة محدودة .

وعلى الذين تفيض نفوسهم بالجمود والكراهية للبشر أن يعتزلوا البشر . وألا يتزوجوا حتى لا تشقى بهم زوجاتهم، فليست المرأة خادما للفراش والمطبخ بل إنها روح البيت .

وكذلك المرأة ، فان وظيفتها أن تنشر البهجة والحبور

وتنطق كل ماحولها بأنغام منسجمة كالموسيقى . تكون فى ملبسها فى الداخل خيرا منها فى الخارج . تتزين للزوج لأن الزوج يجب أن يكون الحبيب ، وان لم يكن كذلك فهى ضحية منكودة من ضحايا القدر .

ليس فى الدنيا سعادة خالصة ، فعلينا أن نحاول تجميل الأيام الكئيبة ، وانعاش الليالى الحزينة ، وأن نحرص على عواطف الحياة لأنها تمر كالبرق الخاطف ، فهذه العواطف هى وحدها العزاء عن دنيا لا يرضى عنها أحد .

هذا هو ما خطر لى إذ قرأت فى ليلة واحدة كتابا عن الحب باعتباره صعيدا مجهولا . رجل عاش مع زوجه دهرا وهو لم يعرف سرها ، ولم يكتشف حسنها ، ولم يفهم مكنون عواطفها ، ولم ينبه كائنها الخفى و يدنيه منه و يقربه إليه . فماذا كانت النتيجة ؟ ! إنهما صارا كعدوين أو خصيمين ينكر كل منهما صاحبه وهما فى خدر واحد !

والنتيجة ... ماذا كانت النتيجة ؟ !

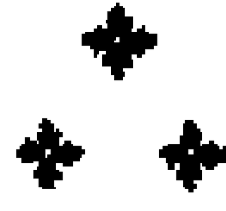
بين التضحية والتمرّد

«قرأت ما كتبته أمس فى (ما قل ودل) عن الأشخاص جامدى الشعور عديمى الإحساس الذين يعيشون بلا قلب . وقد أثر فىّ مقالكم تأثيرا عظيما إذ أننى إحدى ضحايا هذا النوع من الناس .

تزوجت من سنين مضت ، وكنت حينئذ حديثة السن لا علم لى بماهية الزواج . ولى الآن ولدان ، ولكن من يوم زواجى وأنا أعيش مع زوجى حياة جسدية لا عاطفة فيها . روحانا مختلفتان تمام الاختلاف لا ائتلاف بينهما ، عقليته مناقضة لعقليتى . وبالاختصار فكل ما كتبته من التحليل النفسى فى مقالك هو الحقيقة الواقعة .

ولكن ألا ترى معى أنك قد شخصت لنا الداء بحذق ومهارة ولم تصف لنا الدواء ؟ لم تقل لنا ما يجب أن تفعله تلك المنكودة ، ضحية المجتمع ، التى يمتزج خبزها بالدموع لما يختلج فى جوانحها من العواطف المتناقضة ، ولاعتقادها بأنها مرغمة أن تعطيه جسمها ثمنا لحياتها المادية بالرغم من التنافر والكره المكتوم فى أعماق نفسها التى تشعر به نحوه .

هل من علاج فى علم الاجتماع لتلك الفئة التى لا هم لها إلا إرضاء الشهوة الجسدية ، والتى لا تفقه للذة الروحية والائتلاف العاطفى معنى ؟ أم هل قسم لتلك التعسة أن تعيش الى الموت مع شخص لا يمت اليها بأى صلة روحية أو عاطفية ؟ وإنى لرد كم لمتلهفة ولكم الشكر من : «سيدة بائسة»



سؤالك ياسيدتى البائسة عن علاج لهذه الحال يفتح كتاب أحزان لاعداد لصفحاته . إنه سؤال لا جواب له إلا من نفسك أنت ؛ فهذا الداء الواسع الانتشار فى البيئة الشرقية لسوء أنظمة الزواج لا يوجد له دواء واحد يصح وصفه لكل فرد . سؤالك اذا ترجمناه كان معناه : أيهما أختار : التضحية أم التمرد ؟ ! فأنت واقفة بين بين ، تشعرين بمرارة التضحية وآلامها وذلها ولا تجسرين على التمرد بما يتبع التمرد من مكافحة جديدة فى الحياة تتطلب جرأة عظيمة وتضحية أخرى . والمرأة التى تجد على ساعديها ولدين تنكسر أجنحتها وتثبط عزيمتها وتؤثر التضحية غالبا . وفى هذه التضحية عذابها ، ذلك العذاب الذى يتكرر كل يوم ويتجدد مع مطلع كل شمس . ومع ذلك إننى أسألك : أفلا تخفض أصوات طفليك الحبيبين بعض سورة غضبك وثورتك ؟ بأى شىء تشعرين نحوهما ؟ إنك تكرهين أباهما ولكن أفلا تحبينهما هما ، هما الصغيران البريئان ، حبا يجعل ذلك الرجل بجوارك ولا وجود له ، أم إنك تنظرين اليهم أحيانا زاهدة فيهما مستنكرة أن تكون فلذة كبدك من ذاك الرجل ؟

إن أغرب العواطف وأشدّها تناقضا من الحب والغيرة والهناءة والألم والضجر والكره تتوالى على النفس كما تتوالى على الأرض تقلبات الطقس من شمس ومطر ونسيم ورعد و برق . فهى كلها أجزاء من الطبيعة تكوّنها وتجعلنا أحيانا فى حالات من السعار والجنون فرحا أو حزنا .

والزواج ليس بمجرد العقد يعقد، فما أسهل تلك الورقة التى يوجد أحيـانا وراءها ، فى روح الدين ، ما يحرمها . فليست المرأة هى رهينة المهر يدفع والجهاز يشرى . ولو تغلغلنا فى صميم ألف أسرة لفرقنـا شرعا بين العشرات بل والمئات منها . فإن للجسد حرمة مقدّسة ، وقد يغتصب الزوج الشرير أحيانا زوجته باسم العقد، والدين الحنيف من هذا براء .

تسأليني فى التضحية أو التمرّد ؟ ! ماذا أقول لك ! ؟ لو كنت بغير أولاد لقلت لك تمردى ورزقك على الله، رزق فمك ورزق قلبك . أما فى حالتك هذه فلا يسعنى إلا أن أشير عليك بمحاولة جديدة لاصطناع السعادة . تلك السعادة التى ربما استحال عليك أن تجديها إلا بين طفليك ، والله يعوّضك بينهما بالروح ما تخسرينه مع الزوج بالجسد !

فتـــاة جميـــلة

رأيت أمس فتاة جميـلة تزهو بنفسها وشبابها زهوا غريبا يكاد يبلغ حد الصلف . فهى تسير رافعة الرأس والصدر كأنها تتحدى العـالم، كأنها تتحدى النساء وتكيد الرجال؛ كأنها تقول بمحياها : أنا جميلة وشابة، فكيف تسعنى الدنيا ؟ !

خيـل إلى أول الأمر أنها مسرفة وأنها معتـدة بنفسها لأنه يوجد ســواها جميلات وشابات أيضا . ولكننى عدت فقلت إن هذه الفتاة لها جمالها الخاص بها الوقف عليها، وقد يكون فعلا فريدا؛ فلماذا لاتتيه بهذا المحيا الذى خصها الله به، وبهذا الجسد الأنيق، والقوام العادل، والغصن الرطيب ! ؟

ثم عدت فوجدت تفسيرا آخر لزهوها : يستحيل أن يكون كل هذا الزهو راجعا إلى أنها شابة وجميلة فقط، فإن الشباب والجمال كثير . إنها لا ريب معتدة بشىء آخر وراء هــذا كأنه العضد والسند . إن قلبها لا يزال خاليـا ، فهى تســير شاعرة

باستقلالها ، تقطع الطريق رافعة الرأس لأنها ترى من حولها القيود والأغلال ترى من حولها كآبة الحب الخائب والحب الذليل والفؤاد الكسير . ترى نساء جميلات وشابات أيضا أصابهن الذبول قبل الأوان، ترى عيونهن النجل قد اطفأتها الدموع . تحس أنك لو سألت كل واحدة من أولئك الحزينات المتجلدات فى عرض الطريق لسمعت من كل واحدة حكاية تجعلها تهرب من الرجال . فما أكثر الذين يجتمعون من الجنسين فى قران وكان ينبغى أن يذهب فريق الى الشرق وفريق الى الغرب . وللقدر مفارقات أليمة تحير العقول . وقد يسخر الناس من هذه المفارقات، ولكن الأولى بهم أن يرثوا لها لأنها ضريبة الأحزان التى حكم على البشرية أن تدفعها ثمنا السعادة الأقلية ، السعادة التى هى أيضا مهددة فى كل لحظة لأنها سعادة محسودة .

هذه الفتاة التى تسير فى غرور هى البكورة البريئة الخالية، أما البكورة العابثة فهى تسير منخفضة الرأس شاعرة بأنها فى بحر الظلمات . بحر لاشاطئ له ولا أمان فيه .

أنا أفهم هذا الجبين المرفوع وهذا الصدر العالى ، إنه رمز التحرر من عبودية الجيل ، ولكنه رمز لايطول مداه، فإن الرجل يتربص به . وقد قضى الدهر بأن يخط الرجل على هذا الجبين ما سوف تراه العيون ! ...



الشتاء صديق النساء

كان الهواء أمس لاذعا وبدأ الشتاء يقدم بعد إحجام . وكثيرات من السيدات لايحببن الشتاء مع أنه صديقهن وعليهن أن يحببنه لأنه يرد اليهن أزواجهن فيؤثرون الرجوع مبكرين بدلا من الدوار فى الطرقات والمقاهى كالتائهين .

وعلى المرأة أن تعرف كيف تنتصر داخل البيت لاخارجه . فهى إذا تأنقت للخارج ولبست فى الداخل زرىء اللباس فمعناه أن زوجها ثانوى الأهمية بالنسبة للغرباء .

أجل . على المرأة أن تعرف كيف تجمل البيت لتجتذب الرجل وتعطيه ذوق البيت . بيتها يجب أن يكون الف ليلة وليلة فى براءة واحتشام، يجب أن يشعر الرجل عند دخوله أنه يدخل معبدا من معابد الهنود فيه العطر والبخور، وفيه الحرير يغلف النور، وفيه الذوق والانسجام ، وفيه العطف والحنان،

فيدخل شاعرا بدخوله حرما . وليس جلوس الرجل الى جنب زوجته وأولاده إلا نوعا من العبادة والصلاة .

فالمرأة التى تذهب الى الخياطة لتفصل أز ياء الشتاء يجب ألا تضع نصب عينيها الظهور فقط بهذه الملابس عند فلانة وفلانة لتزهو أو تتكبر إنها إذًا عابثة . على المرأة أن تحب الاناقة حتى يفخر بها زوجها من جانب ، وحتى ترضى ذوقه من جانب آخر . فإذا لم تكن تحبه بحيث يكون هو وحده الذى يملك كل حياتها وتفكيرها ، اذا لم تكن تحبه بحيث تتمنى بعد هذا العالم أن تلتقى به هو نفسه لا أى أحد سواه ، فهى شهيدة .

فاذا دخل الرجل البيت كل مساء فيجب أن يكون دخوله مرحبا به ، منتظرا بفارغ الصبر من زوجته ، كما لو كان عائدا من سفر طويل ، أو كما كان نساء الأمس يستقبلن أزواجهن الحجاج العائدين من الحجاز . فتضع بين يديه لا التمر والعسل ، ولكن عواطف فياضة بحب يتجدّد أبدا له كل يوم مزاج وكل يوم فتنة ، لأنها يجب أن تكون الفتانة ، بل يجب أن تكون الفتاكة ! ...

والتي تفعل ذلك تكون هي العارفة بقلوب الرجال . قلب الرجل حصن ضعيف المقاومة سريع الاستسلام . فيجب أن تكون هي وحدها الغازية الفاتحة ! ... ويجب أن تنتهز الشتاء لتكسب الشتاء والصيف جميعا . وتستمر العجلة تدور . فالحياة قاسية كلها غواية وفوضى وكلها نسيان وجحود . والرجال متقلبون يعرفون ما سلحتهم به الطبيعة من سلطة وسطوة غشوم فيستبدون باسم حقوقهم ما طاب لهم الاستبداد !

فعند ما تغيم السماء ويهطل المطر يجب أن يصفو البيت ويهطل بالخير واليمن والحب ، وتدفأ فيه الأجسام والقلوب . فهذا هو وقت اكتساب الفؤاد . أما فى الصيف على شاطئ البحر فهو العبث والنزوة الطارئة التى لا تأتى حتى ترحل .

بين جدران البيت ، فى وقت تجهم الطبيعة وغضبها ، عند عصف الرياح وهطول الأمطار واشتداد البرد ، يكون مجال العواطف البيتية النبيلة ، العميقة ، المستمرة ، الصادقة ، التى تكفل للمرأة اكتساب الرجل ، لأن المرأة يجب أن تكسب زوجها كل يوم ! ...

رأس السنة الهجرية

أرسلت إلىّ آنسة كريمة من قارئاتى العزيزات ، المعروفات المجهولات ، اللواتى كثيرا ما أكتب لهن ، أرسلت إلىّ فى عيد رأس السنة الهجرية ، شيكا على بنك السلام والوئام العالمى بمبلغ ٣٦٥ يوم هناء ! ... وعلى الشيك أن للبنك فرعا فى كل بيت ! ...

ياليت ! ... ياليت لهذا البنك فرعا فى كل بيت ، و ياليتنى كنت أستطيع أن أصرف هذا الشيك وأن أقبض مقابلها عام سعادة ! ...

ولست أدرى ، هل التى بعثت إلىّ بهذا الشيك لها رصيد عظيم تبذر منه هكذا باليمين و بالشمال ! ... وهل آثرتنى وحدى بهذا المبلغ العظيم أو أرسلت الى غيرى و وهبت سواى ! !

وعندى أنه يصعب على أى بنك فى العالم أن يصرف لفرد واحد ٣٦٥ يوم هناء فى العام ! فان هذا كثير على الانسان ونحن لم نخلق فى هذه الدنيا للهناء بقدر ما خلقنا للشقاء .

وإننى لا أطمع من عامى الطويل فى أكثر من ٣٦٥ ساعة سعيدة . على شريطة أن تكون سعادتها خالصة، كاملة، أنسى فيها كل هموم الدنيا ومشاغلها وأتراحها . أنسى فيها الماضى والحاضر والمستقبل . أنسى فيها من أنا ، وأين أنا ، وكيف أعيش، وماذا أنتظر من دهرى ،وماذا أتمنى ،ولماذا أشكو، وأنسى كل شىء ! ...

لو أننى ذهبت وطرقت كل باب، كل باب بلا استثناء، وسألت أهل الدار هل يصرف من عندهم هذا الشيك، لابتسموا وقالوا: لو أن عندنا رصيدا كافيا لهذا الشيك لكنا من غير هذا العالم ! فليس فى تاريخ السعادة ٣٦٥ يوما متوالية، ولا ٣٦٥ ساعة متوالية ولا ٣٦٥ دقيقة متوالية! ...

إذن يصح أن يصدر هذا على بنك الأمانى . وإن يكون هذا الشيك المرسل إلىّ هو دعاء ورجاء . وما أحوجنى الى هذا الدعاء، والرجاء فى الهناء، يرفع الى السماء، من فتة طاهرة!...

دموع السماء

بكت السماء أمس حتى شبعت بكاء . فهل كانت دموع حزن أم كانت دموع فرح ؟ ! من يدرى !... نحن نفسرها على هوانا . بعضنا يعجب بها و يطرب لها ، و بعضنا ينقبض منها ويقبع فى عقر داره ، و بعضنا يجد فيها عزاء أى عزاء ! . بعضنا سيشعر ، وهو الكسير الفؤاد ، أن السماء تشاركه أحزانه . ونحن بحاجة الى هذا التصوّر ولو كان ضلالة من خيالنا .

و بعض الناس قد فرحوا أمس بهذا المطر لا لشىء إلا لأن فيه رزقا لهم . الفلاح فى أرض جافة ، والعربى فى البادية ، ينتظران الغيث المنهمر . والغلام الصغير الذى أضناه البحث عن حذاء يمسحه ، والطرابيشى الذى ينشد الزبائن الذين ينسون طرابيشهم أشهرا ، والكواء الذى يريد أن تمتلئ حانوته بالبدل . كل هؤلاء وغيرهم يرون فى المطر رزقا . لأنهم لا يفكرون إلا فى لقمة العيش . تلك اللقمة التى أصبحت فى أيامنا عسيرة المنال لا بدّ من دق حجر على حجر للوصول اليها .

كلٌّ يأخذ من السماء رزقه . ويأخذه حتى من دموع السماء !. ولقد شعرت أمس ساعة ببعض، بكل الهناء . نسيت الدنيا بأفراحها وأحزانها وبنيت لنفسي دنيا ليس فيها إلا السماء تبكى وقلبي يخفق . فى خفوقه من الحاضر ومن الماضي. فى خفوقه من الإحساس بجمال اليوم وروعة الأمس. فى خفوقه من وعود الحياة ومن شجون الذكرى .

هذا هو رزق الشعراء . وقد يسخر منه بعض الناس، وقد يعدّه البعض أضغاث أحلام، ويعدّه آخرون خيالا فى خيال، ولكن الشاعر يفخر بأحلامه وخياله . فهو يعيش بها ولها . وهو يزيد الدنيا بها جمالا . ولولا هذه الأحلام والخيالات لأصبح الوجود غليظا كئيبا . ترى ماذا كانت تكون الدنيا بغير الشعراء، بغير أحلامهم الجميلة، وخيالاتهم النبيلة؟ ! ترى ماذا كانت تكون الدنيا بغير سمائها التى تارة تظلم وتارة تصفو، وتارة تختفى وراء سحبها وتارة تبدو، لأن السماء لها أيضا خيالاتها وأحلامها . وإلا لماذا تذرف الدموع ؟!

الحب والمـــوت

رأيت رواية يموت فيها حبيب امرأة فتلجأ الى السـحر والشعوذة أو ماشابه ذلك لترد اليه الحياة . فابتسمت لسذاجة الوسيلة ورثيت لمطامع ابن آدم .

ففى الموت يتقدس الحبيب . تزول الاختلافات التى بيننا وبينه، وينتهى ما كان يصدمنا من أخلاقه أو طباعه، وتتبدل عندنا سيئاته حسنات . سيصبح حبنا له روحيا خالصا بعـد ما كان ماديا وروحيا فى وقت واحد أحيانا، وماديا خالصا أحيانا . سنشعر نحن أنفسنا بأننا لم نكن معه كما كان ينبغى أن نكون . سنشعر بأننا قد أسأنا اليـه أحيانا بلا موجب ، وقد أغضبناه مرة أو مرارا ظلما وعدوانا لعصبية مزاجنا أو شذوذ أخلاقنا وأننا لم نمتعه بكل ما كان يجب أن نمتعه به لأننا حرمناه بدافع الإهمال أو دافع البخل . ويخزنا ضميرنا لهذا كله وهذا الوخز هو كفارة الذنب والتماس للغفران .

يتقدّس الحبيب بالفراق . تزول عندئذ الفوارق التافهة التى كانت تبدو لنا فى حياته كبيرة. وتلوح لنا صورته أشدّ جمالا وفتنة مما كانت أبدا .

ونقول عندئذ كيف زاغت عيوننا عن هذا الحسن كله فلم نمنحه كل قلوبنا ولم نقصر عليـه كل عواطفنا ولم نقف عنـده ذاهلين ؟ !

لو عرف النـاس قسوة الموت لزادو ،عز،زا للحيـاة . لو عرف الناس قدر الحبيب لأحبوه حق حُب ، ولكانوا أشدّ ممـا هم الآن ولاء ووفاء ...

انظر الى ما يشجر بين حبيبين، بين زوجين، من خلاف على أبسط الأمور، تشعر بالخجل لقصر النظر وسوء التقدير والتمسك بالنـافلة وتجسيم قيمة المـاديات والحساب العسير على النظرة أو الابتسامة أو الدمعة أو الكآبة ... انظر الى الغيرة الجنونية التى تنشب أظفـارها فى عنق الحب فتقضى عليـه فى بعض الأحايين قبلما يزدهر ويملأ الحياة بهجة . انظر . وانظر ! ...

يا لنا من مخلوقات ضعيفة تبحث عن رشـدها وعن خيرها

فى أحوال كثيرة فلا تجـد اليه سـبيلا ... ترى ... أفلا بد من الموت ليوقظنا، وينبه ضميرنا ، ويقفنا على أغلاطنا واخطائنا، ويعلمنا التسامح والغفران ، ويذكرنا بقدسية الحب وأنه أعز ما فى الوجود، وأن من دونه لا تساوى الدنيا جناح بعوضه ؟

أفلا بد من الموت لنفهم الحب ؟

الخبز الروحي

اختفى الشحاذون أو كادوا من القاهرة أو على الأقل من بعض الأحياء . ولكن الشوارع مازالت ملآى بالذين يشحذون من الدهر السعادة ويسألون الأيام الهناء . وهؤلاء أشد فقرا وأكثر حاجة من الذين يمدون أيديهم بطلب الخبز . فهم ينشدون خبزهم الروحي غذاء القلوب . وهم يذكرون ذلك كله خاصة في العيد . لأن العيد هو احتفال بالحياة بل واحتفال بالموت أيضا . ألسنا نلبس فيه الجديد ، ونأكل الشهي من الطعام ، ونتزاور ويهنئ بعضنا بعضا ؟ ! ألسنا نقصد فيه المقابر نحمل الزهور ومن كل الثمرات ونذرف دمعة عند مثوى القريب والحبيب ؟ !

ولكن أريد أن أفرق بين الباحثين في مفاوز الأرض عن راحة القلب . فأكثرهم ينشد اللذة لا الهناء . ويوجد فرق شاسع بين هؤلاء وهؤلاء . فأكثر الناس قد سعدوا باللذة

وحدها، اللذة الطارئة العنيفة، العارضة، المتجدّدة، ولكنها لا تترك وراءها إلا الحزن والمرارة . فهى أسهل من الهناء لأنها تشترى أما الهناء فيقتنى . اللذة كوميض البرق يخبو بعد طرفة عين أما الهناء فيملأ الوجود . اللذة هى المخدّر أما الهناء فهو الرحيق . اللذة تجعلنا نتشكك فى معنى الحياة ومغزى المصير، وأما الهناء فهو الثقة بأنفسنا وبالناس وبالخير وبالحب .

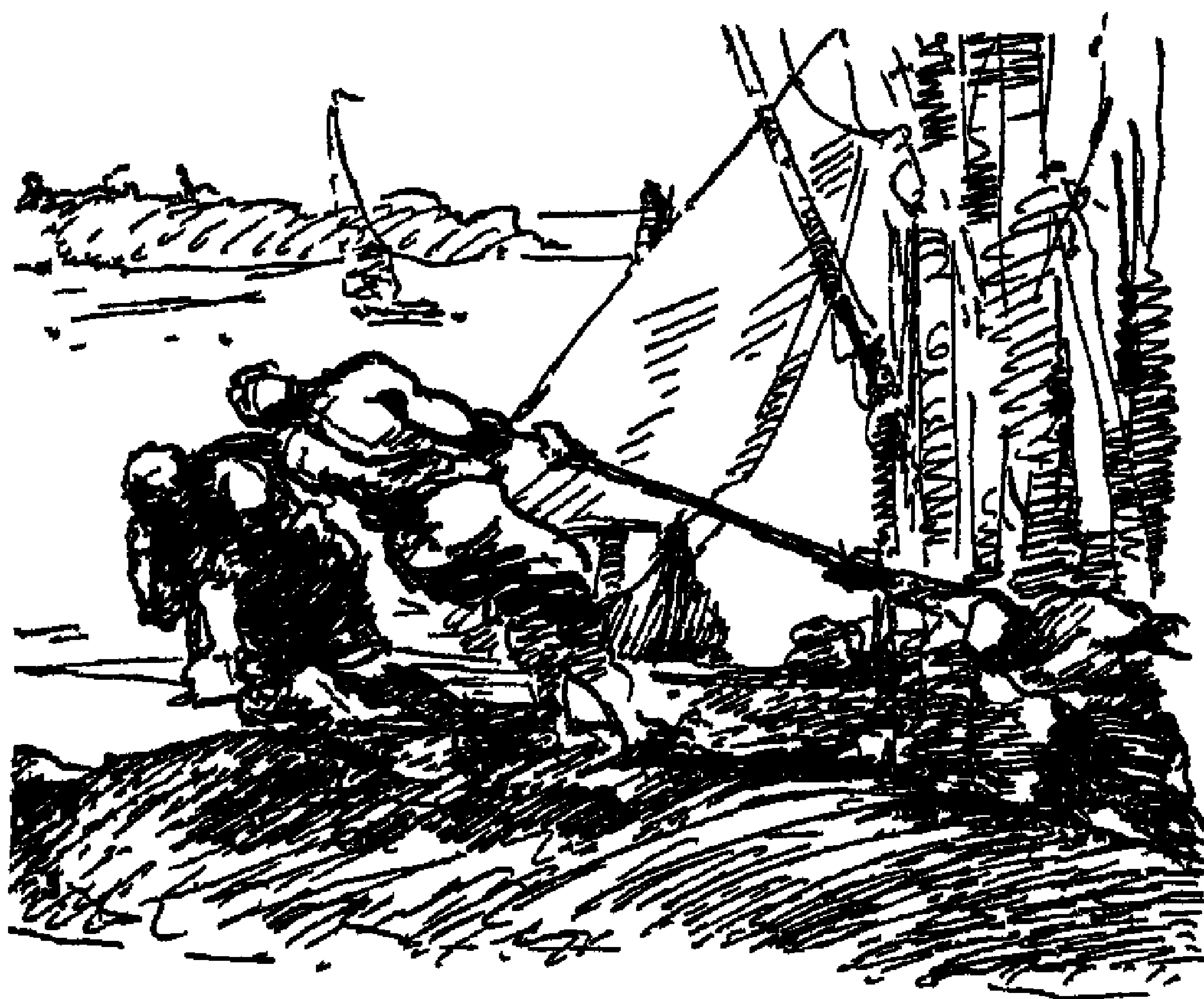
اللذة أمل الأنانية وهى عيد الأثرة . والهناء هو الايثار والايمان . اللذة شيطان جذاب ولكن الهناء ملك كريم . بعض الناس يحبون الشيطان لأنه براق خلاب كالنار . وهؤلاء يصيبهم من اللهيب نصيب . ولكنه ليس اللهيب المقدّس .

لأن اللهيب المقدّس يشعل القلوب الطاهرة، المطمئنة، الصابرة، الذاكرة، التى تعرف حقها، وحق الناس، وحق الله . فاذا حرمت دهرا من هنائها انتظرت ولم تيأس ولم تقنط من رحمة ربها . لأن الهناء فى الواقع هو جزء منها كالفضيلة .

تأملوا أبسط الأشياء الفاضلة وهى زيارة الموتى فى يوم

عيد . فنحن أمام تلك القبور الحجرية التى يرقد تحتها أحبابنا نقف متعظين، ذاكرين، خاشعين، وننصرف عنها بعد البكاء ببعض العزاء . فهذا هو ضرب من ضروب الهناء . وفيه راحة القلب فعلا لأنه تجرد عن لذة الأشقياء .

فانظروا كيف يحسن الينا الحبيب حيا وميتا ! ...



مظاهر العيـــد

انظر الى شوارع مصر الكبرى، كفؤاد الأول وعماد الدين وقصر النيل، وكيف تموج المحال الفخمة بلعب الأطفال الجديدة، تتشابك على الباب وتدور من وراء بللور الوجهات؛ تضىء أنوارها وتنطفىء، وتنكشف أسرارها وتحتجب، وتغرى تلك النفوس الطاهرة بالنظر فيها والتعلق بها، وينظر الرجال والأمهات الذين ليس لهم أولاد الى تلك اللعب البديعة بشىء خفى من الحسرة، وينظر الرجال والأمهات الذين لهم أولاد وليس لهم مال بشىء كثير من الحزن والقنوط، ويدخل الأغنياء ومتوسطو الحال يشترون ويهدون الى أحبابهم من الصغار الوانا شتى من اللعب والهدايا .

هـذا هو مظهر العيد . أفلا تراه مظهرا جميلا فعـلا يبدأ بالتفكير فى الأولاد تلك الأكباد التى تمشى على الأرض ؟ ! أليست هناءة البيت تكاد تجتمع فى الطفل وتقضى بأن يستمد

الأهل سعادتهم من ذلك المخلوق الصغير سواء أكان يحبو أم كان قد شب عن الطوق أو صار بعض الرجل ؟ ! أليست هذه اللعب التى نقدمها اليـه هى امتحان لذكائه وشحذ لقريحتـه وترويض لفكره وجلاء لذهنه ؟ ! فهم لا يتخمونه بالكعك بالسكر ولا باللحم الأبيض واللحم الأحمـر ، وهم لا يملأون بطنـه وانما يهذبون نفسه ، ويصقلون استعداده ، فلا يكون العيد عنده أن يأكل ثم يأكل ثم يأكل ، ولكن أن يشترك فى أفراح الأسرة بليـلة عيد الميـلاد تحت تلك الشجرة التى تضىء فروعهـا وتتثاقل أغصانها بالتحف الصغيرة والهدايا المهذبة .

ليت تلك (الحلاوة الحمـــراء والحلاوة الصفراء والحلاوة البيضاء ، والحلاوة الحمصـية والسمسمية والجوزية والشكلمية والهريسـية ... الخ الخ) تختفى من أعيادنا ومواسمنا ليحل محلها ما هو أرقى وأجدر بالطفل والبيت .

فإن تلك الحلوى القذرة التى تفسد معدته وأسنانه ، لا يجوز أن تكون رمزا للمولد النبوى الكريم ولا علامة عيد . إننا فى حاجة الى أخذ أشياء كثيرة جدا عن الغرب حتى لعب أطفاله .

رأس السنة الميلادية

من ذا الذى لا يتوقع فى عيد رأس السنة أن يحمل اليه القدر خيرا جديدا . هل فى هذه الدنيا الطويلة العريضة رجل (أو امرأة) سعيد تمام السعادة يريد أن يبقى حيث هو ولا يتطلب المزيد أو التبديل ؟

سمعت أمس ابن بلد يغنى على الرباب أنشودة شجية تقول « ما حدّ فى الدنيا من الهم خالى ... » وقد صدق . لا فرق فى ذلك بين كبير وصغير أو غنى وفقير فالهم جزء من الحياة لا ينفصل عنها ، وفى مستهل العام يشعر الانسان بأنه قد طال به انتظار الهناء فهو يصنع ثوبا جديدا كأنه يريد أن يودع مع القديم الهم المقيم .

حقا أن كل خفقة من لحظات السعادة محسوبة علينا بعشرة أمثالها نتمتع بها اليوم لندفع ثمنها غدا أضعافا فهل يا ترى يخلصنا أول يناير من حسب خسر ومن تركة مثقلة بالديون ؟ !

هذا هو الذى نتمناه . والناس على ذلك يحتالون أنواعا .
بعضهم يلعب ليرى هـل يكسب أم يخسر . وبعضهم يحطم الكؤوس ، بعد شراب نصف الليل ، ليكسر من شرة القدر .

وفى هذا اليوم الجديد ، المشرق ، المسؤول عن نفسـه ، لأنه أوّل يناير ١٩٣٤ ، نشعر برجفة التمنى والرجاء . نشعر بعجزنا وقوّة المجهول . نشعر باستسلامنا وسطوة الغـد . نشعر بأنّنا مخلوقات ضعيفة ، مسكينة تسير على غير هدى ، نتلمس النور فى الليل وتنشد النظام فى الفوضى ، ونتمنى الوصول الى شاطئ الأمان وهى تتخبط فى بحر الظلمات ...

كثير ما يعرض الخير لنـا فنعرض عنه كثيرا ما تقف على بابنا السعادة وتدق الباب ثم تدق ونحن لا نسـمع فتنصرف ، والسعيد الذى يفتح لهـا يكون هو الموعود الذى أوحى اليـه بالسمع . أما الشقى المحروم فيعيرها أذنا صماء ...

لذلك يمثلون الحـظ بملك مغمض العينين . قد امتلأت جعبته ذهبا وهاجا وهو يبحث عمن يلقى فى حجره هـذا النضار ويخلص منه ! .

وهم يمثلون الدنيا بفتاة جميلة حجبوا عينيها وجعلت تدق على جميع الأوتار حتى تقطعت كلها ولم يبق إلا وتر الأمل فى الله ...

لذلك أيضا يصعد البعض جبل عرفات ، ويقصد آخرون بيت المقدس ويروح غير هؤلاء وهؤلاء أناس يهيمون على وجوههم الى أقصى الأرض فى طلب أشياء أخرى لا يكادون يعرفونها على وجه الدقة وان كانوا يشعرون بها ، يريد البعض أن يفنى فى الله ، ويريد آخرون العون من الشيطان ...

وفى أوّل يناير تقف جميع الكائنات مندهشه لهذا المصير الغريب ، متسائلة عن الحب الأبدى الذى لايخدع ولا يخون ، متسائلة عن معنى الوجود وسر الكون ، فلا تكاد تظفر عن سؤالها بجواب مقنع حاسم .

فنحن نسير هكذا ، طوعا أو كرها لأن الدنيا تسير وكفى ، وقد نود لو نقف هنيهة لنتأمل ونستوعب ونحكم ونختار فلا نجد وقتا يسمح لنا بالوقوف أو التمهل واذا وجدنا الوقت دفعنا

الناس من كل جانب من حولنا إلى المسير، لأن الناس يهرعون كالجائعين إلى المصير !...

أوّل يناير !... رباه !... هل يحمل شيئا جديدا أو جاء يراكم القديم على القديم ، ويزحم الهموم بالهموم ، ويكسر النصال على النصال ؟!؟

ليكن أوّل يناير ما تشاء يا رب أن يكون ... على شريطة أن يحمل للارواح الحائرة : بعض الهدى ، وللافئدة الحزينة : بعض العزاء ، وللنفوس اليائسة : بعض الأمل، وللقلوب الظامئة : بعض الحب ! ...

شم النسيم

حمل الغوانى أمس من الكنائس ، فى نصف الليل ، الشموع الموقدة حتى بيوتهن ... وحرصن طول الطريق على ألا تنطفئ حتى يسعدن طول العام ! .

كلنا فى حالة التمنى هذه . كلنا يحمل فى يده، أو فى قلبه ، هذا السراج يريد أن يظل موقدا، ويخاف عليه هبة الريح ، أو خطرة النسيم ، أو تنفس انسان ...

شعرت لمرآهن بعطف ورجاء ، وذكرت أن جماعاتهن الصغيرة هى رمز الجموع الغفيرة . رمز الملايين التائهة فى بيداء الحياة والحب تبحث عن الرفيق وتمنى اللاهب وتريد أن تشعر وتتعذب ويكون لندائها صدى ويكون لصوتها مجيب ويكون لانتظارها فائدة .

وجماعاتهن الصغيرة ،أولئك الغوانى اللواتى يحملن الشموع ، هى أيضا رمز الملايين التى وجدت طلبتها وأجيب توسلها

وبلغت متمناها ولكنها تخشى عليه فى كل لحظة وتريد أن تحوطه بضروب الإعزاز والرعاية وان تجعله ، برغم الدنيا الغادرة، فى حرز حريز .

ولكن أى الفريقين أسعد حظا ؟! أولئك الذين لقوا متمناهم وهم فى خوف عليه وخوف منه، أم أولئك الذين مازالوا يبحثون عنه أو يعيشون فى انتظاره ؟! كلا الفريقين يتوجس خيفة . ولكن الذين لقوا الحبيب واطلعوا على سر الحياة قد يطغون وقد يتكبرون على المحرومين . وقد يكايدون الذين ما زالوا فى الانتظار ويتيهون عليهم . أتراهم لم يسمعوا أغنية « لوسيين بوييه » وهى تقول : « لا تقل (دائما أبدا) لأن ذلك فى الحب كفر وتجديف ! فليس هناك من يعرف . والمرء اذا ما أحب الآن أقسم بمغلظ الأيمان ثم بكل بساطة ينساها ... لا تقل (أبدا) فليس فى الحب ما يربطك ... ان الانسان يمل حتى من الهناء ... » .

وإنى أشفق من ترجمة الباقى . وأشفق من ذلك خاصة فى يوم شم النسيم الذى يجب أن يكون خالصا للحب والرجاء

فى دوام الحب . ولولا هـذا الرجاء لأظلمت الدنيا فى عيوننا ولانقلب شم النسيم ريح الخماسين .

فى أحضان الطبيعة اليوم، بين الزهور والحبور، ستوجد نفوس كاسفة البال، حزينة، لأنها لم تجد شطر روحها وثمة حياتها . فعليها ألا تفكر كثيرا . عليها أن تنطلق أيضا مع المنطلقين، فاتحة ذراعيها للنسيم ، وتشغل ولو قليلا بما حولها عن نفسها، وتنسى المرارة العالقة بفمها وتندمج فى موكب السعداء ولو لم تكن منـه ، ولو كانت غريبة عنه ، وتتساءل لماذا تذبل كالزهرة على عودها وهى منكمشة تأبى النور وتأبى النسيم، وهى تأبى أن تأخذ ولو من ظاهر الفرح بنصيب ؟ !

تمنيت أمس لو عدت طفلا أطلق البارود وأفرقعه فى الحائط أو على قارعة الطريق . تمنيت لو عدت صبيا فى العاشرة ومسحت اللوح كله ولم أدرك من الحياة تباريحها وهمومها ولم تدركنى الحياة باضطهادها ومشاغلها . تمنيت لو عدت صبيا، وبقيت صبيا، لم يكبر لى عقل ولم يكبر لى قلب، ألعب بالشمس والقمر والنجوم ! ...

شم النسيم أيضا

«لقد قرأت كلمتك عن يوم شم النسيم وكررت تلاوتها فى شغف وإنعام نظر. ولقد طالما أعجبت بما تكتب بما هو خاص بالعواطف وخفقات القلوب، ولا جرم فأنت شاب ملء قلبه الحب والأمل والرجاء وأنت أديب تستطيع أن تعبر عن هذه العواطف بما يشجى النفس ويهز أوتار القلوب . وإنك فيما كتبت لتقسم أهل النفوس الشاعرة والقلوب الخفاقة قسمين :

واحد نال ما أمل وحصل على ما كان منية النفس ومعقد الرجاء فهو حريص عليه يحاذر أن ينفصل عنه وأن يخرج من بين يديه، وآخر يبحث عن حبة القلب وراحة الفؤاد : عن نصفه الآخر الذى به قوام قلبه ونفسه وجسمه، الذى به يتوطد كيانه ويشتد بنيانه وتهدأ نفسه الثائرة، ويسكن قلبه الخافق الى شىء من السعادة والنعيم .

ألا ترى — يا أستاذ — أنك نسيت قسما آخر من أهل النفوس الشاعرة والقلوب الخفاقة المذكورين : أولئك لا هم اجتمعوا بنصفهم الآخر فاستراحوا اليه ولا هم يبحثون عنه فتذهبهم شواغل البحث ونشوات الأمل بعض ما يعانون، أولئك الذين وجدوا نصفهم الآخر وحبيبهم المقدور ولكنهم لم يضموه الى أنفسهم كما تنضم الجزئيات بعضها الى بعض فتنتج من ذلك كليات تامة الصفات ميمونة البركات .

كم منا نحن الشبان من يرى حبيبه ويراه ويتبادلان أرق العواطف وأنبل التمنيات بالنظر لا بالكلام وبالعين لا باللسان ويحرقهم الشوق ويحز فى نفوسهم الاشتهاء لضم النصف الى النصف وتكوين الواحد الكامل القادر على الحياة .

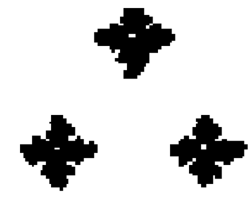
ولكنهم ينتظرون ويطول بهم الانتظار حتى تتآكل نفوسهم وتودى آلام القلب بجسومهم وقد يذهبون من جراء ذلك هباء ، ويكون سبب الحرمان أتفه الشؤون وأكثرها صغارا من أعراض الحياة . أليس جديرا بهؤلاء أن يكونوا كاسفين محزونين فى يوم كيوم شم النسيم حين يكون غيرهم فى سرور وحبور وانشراح ؟ أليس من المحزن حقا أن يرى الانسان نصفه الآخر الذى به قوامه وحياته وسعادة نفسه ولا يستطيع منه دنوا لأن الحياة قد حرمته بعض أعراضها الزائلة فى حين أن نفسه من أكثر النفوس سموا وأعظمها علوا ؟

أليس من المؤلم حقا أن تكون أنشودة هؤلاء فى مراحهم ومغداهم وفى سرهم ونجواهم وحين ينفردون وحين يجتمعون وحيثما كانوا فى المدينة الصاخبة أو الخلاء الطلق .

أليس مؤلما حقا أن تكون أنشودة هؤلاء قول عمر بن أبى ربيعة :

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع	ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر
ولا قرب نعم ان دنت لك نافع	ولا نأيها يسلى ولا أنت تصبر

(م ٠ س)



لا يوجد قسم ثالث ياسيدى لأنك أنت المحروم تدخل فى القسم الأول . أنت وجدت فعلا النصف الأفضل وفهمته وفهمك ولو لم تتبادلا حرفا واحدا، فهـذا له عزاؤه، وعزاؤه العظيم . وإن أشـق المحرومين هو الذى يبحث ولا يجد، فهو التائه فى بيداء لاأول لها ولا آخر، يتخبط ولايدرى متى يطمئن قلبـه أو متى يهتدى الى بصيص من النـور ولو ظل يراه دون أن يعيش فى ظله . وإن مجـرد العثور على النصف المنشود هو الجانب الرفيع فى المسألة. أما امتلاك هذا النصف فهو دائما فى المحـل الثـانى . وإن لك أن تهنأ لأنك وجدت، ولك أن تتعزى فقد قطع سواك بحر الحياة ولم يجد، وعاش ومات ولم يبل أوامه، ومات بحسرته، لم يبسم له ثغر، ولم تذرف له عين، ولم يخفق له قلب !

الحمّى !

بدأت تدب فى القاهرة الحياة ، فالشتاء يحييها والصيف يقتلها . إن عاصمتنا الجميلة عروس جمعت بين الشرق والغرب . وهى أشدّ بهجة من روما وأبدع من لندن . ليس فى لندن كلها عمارة مثل عمارات سيف الدين . وليس لباريس ضاحية مثل هليو بوليس . وليس فى روما مثل جاردن سيتى . أشعر بعرفان الجميل نحو الذين يبنون هذه القصور وهذه العمارات . كان يجب أن يمنحوا الأوسمة والمكافآت . كان يجب أن نبرهن لهم على أنهم ساهموا فى جمال هذه العاصمة وفى تمجيدها وفى الدعاية للبلاد ، فإن البناء ثروة والبناء الأنيق ثروة للذوق ، ونحن بحاجة الى الكثير جدا من الذوق السليم .

الإضاءة ، إضاءة البيوت والقصور ، أصبحت فنا خطيرا ، فان النور قد يكسف (الصالون) ويفضح الأثاث ويجعله مبتذلا . لا بدّ من أن ينسجم الضوء مع الفرش . ان لون « الأباجور »

أو شكل الثريا يدل على أخلاق أهل البيت . يدل على حبهم للسر والسلام أو الفوضى .

كذلك ثياب النساء ، فإنها زادت أناقة . ولكننا نريد أناقة البيت أكثر من أناقة الشارع . ترى ، لو أننا رأينا مرة فى الطريق سيدة أنيقة وعدنا توا الى بيتها فكيف نجده؟!

هل تكون قد قلبت كل شيء من (مناديل) وجوارب و (فساتين ومانتوات) وألقت بعضها على السرير والبعض الآخر على (الشيزلونج) أو الأرض ؟! .

دخلت أمس بيتا مصريا فانشرح صدرى ، لأنه لا البيوت الفرنسية ولا البيوت الإنكليزية يمكن أن تكون أسمى منه ذوقا . ولو عملت مسابقة لفاز من دونها . كان بيتا له روح ، له سر ، له مزاج . كان بيتا يخفق كالفؤاد . كانت جدرانه وكراسيه ، و (كنباته وسجاجيده) وأنواره (و زهرياته) وستائره كلها منسجمة كالألحان الموسيقية . صحبة الدار لا بد موسيقية ، إنها تجعل حياة زوجها وأولادها حنا شجيا . انها فرشت بيتها لا بألوف الجنيهات ولكن (برصيد) هائل من الفطرة

السليمة والذوق المصفى . ذوقها مطبوع . يدها واثقة من مكان هذا المقعد ، ومن لون هذه الستارة ، ومن موضع ذلك الإطار : أثاثها كله يتحدث الى بعضه و يتناجى بجماعة من الأصدقاء الأعزاء ، بجماعة متفقة متفاهمة متحابة لا ترفع صوتها بالضجيج والجدال . انها تتهامس ، ولكن بمجرّد الهمس بل بمجرّد النظر يكفيها لتدرك ما تريد أن تقول .

هذه هى حياة البيت ، فلا تكفينا الصروح المشيدة ، ولا تكفينا الأناقة الظاهرة ، ولا تكفينا ألوف الجنيهات لنجعل فى البيت السلام والسر . أى شىء فى الدنيا يعدل صفاء البيت ، وهدوء السر ؟

شجـــرة المشمش

رأيت شجـرة مشمش على الطـريق العام بالجـزيرة ؛ وقد ازدهرت أغصانها إيذانا بقـرب حلول الربيع ، فنبهتنى الى الربيع ! ...

وشجرة المشمش هذه من أحب الأشجار الى نفسى . فهى حقا من بشائر الربيع . زهرها أنيق كثوب المـرأة التى تعرف كيف تلبس . وما أقل الشجر الأنيق ، وما أقل النساء اللواتى يعرفن كيف يلبسن ! ...

وزهور المشمش قصيرة العمر . وكذلك الثوب النسائى . فهذه الشجرة تحمله شهرا أو بعض شهر . والمرأة الأنيقة لا تحمل ثوبها أكثر من ذلك . وربما عدّ بعض الناس هذا إسرافا . ولكنهم مخطئون . فان جمال المرأة لا يبدو فى غير بزتها . والرجل الذى له مزاج يحب أن تلبس امرأته وتتأنق فى لبسها ، وهناك رجال هم أعداء لبس نسائهم . وهؤلاء لا أدرى كيف

أسمائهم ، فان عداوة الاناقة هي شيء في الدم ، كما أن حب الاناقة ، ومعرفة الاناقة في الدم أيضا .

ولكن تستطيع المرأة محرومة الذوق أن تقتبس الذوق . فعليها أولا أن تحب الطبيعة وما بها من طير رشيق ، وزهر جميل وعليها أن تدرس كل ما حولها فلا تراكم أثاث البيت ولا تزحمه ولا تحاول أن تقلد كل ما تراه بل أن تجعل لها في بيتها وزيها شخصية وقفا عليها .

وفي الربيع تتفتح أكمام الزهر وتبدو بشائر الحياة وتزدان الدنيا بثياب النساء الزاهية وتخفق القلوب ... يخفق بعضها تمنيا للحب وبعضها ابتهاجا بالحب وبعضها حسرة على الحب . وكما توجد عندئذ قنابر تنوح على أغصان شجرة المشمش توجد سيدات ينسجن أحزانهن بينا يطرزن ، الى جنب النافذة ... يتأملن تلك العصا السحرية التي لمست الكائنات فأيقظها من سباتها وجعلت الشجر يورق ، والزهر ينضر ، والسماء تصفو ، والجو يحلو ، ولكن تلك العصا الساحرة لما تمس قلوبهن وتبعث فيها حرارة وقوة ! وما أحوجهن الى قوة جديدة لمواجهة الدنيا

من جديد . ولكننا جميعا نكون تلك الانسانيـة الشاملة التى يشق فيهـا البعض ويسـعد آخرون . فعلى السعداء ألا يطغوا فى هنائهم وعلى التعساء ألا يفنوا فى شقائهم . على السعداء أن ينظروا الى تلك النفوس الحزينة فيتعظوا ويعتدلوا ولا يسرفوا . وعلى التعساء أن ينظروا الى تلك النفوس المرحـة الزائطة بكل عطف وكل حنان ويشتركوا ، ولو من بعيـد، فى ذلك المرح لأنه رمز ضعف الانسان وحجته فى حريةالانطلاق من الأغلال والأحزان ...

لتكن إذن بشائر الربيع هى بشائر القلوب ...ولتكن زهور المشمش بمثابة نداء الى السلوى والعزء والاحتفاء بالحياة !...

أول مايو

فى أول مايو تغص شوارع باريس الجميلة بألوف الباعة الذين يقدمون زهرة « الموجيه » للمارة من شيب وشباب تزين صدور الرجال وخصور النساء وقبعات العاملات . وتنتشر الخلائق فى حلل زاهية فى الحدائق والغابات ، احتفالا بقدوم الربيع الذى يمس فى ذلك اليوم الكائنات بعصاه السحرية فيحييها . ويريد أهل باريس أن يتصلوا فى ذلك اليوم — كما نتصل بعدهم غدا فى عيد شم النسيم — بالطبيعة التى تتجدد وتنتعش . ولا يبقى غنى ولا فقير إلا ويشترى تلك الزهرة رمز الأمل وحاملة الهناءة .

وفى الجانب الآخر من المدينة يقف مائة ألف شخص يهتفون بهتاف واحد يبلغ عنان السماء تحية ليوم العمل والعمال . فترى نصف المدينة فى ذلك اليوم يستبشر بالحياة والوجود ويجدد أمله ورجاءه فى العيش الرغيد ، والنصف الآخر يهتف

للعمال وفوز طائفة على طائفة . وعندى ان الهناءة المنشودة من البعض لا يجوز أن تكون كالنير فى عنق البعض الآخر . ويستحيل على أمـة أن تهنأ إلا باتخاذ جميع قواها فى هـذا السبيل . وفى انتظار أن يكون الاتحـاد الاجتماعى مسـخراً ميسوراً حقاً لا بد لكل منا أن يعمـل لا لهناءته الفردية فقط بل لهناءة محيطه الذى يعيش فيه أيضـا : من أهله وأصحابه ورفقائه وزملائه (وعملائه) وتابعيه . بهـذا يرضى روح الدين نفسه ويساهم فى التعاون الاجتماعى العام . وإذ كان القدر حائلا دوننا ودون كثير من الماديات الى حد ما فليست الماديات وحدها هى سر سـعادة البشر . بل ان النـاس كلما زاد مالهم زادت همومهم . وبالأمس لقيت فى طريق الى الإسكندرية الرجل الذى ربح ثلاثين ألف جنيه وحسده جميع الناس وكان من أساتذتى بالمدرسـة السعيدية منذ بضعة عشر عاما فتصافحنا وهنأته . وقد عرفنى لأول وهلة . فلما أشرت عليه فى سياق الحديث بالقيام برحلة حول العالم لاتكلفه أكثر من ٤٠٠ جنيه قال لى : انتظـرنى الى العام القادم حتى أفيق ! ... فهو إذاً

فى حال تشبه الغيبوبة بسبب الثروة الفجائية، وليست من المناءة فى شيء لأن السعادة هى اليقظة .

وعندى ان الرجل لا يجوز له كذلك أن يكون عبدا لخبزه وأكل عيشه . لأنه اذا أصبح العمل مذلة للنفس فأولى للانسان أن يموت جوعا . والناس من خوف الفقر فى فقر . فالثقة بالنفس والرجاء فى الله ضروريان لكل كائن، ولا بد من تجديدهما عن يقين . ويوم أول مايو أصلح الأيام لذلك، لأنه يوم الربيع الذى تجدد فيه الطبيعة شبابها، ويجدد فيه الإنسان آماله .

الانتحـــار

انتحر على «العقيل افندى» فى ربيع حياته لم يتجاوز الثامنة عشرة، لأن التى أودعها قلبه قد خانت عهده وتعلقت بآخر.

ان فكرة ملأت رأسه ولم تتركه . شغلت كل حوسه فكأنها ذلك الأخطبوط الهائل الذى اذا تعلق برجل فى البحر لف عليه سواعده وأطرافه وعصره وقتله .

يمشى صاحبنا فيراها تسير أمامه. يجلس فتجلس قبالته أو فى جانبه تتحدث اليه على الحال التى يصورها له خياله ويرضاه !

ويقرأ فيراها واقفة على الصفحة بدل السطور والكلمات.

فاذا ذهب الى فراشه فانما ليجدها الى جانبه توقظه وتسهده بالعتب واللوم ما طاب لها ذلك . فإذا غفا سلّت عليه سيوفها الأحـــلام ! !

هذا الاضطهاد الذى أصوره لك هو الذى يخلقه صاحبنا. فهو يقيم من ذاته عذابات واضطهادات .

انتحر لأنه لم يتحرر من هذا الاضطهاد، بل خضع له ورضى

به . وقد أخطأ . وقد دفع ثمن خطأه حياته كلها ، ووارحمتاه عليه ! فقد كان الثمن باهظا .

كان أولى به أن يخرج الى الهواء الطلق قلبا وقالبا ، فكراً وفعلا . أى أنه عندما تعرض له صورة هذه المحبوبة الخائنة يلعنها فى نفسه ويسخر من شكلها ويقبح خيانتها وينعى عليها غدرها ، ويذهب الى النيل يجدف فى قارب ، ويملأ قلبه من هواء الجزيرة ، ويدفئ جسمه بشمسها ، ويملأ عينيه بمحاسن الوجود ، ويتأمل حياة ذلك النوتى الفقير الذى يغنى حتى تهتز بصوته العذب أجواز الفضاء ، وهو يأكل الجبن والفجل قرير العين .

عندئذ قد يدرك صاحبنا أن السعادة ليست من الغير إليه بقدر ما هى من أنفسنا ، من قلوبنا ، من عقولنا .

فقد رضى أن يبقى كقطعة الحديد الصغيرة يجذبها المغنطيس ويلعب بها . فرح يجرى ثم يقف ثم يجلس ثم يقوم ثم يأكل ثم يصوم ثم يحيا ثم يموت بإرادة فتاة لعوب .

هذا عوضا عن أن يقول لنفسه كلما عرضت له صورتها : أنت ! أنت ! وما شأنك بى ؟ إنى لا أعرفك ! ...

ويحطم تمثالها في نفسه بذات يده ، ويضرب بذلك لنفسه برهان رجولته .

ويمضي في دروسه ، ويكون على رأس فرقته ، وينبغ وينبه ذكره ليصرعها عند ما تكون هي في زاوية خاملة ما زالت تتعثر بحثا وتنقيبا عن قلامة ظفره .

والخيانة في الحب يمكن تشبيهها بالسقوط في الامتحان في مادة كاللغة الانجليزية مثلا : يذهب بعدها الطالب فيشرب «الفنيك أو صبغة اليوت» وينتحر . وذلك منه ضعف وجهل . وكان أخلق به أن يحبس نفسه في البيت ثلاثة أشهر لا يقرأ في خلالها ولا يكتب إلا اللغة الانجليزية خالصة . ينجح بعدها حتما ويوفر حياته لنفسه وأهله ووطنه .

فالفكرة هي التي تذلك أو ترفعك ، تحررك أو تستعبدك ، تحييك أو تقتلك .

حرر فكرك إذا من خيالات المرضى السقيمة ، واعلم أن الدنيا غنية بالمغامرات والمسرات . فلا ترضى الخروج منها كما يخرج البعض مفلسين .

زاد الإيمان

العالم فى أزمة روحية تفوق أزمته الاقتصادية . نحن قد نشكو جميعا الأزمة ولكننا مع ذلك نأكل فى النهار مرتين أو ثلاثا ، ونشرب عشر مرات وننام عشر ساعات كالعادة، أو فوق العادة . وكل ما فى الأمر أن الأكل عند بعض الناس قد زاد فيه الخبز على (الغموس) وزادت (السلاطة) على (البسبوسة) وبعد ما كان الوارث المغرور يشترى كل شهر سيارة جديدة ويهب القديمة أصبح يكتفى بسيارة مستعملة و ٤ جالونات بنزين) فى اليوم . والباشا العريق الذى كان يفصل بذلته فى شارع المغربى بخمسة عشر جنيها انتقل الى شارع الساحة بسبعة جنيهات . والموظف الذى كان يفصل فى شارع الساحة انتقل الى (ترزى) غيط العدة . والهانم التى كانت لا تعرف إلا شارع فؤاد الأول لملابسها وشارع عماد الدين لأحذيتها قد (تدحدرت) قليلا الى الموسكى وباب الخلق وبين السورين ...

ولكننا مع هــذا كله لم نسمع لحسن الحظ بأن سيدة قد انتحرت لأنه حكم عليها بلبس حذاء « باتا » بعد « راؤول » .
ولم نسمع أن كثيرين من الناس قد ماتوا جوعا لأن القمح أصبح (بتراب الفلوس) .

لكن الأزمة الروحية موجودة فعلا . دليل ذلك ما كتبه صحفى ألمــانى : « ان مسرح الحياة هو المسرح الوحيد الذى لا يوجد فى صالته باب رسمى للخروج . حتى انه يحدث فى كل ليــلة أن المتفرجين الذين يصرون على الخــروج (من كل بدّ) قبــل الفصل الأخير يضطرون الى إلقــاء أنفسهم من النوافذ أو (البلكونات) . وكان يحسن إقناعهم بعدم الخروج . ولكن لمــا كان ذلك يتعذر أحيانا ، فلا معنى لتجاهلهم وتركهم ينتحرون وحدهم ونحن ننظر اليهم من وراء ستار » .

فهذا الزميــل المفضال يقترح انشاء معهد للانتحار يدخله الراغب يتبختر من باب ويخرج (سضيحة) من الباب الآخر!... والحاجة أم الاختراع . لأن حضرته قد رأى فى العام من مواطنيه الذين ضربوا الدنيا وأنفسهم (طبنجة) ١٨٠٠٠ نسمة !...

وها هو الكاتب الفرنسى الكبير « دوهامل » (يخانق) مواطنيه فى آخر كتاب وضعه ، وقد أطلق عليه اسم : « شجار عائلى » ويقول : إن الناس من أزمتهم التى صنعوها سيعرفون أزمة الحضارة . فليس أمرها وقفا على الاقتصاد العالمى ولكنه يشمل الأخلاق والسياسة والاجتماع ، بل ومستقبل النوع وسلام الروح ونجاة العقل ، وقصارى القول كل ماتشتمل عليه الإنسانية بتاريخها وأديانها وأطماعها وعواطفها وآمالها ودولها .

وهو مع ذلك ليس يائسا . إنما هو يعتقد أن عالمنا العجوز مريض طغى فيه الشر على الخير ، وهو لذلك حزين ، وحزنه يحمل فى ذاته عزاءه ، وثورته هذه دليل أمله ، وشجاره هذا دليل ثقته .

وإذا كان قد قل الزاد فى بطوننا فينبغى أن يزداد فى نفوسنا الإيمان .

شخصیات

داود بركات

حرمني المرض من حضور حفلة تأبين أستاذنا داود بركات ويعز على القلم أن يكتب « تأبين » بدل « تكريم » ومهما قرأت الخطب والقصائد فان هذا لايبلغ مقدار سماعها من أصوات أصحابها الكرام ففي تلك الأصوات بعض نفوسهم ، وحبات قلوبهم . في ذلك الجو الذي تملؤه روح داود لأن روح داود تملأ كل مكان تحل فيه .

مضى الآن أربعون يوما على وفاته . أيام بقدر الأعوام التي قضاها في خدمة الخير الخاص ، والخير العام . فإنه كان يعيش للناس ولأهله ، ولم يعش يوما لنفسه ، دليل ذلك أنه عاش بغير حب ، ولا زوج ، ولا ولد . وفي مثل حالته فقط تعد العزوبة فضيلة .

أما عيشه للناس فدليله مجموعة « الأهرام » منذ ثلث قرن . مجلدات لو وضعت فوق بعضها بعض لصارت من

نواطح "سحب، وهى أقوى من نواطح السحب لأنها من نواطح الدهر . فالفكر جوهر الوجود، وهذه أفكار تحارب الشر وتنصر الخير . أى شيء فى هذه الدنيا، أيا كان طغيانه وجبروته، يمكن أن يعدم جوهر الخير !؟

نفس خيِّرة سمحة إلى أبعد حدود الخير والسماحة . تشفق على خصمها وتبتسم له لأنها تعلم أنها أكبر منه وأكرم . ولهذه الابتسامة معانيها . ومن معانيها التعفف والترفع ومكارم الأخلاق .

نفس مطمئنة تنشد الوداعة وتنشر السلام . راقبها فى حياتها كلها تجدها لم تنحرف عن الدعوة الى الوئام بين أبناء البلد الواحد وعن التلويح بينهم بغصن الزيتون .

نفس كالأسد الرئبال أمام خصوم الوطن . راقبها منذ مصطفى كامل وهو فتى ينهض وقد تولى على مصر كرومر وغورست وكتشنر ومكسويل واللنبى ولويد ولورين، فى السلم والحرب، فى أحكام عادية وأحكام عسكرية، فى احتلال

وحماية و ستقلال مع تحفظات، تعرف كيف دفع داود عن مصر دائما لا تين له قناة .

وهو فى السيسة مثله فى التاريخ، وفى لأدب، وفى الاجتماع وفى لاقتصاد . وفى كل شيء . فى كل شيء . سير هذه النهضات كلها فى بلاد . ويسدد . ودعمها . وأمدها بالفكر والصوت الجهير المسموع ، الصوت الذى كان يهز حكومات هز .

ثوى الآن واستراح . وكانت سعادته وراحته فى الجهاد . ولكنه كان عظيما . مرء هذه الدنيا . فلم تكن تكفيه الراحة الأبد .

خير الله خير الله

مات صديقى «خير الله خير الله» الصحفى اللبنانى الكريم نزيل باريس منذ ثلاثين عاما . ولست أرثيه لأنه صديقى فحسب، بل لأنه صديق من أوفى أصدقاء مصر العزيزة يشتغل بالسياسة وهو أنزه الناس وأعفهم وأكثرهم شمما وإباء . كان يحرر الشئون الشرقية فى جريدة «الطان» وهى أعظم جريدة فرنسية . فكان لا يترك فرصة تمر إلا ويشيد بذكر مصر . وكان يحتفى فى داره رقم ٧٧ بشارع «دنفير روشروه»، التى تجمع الى تواضع الفيلسوف ذوق الفنان، بكل من نبه ذكره من الشرقيين الذين يمرون بباريس . وكان يقيم فى كل عام حفلة استقبال لزعيمة النهضة النسائية التى ترفع رأس بلادها فى كل مكان حلت فيه السيدة هدى هانم شعراوى . وكان يجمع فى هذا الاستقبال الساهر الحافل الجاليات الشرقية الكريمة من مصرية ولبنانية

وسورية وعراقيــة ومراكشية الى غير من يضمهم من أعيان الفرنسيين وكبار أهل الأدب ورجال السياسة .

وكنت ترى في دار الأستاذ خير الله مدالية مسكوكة بصورة جلالة ملك مصر وتمثال جلالة ملك العراق وصورة ملك الأفغان وتمثال أمير الشــعراء شوقي بك، وهو من صنع المثـال اللبناني الشهير «الحويك» . وكنت ترى كتبه تناطح السقف العالي وتدور بالمسكن كما يدور السوار بالمعصم . فاذا جلست تتحدث اليــه وجدت ينبوعا يتدفق من المعرفة الواسعة الضيقة. الجامعة الى التاريخ فلسفته، والى السياسة أساليبها، وفي الأدب أصوله . فاذا سمعته خطيبا ــ وقد خطب مرة الجمعية المصرية احتفاء بعيــد ١٣ نوفمبر باللغة الفرنسية ، فان الفرنسيين أنفسهم لا يصدقون أن أجنبيا يحذق لغتهم فوق حذقهم إياها، وذكر في ذلك اليوم بعض ذكرياته عن المغفور له سعد زغلول . وكان على اتصال به أثناء المفاوضات الأولى هو ورجال الوفد المصري جميعا . فكان هو هو خير الله الصادق الأمين للعهد الوفي وفاء المخلصين المترفعين . وكان هو هو خير الله الشرقي العربي الصميم .

هذه لمحة عاجلة عن حياة موفورة الخيرات والمبرّات، حياة صديق يعز فيه العزاء . فلتكن بمثابة الوردة أضعها الآن دامع العين خاشعا وهو يوارى فى قبره تحت أرز الجبل .



مختــار

شيعنا أمس جثمان مثالنـا الكبير محمود مختار فعرفنا عنـد رؤية هـذا النعش بين الزهور، الى جوار تمثال نهضة مصر، مقدار خسارتنا فى مثالنا الوحيد الذى جعل المرمر يرتعش بين أنامله، ويسجل فى تاريخ الفن آيات مصرية لولا مختـار لمـا نقشت فى لوح محفوظ .

فمحمود مختار الذى نهل حـتى ارتوى من بلد الفن، من باريس ، قـد تجلى نبوغه وحبه لوطنـه من جميع التحف التى أبدعها ، فهو قد جعل الرخام يهتز إعجابا بقـوام الفلاحة اللدن وهى تحمـل تارة بلاصها على رأسهـا أو تلتفت الى المـاء برشاقة وخفه كأنها عذراء تسـتحى من النيل، أو تحمـل على رأسها ذلك الوعاء الخشبى الذى يأكل فيه فلاحونا العدس والثريد، أو هى تجلس فى حالة من الحزن والألم تجعل كل ما حولهـا حزنا وألمـا، أو تغفو لحظة وتأخذها من النوم سنة

فنجد غصنها الرطيب قد انثنى ونجد رأسها الجميل قد مال على كتفها . كل هذا من الصخر الأصم الذى عمل فيه «أزميل» مختار مالا تعمل أنامل الموسيقار البارع بالأوتار . ورأينا الى جنب الفلاحة المصرية فتاة القاهرة الأنيقة والأميرة النبيلة التى أسدل على محياها نقابا شفافا من المرمر فإذا بهذا الوجه الوضاء ينضح بالنور والجلال الذى ميز الله به المرأة الشرقية العريقة .

فمختار هو أستاذ فى الوطنية والفن معا . لأنه رغم ثقافته الأجنبيه قد أحب امرأة بلاده وعرف كيف يدرس قوامها ، وحركتها ، وخفتها ، وخفرها ، وأناقتها ، وغندرتها ، وحشمتها ، ويجمع هذا كله فى تماثيله التى لا تقدر الآن بثمن ، لأن مختارا مات .

وأذكر يوما من عام ١٩٢٩ إذ كنت فى مصر بالإجازة وزرت متحف الخيال الذى عرض فيه مختار بعض قطعه فى دار «روجيه بريفال» . وكتبت فى «الأهرام» مقالا مجدت فيه فنه العظيم . وأثنيت على تلك الليونة المدهشة والحركة الحية

فى تمثاله «نحو ماء النيل» لفلاحة تنزل بجرتها الى المـاء . وقد زارت زعيمة النهضة النسائية السيدة هدى هانم شعراوى عندئذ ذلك المعرض ورأت ذلك التمثال الفريد وأعجبت به لأنها هى أيضا فنانة مجيدة فى روحها النبيلة . وعرفت أن مختارا سيقيم معرضا عن قريب فى باريس، فاشـترت ذلك التمثال الصغير بمائتى جنيه . نعم (٢٠٠ !) ولو أن جاهلا سمع بذلك للطم على خديه . ولكن الفضل يعرفه ذووه . وهذه القطعة الآن تساوى أضعاف ثمنها . وما هو المال التافه الذى يبذل على الدوام فى سخافات إذا قيس ببذله تمجيدا لفن مصرى يخلق من الحجر جسدا كأن فيه قلبا يخفق ودما يجرى ...

ولقد حدثنا «مختار» فى كتاب «باريس» عن حياته الفنية فى عاصمة النور، ولسنا ننسى الصفحة التى كتبها عن حياته فى نزل عائلى وعن النضال بين الروح والجمال، وهو بين فتاتين إحداهما جميلة جدا والأخرى ليست من الجمال على شىء، ولكنها كانت مع ذلك تنتصر فى كل مجال بما حباها الله به من ذكاء وخفة روح . وانقطاعه بعد ذلك لدرسهما كفنان، وما وجده من أن

جمال النفس كثيرا ما ينتصر على جمال الجسم . واستنتاجه أن على الفنان عندما يريد تصوير إنسان : أن يتغلغل فى قرارة نفس الشخص الذى عليه تصويره أو تمثيله لأن الشبه وحده لا يكفى للدلالة بل هى الروح والخلق التى يجب نزعها واخراجها على وجه الشخص .

هـذا ما فعله مختار فى تماثيل « ثروت » و «على ابراهيم» و «سعد زغلول» وغيرها ، فلم يكن مختار حفارا ولكنه كان مبدعا يصور النفوس والأخلاق ، و يصوّر العزيمة والإرادة والذكاء .

وهـذه تحية عاجلة ، الى حين قريب فى دراسة طويلة ، نرسمها فى الراحل عنا فى عجل وقد نسى الدنيا بمـا فيها من «القاهرة» و «باريس» . ولشد ما قسم قلبه بينهما . ولكنه ما أحب باريس إلا ليعرف كيف يبوح بحبـه لمصر ، وكيف يجد ذلك الحب .

غانــــدى

أمس، كان فى زاوية من الهند، على فراش غير وثير، يجلس أو يرقد هيكل عظمى نذر الصيام، فهو لا يحـرك الجيوش، ولا يحرض الجماهير على الثورة، ولا يخطب، حتى ولا يكاد يتكلم. بل يترجح فى أرجوحة كالطفل الرضـيع تحت ظلال شجرة المـانجو والمؤتمر منعقد فى ظل أرجوحته.

هذا الهيكل العظمى، وهـذه الروح العظمى، قد تغلبت أمس على مئات الملايين من الهنود، وبدلت تقاليدهم، ففتحوا هياكلهم للمنبوذين منهم الذين كانوا يعدونهم منذ ألوف السنين والحيوانات العجمى سواء.

فهو قد دفع نفسه ثمنا للوحدة. ولم تكن تضحيته هـذه إلا تاج حياة كلها تضحية، فهو من زمن مديد لم يعد من أهل هذه الدنيا إلا بالشبح وان كان لا يعيش فى الواقع إلا لتطهيرها والسمو بها عن أدران الأحقاد والمظالم والتعصب.

من كان يصدق أن رجلا يريد أن يجوع وأن يموت جوعا يهز الامبراطورية البريطانية ويهزمها؟! لقد حقق غاندى هذه المعجزة . لأن من وراء غاندى وقف العالم كله لا فرق بين سكان أيسلانده وأهل صعيد مصر، ولا فرق بين مسيحى وسرائيلى ومسلم وبوذى، وقف العالم كله صفا واحدا وراء غاندى كما يقف المسلمون وراء إمامهم للصلاة .

وهكذا قاد غاندى كتائب النصر بلا سلاح . لأنه باحث عن المثل الأعلى: عن الحقيقة، عن الله . إن حياته المادية انخفضت قيمتها المادية عنده الى العدم لأن الله كان ملء قلبه . وعلى ذلك سخر المادة الفانية للغاية الخالدة، لخدمة الانسانية .

هذا هو المثل الذى يجب أن يكون كالفنار الذى يهدى الحائرين فى الظلام . إن غاندى كان أمس بصيامه وجوعه أسعد الناس . وهو اليوم بإفطاره على قطرات من شراب البرتقال أقر الناس عينا . فلا المال ولا الشهرة ولا الزعامة هى التى أسعدته هذه السعادة كلها المحروم منها ألوف الألوف من

الأغنياء فى طول الدنيا وعرضها، وإنما سعادته فى تضحيته . وهو لا يبحث عن هذه التضحية عمـدا ليموت شهيدا ولكنها إذ جاءت تقدم على هيكلها قربانا راضيا مرضيا .

فليعرف شبابنا إذا أن الذين يصلون الى أعلى المراكز من غير طريق الخدمة العامة ليسوا هم الذين يستحقون الحسد . وليعرف شبابنا إذا أن سلام النفس وهناءة القلب ليس فى خدمة الذات بالانشقاق على المجموع ، بل فى خدمة هـذا المجموع بالانشقاق على الذات الأمارة بالسوء ، والفوز عليها بكبح جماح أنانيتها .

إن حياة غاندى ، فى هـذا العصر المادى ، دليل على أن رحمة الله لم تتخل بعد عن هذا العالم .

كريمة السعيد

ذا كانوا فى الحرب العظمى قد كرموا أبطال المحاربين فأولى بنا نحن الأمة الآخذة فى النهوض أن نقيم تمثالا للوالدين اللذين أعطيا الوطن فتيات راقيات هن زينة الفتيات أدبا وخلقا وذكاء واجتهادا . فنحن نعرف فضل هؤلاء الآباء والأمهات لأننا أحوج ما نكون الآن الى الفتاة الفاضلة ، ولأن الكثيرين جدا من الآباء والأمهات مازالوا ينظرون بعين الشك والتردد الى تعليم البنت المصرية . بل إن بعض الذين يتصدون للكتابة فى الشئون العامة أفتوا لنا بحجب البنت بعد نيل البكالوريا !

فالدكتور أحمد بك السعيد هو والد الآنسة «عزيزة السعيد» خريجة معهد فروبل بلندن وناظرة مدرسة محرم بك بالاسكندرية والآنسة «كريمة السعيد» (التى نكرمها اليوم) خريجة جامعة لندن فى التاريخ بدرجة الشرف، والآنسة «أمينة

السعيد» الطالبة بكلية الآداب بالجامعة المصرية والآنسة «عظيمة السعيد» الطالبة بكلية العلوم . ومصطفى السعيد الطالب بالكفاءة .

فهذه الأسرة الكريمة، بارك الله فيها، هي مثال جميل للأسرة المصرية . وهذان الوالدان الفاضلان قد أديا الى هذا الوطن خدمة جلى بما قدما اليه من أعضاء نافعة عاملة فى المجتمع المصرى .

وهذه الآنسة كريمة السعيد قد نالت من العام الأول لبعثتها فى لندن شهادة « الماتريكوليشن » وهى العقبة الكأداء فى سبيل الدراسة، وما أكثر الطلبة المصريين الذين يعجزون عن نيلها ! وما أكثر الذين يبقون للحصول عليها سنوات وسنوات ! وليس تكريم الآنسة كريمة السعيد حقا علينا لأنها نالت جائزتها بدرجة الشرف، بل لأنها كانت الأجنبية الوحيدة بين ١٥٠ طالبة انجليزية فى كلية وستفيلد، وعاشت بيلها ونهارها بينهن فمثلت الخلق المصرى النبيل والذكاء المصرى الواعد تمثيلا جعل عميدة كليتها تشهد لها شهادة هى أبلغ من كل ما يمكن أن نكتبه، إذ قالت عنها قبل أن تتقدم الى الامتحان النهائى وتنجح :

« ... نهب تتقدم الى درجة الشرف فى التاريخ التى ينتظر منها أن تنالها فتحقق بذلك الأمل الوطيد فيها لما أبدت طول دراستها ، فهى طالبة قديرة لا يعتريها كلل والملل ذات ذكاء مرهف ، وفكر ثاقب ، واطلاع واسع مع استقلال الرأى ، ولقد انتفعت الانتفاع كله بتجارب الحياة المدرسية فى الكلية ، مدفعة بكل قواها فى نشاطها ، مساهمة بأكبر نصيب فى أعمال الكلية الفكرية والاجتماعية جميعه .

« ان الآنسة كريمة السعيد هى فتاة على أسمى المبادئ ، وذات نظر بعيد ، تعرف كيف تكرس نفسها بكل اخلاص وهمة ودقة فى القيام بأى عمل يعهد به اليها . وقد حبه الله بقوة الادراك ورقة الاحساس مع البشاشة وحضور الذهن ودماثة الخلق . وليس من شك فى أن صلتها بتلاميذها ستكون من أسعد وأجدى ما يعود عليهم فى تعليمهم العام أو توجيه دراستهم . وانى أعتقد أنها تكون من خيرة المعلمات ومن أحزم الاداريات . »

* * *

وهذه واحدة من الشهادات التى كتبتها عميدة الكلية وأساتذتها بعد أربع سنوات اختبار وعشرة . وهى أنموذج لما يمكن أن تؤديه الفتاة المصرية من الدعاية لبلادها فى الماضى ، وهى لمحة لما يمكن أن تؤديه من الخير لبلادها فى المستقبل .

الشيخ سلامة حجازى

جاءنى من دمنهور خطاب من الدكتور محمد فاضل عن «اللجنة التحضيرية لتخليد ذكرى الشيخ سلامة حجازى» وهذا الخطاب يدل دلالة واضحة على أن الريف المصرى يقدر الفن الجميل أكثر من العاصمة مع أن العاصمة هى التى تمتعت فى الواقع بالشيخ سلامة أكثر من دمنهور، فقيام جماعة من خيار الناس لتخليد ذكرى فقيد الغناء المسرحى جدير بكل ثناء وتشجيع فأشكر الدكتور فاضل الذى أتاح لى هذه الفرصة .

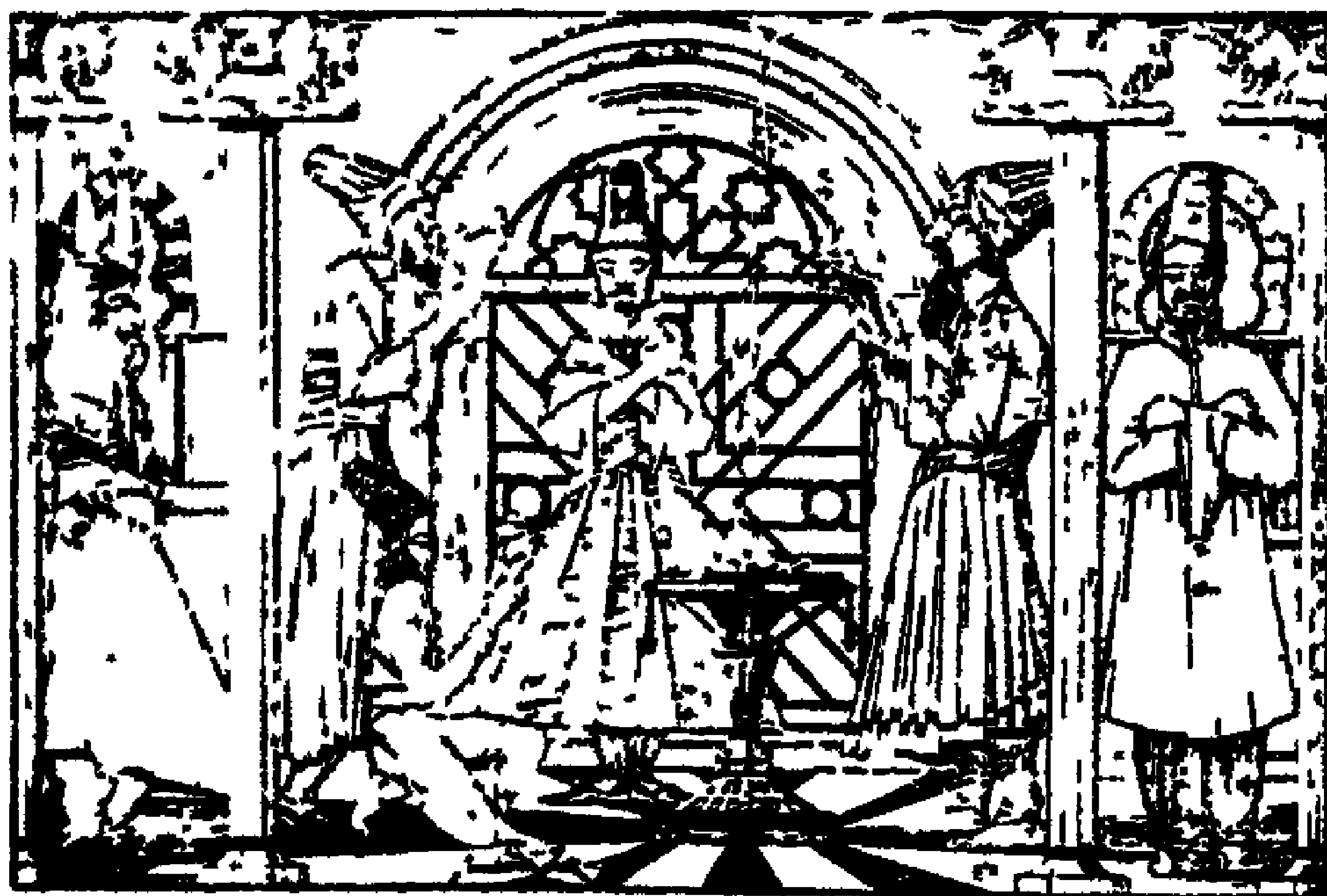
سمعت الشيخ سلامة حجازى فى أواخر أيامه وكان يقاوم الشيخوخة وكان يقاوم المرض ولكنه كان لا يزال يغنى ويملأ رنين صوته الشجى أجواز الفضاء بالأنين والحنين . كان فى صوته الغرام المنكسر الحزين، وكان فى صوته اللوعة على ليالى الشباب التى مضت ولن تعود ، وكان فى صوته التطلع للراحة الأبدية فى سكون الموت الذى يشبه سكون الحب .

كان الشيخ سلامة وهو يعرج على مسرح الكورسال رافع الرأس وفى عينيه دموع تلمع ولا تنسكب استكبارا . كان يمثل الفنان فى آخر حياته . الفنان المهضوم الحق دائما . الفنان الذى يألم ليسعد الناس ، ويبكى ليضحك الناس . وقد يمثل للجماهير وهو جائع ، أو وهو مريض ، أو وهو عائد من المقبرة حيث دفن عزيزا عليه ...

لقد رأيت فى كل مكان ذهبت اليه فى أوربا تماثيل رائعة الحسن مرفوعة تكريما للذين أطربوا الجماهير وأحيوا سهراتها البريئة وملئوها بالهناءة . وكانت هذه التماثيل مقامة تخليدا لذكراهم . وقد اشترك فى إقامتها الشعب والحكومة . وكتب عليها «من الدولة التى تقدر الفن الجميل ومن الشعب الذى أحب المغنى أو الممثل» .

فارفعوا له تمثالا أو أقيموا باسمه معهدا أو افعلوا أى شىء يرفع عنكم عار نكران الجميل . إنه ظل أربعين عاما على خشبة المسرح يسعدكم بغنائه ، ويشرف الفن بأنفته وكرمه وترفعه عن التبذل . وقد عاش للفن وحده ، أى انه وهبكم حياته

كلهـا . وكان ينسيكم متاعب أيامكم وهمومكم بالصوت الذى كأنه صادر من غير هذه الدنيا ... لأنه صوت عميق مؤثر حار مرطب بالعـبرات والقبلات ، فياض بالرحمة والمحبـة . لأنه صوت علوى، لأنه صوت أبدى، لأنه صوت الشيخ سلامه حجـازى .



نعيمـــه الأيوبى

الفتــاة التى تتم واجبها وتقضى من العــلم لبانتها ، مثــل الآنسة نعيمة الأيوبى ، هى الفتاة التى تعرف معنى الحرية . أما البنات اللواتى تتلخص عندهن الحرية فى الرقص (والشخلعة) فهن الجوارى ؛ لأن فتاة كالآنســة نعيمة الأيوبى قد تثقفت لتحتفظ بجوهر الفكر وتزيده صقلا ، وترفعت عن الفراغ والفوضى ، وملأت ذهنها بعلوم نالت إجازتها ، وملأت قلبها بأمنية حققتها ، وسهرت فى هذا السبيل الليالى الطوال ، وكدت على الأيام مدى الشهور والسنين ؛ وهى إذ تكافأ اليوم هذه المكافأة تشعر بالغبطة الحقة ، لأن عملها لم يعــد محصور الفائدة فيها بل شمل وطنها كله . فنحن الآن نفخر بنعيمة الأيوبى لأنها فتاة جادة غيرها زلة ، فتاة صبرت وظفرت ، فتــاة تريد المساهمة فى الخير العــام ، فى النهضة العامــة ، ولكن متى كان لنا أن نفخر بفتاة تنال لا ليسانس الحقوق بل الجائزة الأولى فى مرقص عام ! ؟

فالحرية ليست الانطلاق دون قيد ولا شرط ، وليست إلقاء الحبــل على الغارب ، وليست الهوى الطائش، وليست النزوات الطارئة ، وليست أن نخلع ما يلبسه الناس أو نلبس ما يخلعونه . إن هــذا هو الشذوذ، هو ضرب من الضعف ، هو نوع من الفوضى .

فالحرّية عزيزة المنال . إنهــا تطلبت من نعيمة الأيوبي الجلوس الى مكتبها سبع أو عشر أو اثنتى عشرة ساعة فى اليوم، كل يوم، فى الحر والبرد ، فى الصحة والمرض، لأنها مرضت فعلا وكان ذهنها فى أثناء مرضها قلقا على دروسها، وكان قلبها مشغولا بمستقبلها .

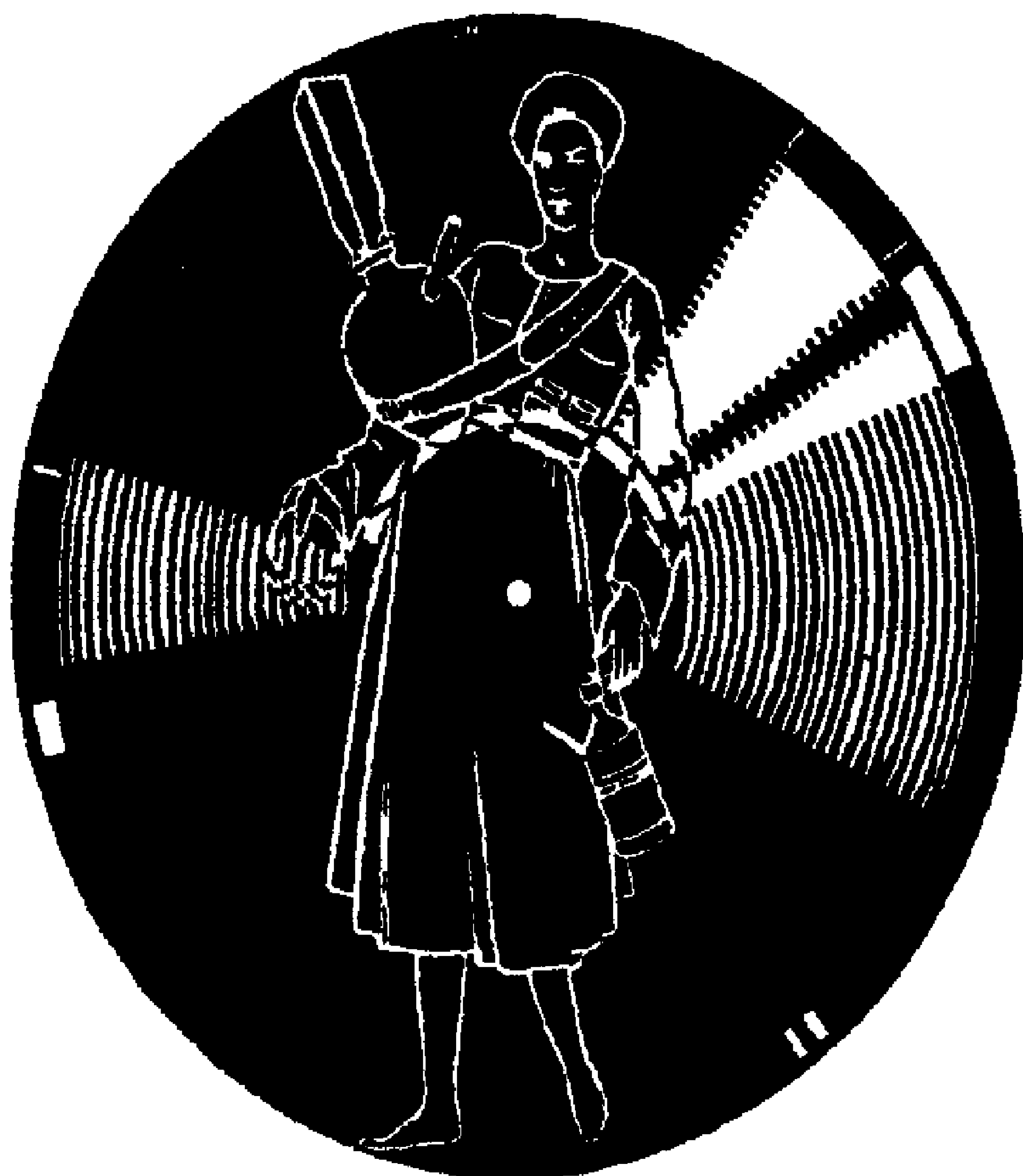
هذا هو الطريق الذى نحب من فتياتنا السير فيه . ولسنا نعنى به أن يلتحقن جميعــا بكليات الحقوق والطب والآداب والعلوم وينلن إجازاتها، ولكن أن يدركن المعنى الحقيق للحرية، وهو يبــدأ بتكميل النفس وتنوير العقــل والارتفاع بمســتوى الذات قدر الطاقة . فالحرية عناء وجهد لا بد من دفع مهرها

الغالى . وللتى تدفع هـذا المهر أن تمتع بعد ذلك بمزاياه، وهى عديدة، منوعة، شائقة . خير للفتاة أن تعرف أولاً كيف تحـدث . والحديث وحده عالم هائل ، دنيا أبوابها من العاج وشوارعها من البلور وحيطانها من الذهب والفضـة وأشجارها محملة بالزمرد والمـاس ، هى ألف ليلة وليلة . ولا بدّ للفتـاة التى تريد أن تفوز من أن تكون : « شهر زاد » .

فلا غنى للفتاة الجديدة من الاطلاع على الأدب العربى والغربى ، ودراسـة كل ما يجعـل البيت الصغير دنيا حافلة موفورة المسرات كدراسـة تدبير البيت والموسـيقى والتصوير وشغل الإبرة . فاتى تفعل ذلك تكون قد نالت أيضا شهادتها ، وتكون قد تحررت من عبودية الجهـل والذل . فاذا جلست فى (صالون) لم تثرثر بالكلام الفارغ ولم تجاس (كالبجم) . واذا غاب الطبـاخ لم تغرق فى (صحن ملوخيـة) ولم تقطع أصابعها فى تقشير البصل . واذا عاد رجلها متعبا عرفت كيف تروح عنه بألحان (البيانو) ، من أناملها هى لا من (تجعيرة الراديو

واسطوانة بياع العرقسوس القائل : فرفشني ودندشني) . وفي كل جانب من بيتها شيء من صنع يدها ...

وهذه هي الحرية .



اسكندريات

الى المصيف

بدأت القاهرة توحش . وفى كل يوم تقل السيارات . وتختفى الأثواب الحريرية النسوية الجميلة . وتقفر الشوارع الوجيهة . وفى كل يوم تقفل نوافذ جيران حولنا، ويجيء الليل فتظل مظلمة حزينة شاعرة بخجل لهذا الهجر الذى لا تدرى له سببا ، صابرة صبر المحب الوفى الصادق الواثق من عودة الحبيب .

هنيئا للإسكندرية ورأس البر ، إنهما قد استردا اليوم عزهما بعد طول الاصطبار وبدأ النور يوصوص من خلال بوص العشش، وكأنه يشارك الهامسين فى همسهم . أى شيء يقال فى المصيف ؟ ! لو سألونى رأيى لقلت لهم انسوا جميع تكاليف الحياة، فليس السفر الى المصايف هو دائما لأن الحر شديد لا يطاق فى المدن ، فحرارة القاهرة ما تزال محتملة وهذا عزاء لنا نحن الذين ما زال وراءنا بعض العمل

أو فى جيوبنا قليل مال . السفر اليوم الى الشواطئ كأنه موعد خفى مضروب للانطلاق من قيود الزى الثقيلة . وكذلك يجب أن نتحرر فى الوقت نفسه من المعيشة على وتيرة واحدة . يجب أن ننسى فى المصيف جميع الهموم، والمشاكل، والقضايا ، والديون .

يجب أن نخلص تماما، وقبل كل حساب، من مشاغل القلب . يجب ألا نزيد فى الشجون على شاطئ البحر ولا نبدع ألوانا جديدة لآلامنا وهمومنا . يجب أن ندع مع حرارة المدن حرارة المشاكل . وإلا اذا كنا ننوى أن نحملها معنا فالأولى بنا البقاء فى بيوتنا ، فإن المصيف هو للتفريج عن النفس بقدر ما هو للتفريج عن الجسم . هو راحة للقلب قبل أن يكون راحة للجسد .

هو تجديد للقوى المعنوية بقدر ما هو تجديد للقوى البدنية . هو رياضة ، هو رياضتان . فلنقبل على المصيف بشعور الابتهاج والفرح كالعاقر التى ترزق طفلا ، ولنتمتع كل لحظة فى إجازتنا لأن الدهر بالمتاع ضنين . لنختلس إذا منه

أويقات الهناءة هذه، ولنعدها نعمة من الله أن نذهب الى المصيف فى الوقت الذى يحرم الألوف حتى من الهواء النقى . ولننطلق من قيود الماضى لنعيش حياة مستقلة قائمة بذاتها لا شأن لها بالأيام التى قبلها والأيام التى بعدها، وليكن الانطلاق فى حكمة وحشمة ، فى حدود الفضيلة ، وهى سر سعادة الرجل والمرأة على السواء .



عروس البحر الأبيض

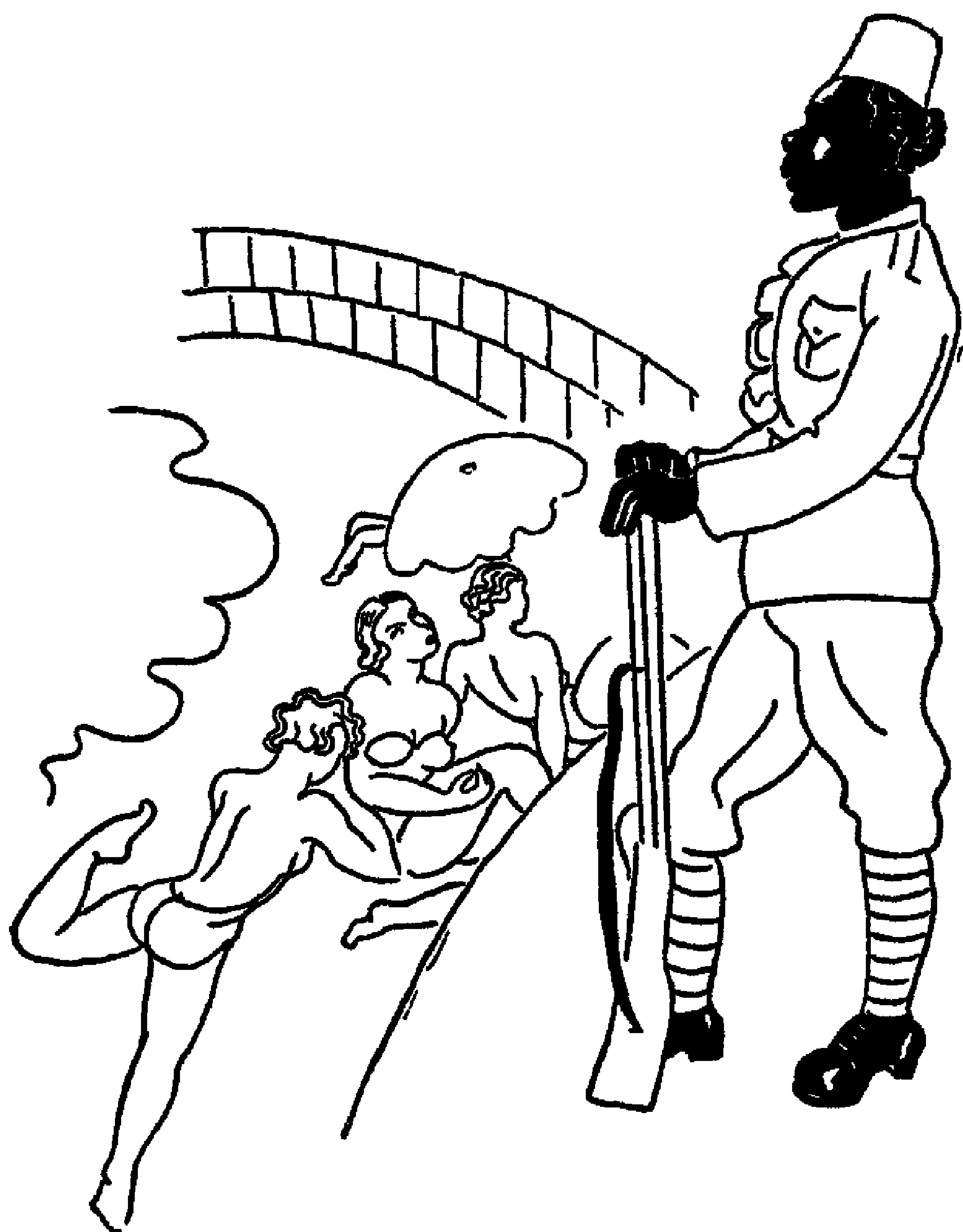
حظيت الاسكندرية بالعز والسلطان. وانكسفت أمامها شمس القاهرة، وإن ظلت كأنها شواظ من نار. فى كل خطوة تجد الباشوات والبكوات والهوانم، سيما الهوانم. ولكن هل أصبحن هوانم؟! هل أصبحن يحببن، أو ينطبق عليهن، ذلك الوصف التركى الجميل بعد ما خلعن النقاب، نقاب الحريم، وخلعن ما هو أكثر من النقاب؟! هوانم اليوم، غوانى اليوم، يرتعن بين سيدى بشر وستانلى باى. يرتعن مساء الأحد فى كازينو سان ستيفانو، ويصرعن فى كل خطوة قلوبا.

ستانلى باى فى يوم الاحد، يوم الحشر بغير حساب. أكوام من اللحم بغير عظام، أكوام مكدسة لا تكاد تجد بينها ممرا. ليس ستانلى باى هذه السنة هو ستانلى باى العام الماضى، كان بالأمس أشد أناقة. كان للجريئات والغنيات،

أما اليوم فقد استباح الجميع حماه، وانتهكوا حرمته، إن كانت له يوما من الأيام حرمة .

نظرت بذهول، بشيء من الإشفاق و بشيء من النفور . هالنى هذا التراحم العارى لأنه رمز آخر لغير التمتع بالصيف وشاطئ البحر من رمل وماء . إنه من جانب النساء للتمتع بالنظرات ومن جانب الرجال لاستجداء النظرات . إنه استعراض مخيف لشيء يحسن فى أحوال كثيرة ستره الى حد ما، بل الى حد بعيد . إنه مباراة فى الخروج والشذوذ . إن تلك الفتاة الجميلة التى كانت منبطحة على وجهها فى ذلك اليوم، فى ذلك الحشد، لم تكن جميلة . إنها كانت مبتذلة . إنها كانت متصنعة . إنها كانت كالشحاذة المادة يدها على قارعة الطريق .

مررت ، عائدا من سيدى بشر، فى الساعة الواحدة صباحا، فرأيت الظلام الدامس قد ساد ستانلى باى . ترى كيف رضى الظلام بعد النور ؟ ! كيف رضى السكون بعد الحركة؟ ! كيف رضى الذل بعد عز ؟ ! استكان حتى الصباح



التالى . إنه يتربص . إنه ينتظر فراس جديدة . إنه يريد أن يتجدد . إنه يرضى بسدول الظلام ليحيك اثناءه شباكه اذ يشتد فى الصباح نوره .

ظلام دامس . لم يبق على كورنيش ستنلى باى إلا جندى خفر السواحل، السودانى . لا تميز من الظلام وجهه النحاسى الجميـل . إنه يتعرض لكل تهريب، كتهريب المخـدرات ، ولكنه لايتعرض لتهريب الجمال، ولا يتعرض لتهريب النفوس، ولا يتعرض لتهريب العواطف ! ...

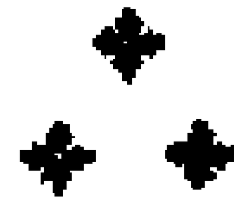
أيها أشد تحريما وخطرا ؟ ! المخدرات أو المخدر الأكبر : الجمال، الحب !

لمحات في الاسكندرية

الكابينات على الشاطئ متراصــة بلا نظام ، ولا انسجام في اللون أو في الشكل . تزاحمت النـاس على الشاطئ ، حتى أفقر الناس الذين لا يدخل بيوتهم اللحم إلا مرة في الأسبوع قد نصبوا هنـا بيتهم الخشبي حتى ضاق بهم ثم ترامى الباقون حوله على الرمال . فالشاطئ هو أمتع نزهة للصيف بلا مقابل . أو بمقابل طفيف لا يذكر .

لا تكاد تميز ثياب العوم بين الناس ولكن للنعمة سمة على الوجوه لا تغيب ولا تخيب .

هؤلاء هن النساء يكدن يكن كأمهن حواء ، لوحتهن الشمس فصرن سمرة في حمرة . ومع ذلك رأيت ألوفا منهن هنا وفي أجمل شواطئ أوربا ، في دوفيـل مثلا ، حيث كل ما حول المرء وجاهة وأناقة ، ولم أستطع أن أقف أمام جمال باهر . لأن أجمل امرأة عندي هي تلك التي لم تخلع ثيابها .



فى البحر ، كان الفتى يحمل الفتاة على كتفيه وقد تدلى ساقاها على صدره وأختها أو صاحبتها متعاقة بظهره وهو يجرى بهذا الحمل الثقيل، الخفيف على قلبه .

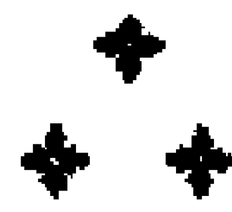
لو رآه أهل الفضيلة فى الزمن الماضى لأغمى عيهم ! .

يا للتهتك ! .

ولكن لعل هذا البغل الذى كالوعل لو سألته فى هذا الفجور لقال : لعب البحر .

وأمس أردت أن أتحرر من البنسيون وطعامه فأكلت فى مطعم فاخر قدموا إلى فيه أرزا مع نوع من الدود سموه : بلح البحر .

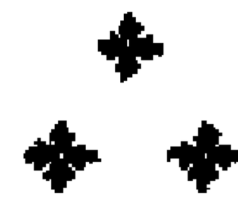
أيها البحر !... ما أكثر الجرائم التى ترتكب باسمك !



الصباح على الكورنيش ، ثوب حريرى رمادى جميل وقبعة بيضاء وقفاز أبيض يغطى ثلث الذراعين،وحزام أبيض وجورب أبيض، وقوام ممشوق، فهى زنبقة .

على هذه الوجاهة والملاحة تحمل فى يدها كيس مشتريات البيت ، لحم وسمك وخضر وفاكهة . هذه هى امرأة البيت التى أنحنى لها .

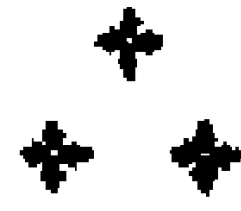
ليست تختال بثوبها غرورا وفتنة أمام الرجال . زوجها فى عمله وهى تؤدى عملها . تتعاون فعلا مع الرجل الذى قدم اليها هذه الأناقة كلها ولا تترك الخدم يسرقونه بلا اكتراث ، مثلما تفعل ألوف السيدات اللواتى يعاشرن أزواجهن وهن يكرهن هؤلاء الأزواج . يتمنين خرابهم .



الظهر على الكورنيش أيضا ، الشمس قوية . أفنديان يسيران وخلفهما سيدة زوجة أحدهما وقريبة الثانى دون ريب . يتكلمان دونها . هما فى عالم آخر وهى وحدها تجر أذيال ملاءتها السوداء وتتقى لفح الشمس بجريدة . مجرد مشيهما أمامها دليل احتقارها ، وعند ما يصلون بعد نصف ساعة للغذاء سيأكلان طبعا وحدهما بينما هى تقف بين يديهما

كالجارية . ثم تأكل بقيـة طعامهما هى وأولادها وقطتهم .
هذه هى النظرة الشرقية للمرأة ماتزال تسود ألوف الألوف منا .

بهذه العزلة تزداد المرأة انحطاطا . لا تشـترك فى حديث الرجال فتبعد عن تيارات الحوادث والتجارب ، كل مهمتها أن تحضر الطعام وترتب الفراش ، وهى مهمة يمكن العبيد أن يؤدوها أحسن منها .



رأيت شابا يختال فى شوارع مدينـة وعلى صدره شارة إحدى الجامعات الانجليزية . عريضـة كالكف وموضعها على يسار السـترة . وقد دلتنى جميع التجارب على أن الشـبان الذين يضعون هـذه العلامة ويظهرون بهـا فى الطرقات من الذين لم يتموا دراسـتهم فى تلك الجامعات أو من الذين أتموها بالفشل .

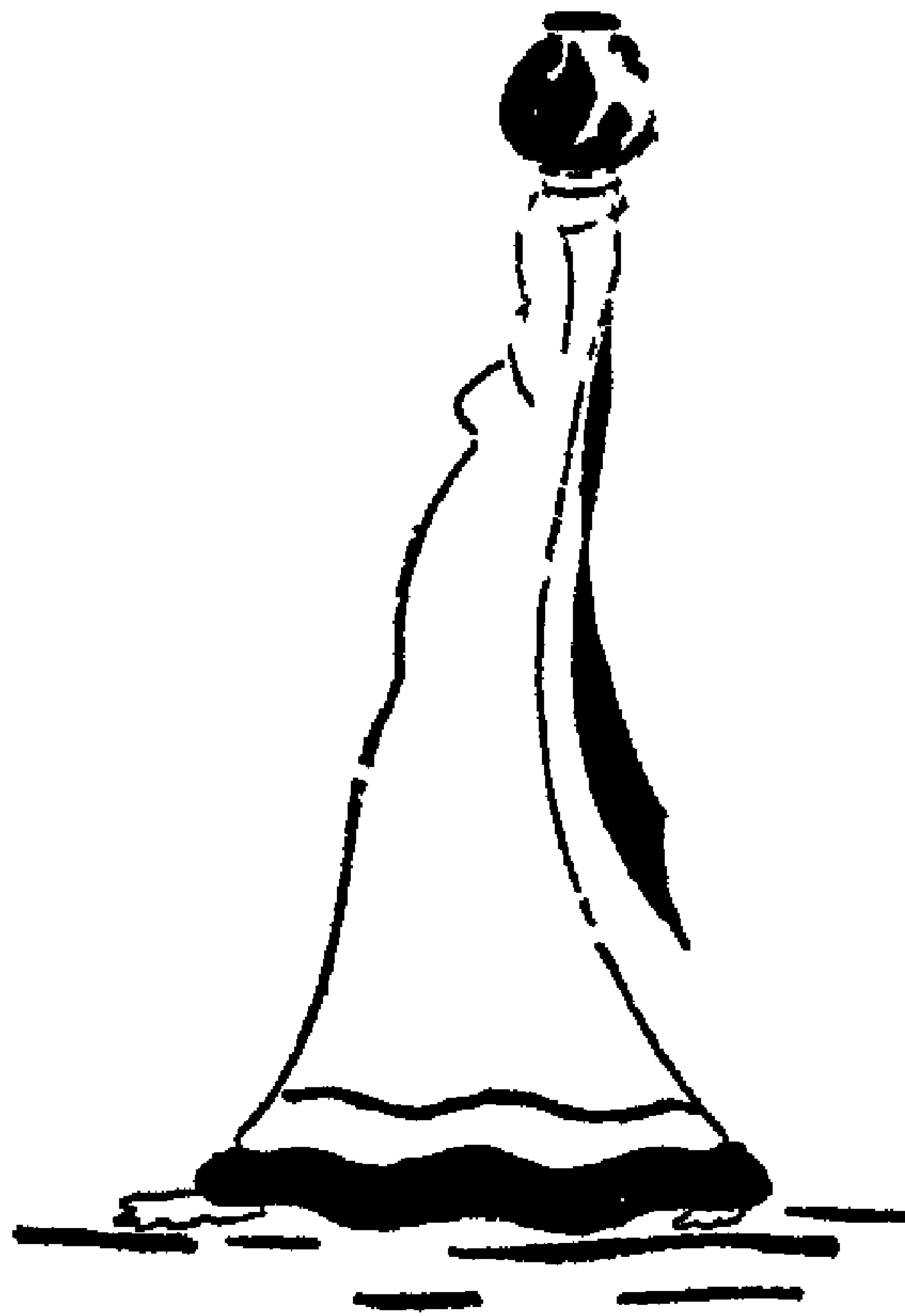
إن العلم كما يقولون فى الصدور لا على الصـدور . وعندما يتعلم الانسان حقا يخجل من وضع رقعة أجنبية على صدره ولو كانت رقعة كمبردج .

شبان آخر طبعة ، بلا طرابيش ولا قبعات ، قمصان حريرية وكرافتات غالية وشعر لامع مسبسب . يجلسون فى القهاوى على كرسى وأرجلهم على كرسى أو كرسيين آخرين . يتمددون بشكل يخجل الانسان منه فى بيته . وليس فى أيديهم كتاب أو جريدة . يتكلمون عن البوكر والبنات والشامبيونات . ثقافتهم هى التجرد من الثقافة . وحياتهم هى الفراغ والكسل والظهور والغرور . هذا هو التخنث الذى يجب أن نحاربه كما نحارب الأمراض الفتاكة . توجد أخلاق مصابة بالملاريا والبلهارسيا .

انظر الى هذا الذى يدعى أنه أتم تعليمه ! . تجده يتكأكأ مع خمسة ستة من أمثاله يركبون سيارة أحدهم ، يروحون بها ويجيئون مرات . تجد كتلة عاطلة خاملة هى معرة للبلاد والعباد . صياد السمك الذى مر أمامى منذ هنيهة يفوح منه الزفر . زفره أرق من عطر هؤلاء الشبان ، لأن هذا الصياد قد حمل الندى على رأسه فى الساعة الثالثة صباحا وسهر ينشل رزقه ، وصبر ثم ظفر ، وعاد يحمل الى البيت طعامه ، تقتات من ورائه

نساء وأولاد . وهو عندى أشرف من أشباه الرجال هؤلاء جميعا ، الذين يأ كلون بالشوكة والسكين ولا يعرفون ثمن رطل اللحم أو أقة الخبز ، لأن كل حياتهم من جيب سواهم ، من أمهات وأخوات . والمصيبة أنهم يعتقدون فى أنفسهم بهـذا الصلف والفتنة أنهم خير ممثلى أمتهم ، وأنهم زين الشباب .

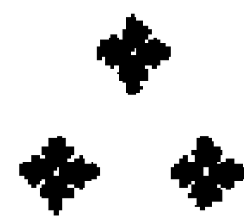
وقد غصت بهم الاسكندرية لأنهم هم أيضـا قد جاءوا «يستريحون من عناء الأعمال» ! ...



نظرات فى الاسكندرية

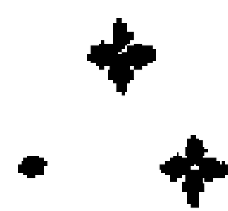
شارع اسكندر الأكبر. اسم عظيم يثير الطموح الى أشياء عظيمة فى أيام خاملة . القمر شاحب ذابل كوجه هذا العهد، عهد الأزمات الشداد ، يسطع على القبور فى طريق الرمل، طريق الحبور . إنه يذكرنا فى طريق الكازينو والشاطئ أننا مهما عشنا وتمتعنا فمصيرنا قطعة من الأرض . حفرة عميقة مظلمة . ولن تكون حتى هنا فى الرمل ، على طريق اسكندر الأكبر ، وإنما ستكون هناك فى وسط تلال من أتربة القاهرة وحجارتها السوداء المنحوسة، المنحوسة كالموت قبل الأوان .

ترى ما أثر هذه القبور فى نفس الذاهبين الى النزهة ؟ ! ولكن هل يلتفتون اليها أو يرونها؟! وإذا التفتوا ورأوها هل يفكرون فيها ويتعظون بها ؟ ! والله ما أظن !



فى الكازينو يوم الأحد الساعة العاشرة مساء . لعل

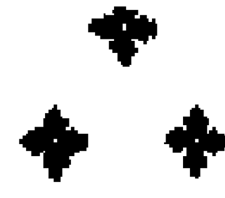
الأنيقات انصرفن كلهن، فإن جميع الفتيات الباقيات يظهرن من بعيد جميلات، حتى إذا قاربتهن عرفت الى أى حد أتلفت المدنية محاسنهن القليلة . كنت ألمس فى بعض الوجوه البشاعة التى تركتها البودرة والأحمر والسهر والخمر وبقية الشهوات . أين هؤلاء من فتاة ريفية سذجة رأيتها ذات مرة منذ خمسة عشر عاما فى تشرين تملأ «البلاص» فى الساعة الخامسة صباحا من الترعة ؟ ! كان ثوبها الأسود الذى لا يساوى غير بضعة قروش يظهر وجهها الصبوح النضر كما تظهر ظلمة الليل نور البدر . رفعت بصرها فرأت شابا ليس من وسطها ينظر باسما مرتاحا فاضطربت وكادت تعثر ، ولكنها استجمعت إرادتها ونشطت بخفة الظبى الغرير ومضت وهى ترنو أو تكاد لأول وآخر مرة ... فودعت فيها فتنة المرأة وخفرها وحشمتها ودلالها ورشاقتها وطهرها ! ...



موسيقى الجزبند تعزف أنغاما منوعة قوية تحفز على الرقص وتوجه الدماء فى البدن وتعود لا يقاوم . فهى ترقص

الجماد ، ومع ذلك فالشبان زاهدون فى الرقص والفتيات لا يشبعن ،يوجهن نظرات التمنى عن اليمين والشمال و ينتظرن بخجل وخيبة أمل . نزل فى الحلبة نحو خمسين من الجنسين لا يكاد يطيب منهما للنظر غير زوجين اثنين ، ومع ذلك فقد اندفعا هما أيضا آخر الأمر اندفاع الحمق . فضاعت منهما موسيقى الحركات التى كان يتكلم بها جسماهما وعلا الرغاء والثرثرة، أعنى حل الطيش فى رقصهما وضاع الانسجام .

وكانت فى أقصى الحديقة المظلمة نوعا ما فتاة فى سواد شامل تجلس الى فتى بجوار النافورة يتحدثان فى هدوء. و بدت لى عن بعد أكثر وسامة من الأخريات . ولكنها هى الأخرى لم تستطع على الرقص صبرا فجاءت تسعى ووراءها الفتى . لو كان لسخافة التقاطيع جائزة لنالها غير منازع . رقصت معه فبدت لى قبيحة . فندمت على استحسانى. وأسفت على خيالى أهكذا قدر على النساء الجميلات أن يكن من نصيب نفاية الرجال ! ؟

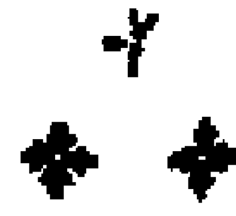


لعبة الروليت : عجلة الشيطان، رأيت أمامها رجلا واحدا يكسب . ولكن من يدرى كم خسر قبلما أراه؟! وكان زرى الهيئـة لا يزيد ثمن كرافتته عن ثلاثة قروش . وكانت الرجال تلعب والنساء تلعب . وهـذه مرأة حسناء شقراء لا تلعب كل مرة بأكثر من خمسة قروش وتلعب مرة وتسكت مرة. هذه رائحة الفقر، بقية باقية من نقود يائسة .

لم تحدثنى نفسى بأن ألقى شيئا . لا خمسـة ولا عشرة . كنت أشعر بأنى إذا لعبت جازفت بكل ماضى. وكنت أشعر أنى إذا لعبت ألقيت النقود كما يفعل غيرى بلا اكتراث، ولكن إذا كسبت خجلت من جمع بضعة القروش، ولو كانت أضعاف ما رميت، من طرف ذلك « لكريك» الخشبي فى يد صاحب الروليت فما أقذر نقود القمار!

وكنت أشعر أنى إذا رأيت خمسـة قروش فقط وخسرتها فاننى سألعب حتى أخرج صفر اليدين . ولم يكن يكسب غير

احد فى العشرة أو أقل ، ومع ذلك كان النـاس يلعبون بعناد عصبية وكآبة كأنما قد حكم عليهم بلعب القمار والخسارة !



الظهـر . فى المقهى الوجيـه أمام محطـة الرمل . كانت السـيارات الفخمة تحمـل العقيلات الوجيهات . وكن ينحنين وينظرن الينا كما لو كن جميعا يعرفن الجالسـين، ولم تمر واحدة ترفعت عن النظر .

ترى . هل نشـق نحن الرجال طول العمر ونداب ونكد ونسهر الليالى لنحصر هـذه السيارات الكبيرة لنسائنا ثم يركبن هذه السـيارات لينظـرن بكل هـذا الشغف الى رجال غيرنا جالسين على المقاهى ؟ !

ستانلى باى

الاسكندرية فى أوجها . وستانلى باى صباح الأحد هائج مائج . لقد طفح عليه قطار البحر آلاف المتلهفين على رؤيته الذين تنقصهم الموارد . والناس يجذب بعضهم بعضا . وهذا رجل حائر يدور بآلة التصوير فى يده . يلتقط عن يمينه وشماله . ويجتهد فى الحصول على الصور الشاذة الحرجة . يريد الاحتفاظ بتذكار دائم لهذا العرى الفنان . فإنهن ، إنهن ، قد تفنن فى التجرد عن الثياب . نهود بارزة صارخة تربطها فتلة رقيقة بالظهر العارى تماما . يردن التقاط لأشعة البنفسجية ، أو بالأحرى يردن إرسال الأشعة البنفسجية . أليس البنفسج رمز الهوى ؟ !

وهذه عذراء صغيرة، يانعة ، منضّرة كزهرة الحقول . لم تمسسها بعد يد المدنية بالشر ولكنها توشك . إنها تقطر ماء وتقطر حسنا . لست أخاف عليها هذا الفصل ولكننى أخاف عليها

الفصل القادم . فإنها فى الموسم المقبل سيفتر زهرها ويتفرّع عودها ، ويقل نجلها . سيكون ستانلى باى مألوفا لديها . بل سيكون حبيبا اليها . ستنتظره بقية عامها . وتفكر فيه حتى فى الشتاء . وتتلهف على الصيف . وتحب البحر . وتتمناه . وتدعو الله أن يقرب أيامه ، وأن يلهب العاصمة بشواظ من نار .

هنا تحتك مدنيتان . هنا يلتقى الشرق بالغرب . أى شرق وأى غرب! الشرق الذى ما زال يتثاءب . الشرق النئووم . الشرق الخمول . الشرق الذى هو بحاجة الى أن تتنبه فيه عناصر الحياة ، عناصر الجد قبل عناصر اللهو . عناصر القوّة قبل عناصر الضعف . عناصر التماسك قبل عناصر الانحلال .

ماذا نرى فى ستانلى باى ؟ ! هل هو وسط شرقى ؟ هل هو وسط غربى . لا هذا ولا ذاك . إنه خليط . إنه خليط شنيع ، مدهش ، متضارب ، كما لو كان قد امتزج هنا عدوّان لدودان ، وكل عدوّ منهما مع ذلك عدوّ لنفسه ، كالشيطان . فيالها من بيئة لا تعرف لها عقيدة ، ولا مذهب ، ولا مبدأ ،

ولا دين . هنا صراع الطيش والتردد والاستهتار والحياء والصراحة والتذبذب، والبكورة والفجور . يا للهول ! إننى لا أخشاه اليوم، ولكن غدا . إنه الآن يحضِّر الخطر . إنه يعد معداته . بل إنه بذر البذور ونبت النبت وغداً يشب عن الطوق لا تستطيع الأيدى الناعمة أن تنزعه لأنه شوك القتاد

قالت لى آنسة مصرية نبيلة وهى تعتب على حملتى الأخيرة :
« أرنى مصرية واحدة متهتكة أو فى شكل مبتذل فى ستانلى باى ... »

وقد استطيع أن أدلها ولكن جزعى ليس من أجل واحدة أو اثنتين أو عشر فتيات . فان الحرية لها ثمنها . ولكن جزعى هو من أجل المستقبل . فإننى أخشى عشر السنين القادمة . أخشى التحضير للحرية عن طريق الاستهتار . لذلك كنا نهلل فى كل مرة نسمع فيها بفتاة مصرية تنبغ مثل زينب كامل أو نعيمة الأيوبى أو كريمة السعيد أو سهير القلماوى أو إيفا حبيب المصرى نهلل ونكبر ويقول ضعاف الأحلام والعقول هذا إسراف فى تمجيد المرأة والانتصار لها . وها هو الرد عليهم فى ستانلى باى . فاننا يجب

أن ننفخ فى صُــور الفضائل ونمجد اللواتى يجلسن الى مكاتبهن السنين الطوال يدرسن ويبذلن شبابهن فى خدمة المجتمع فهؤلاء هن اللواتى يحضرن هذا المجتمع للحرية العاقلة ، الرزينة ، الكريمة ، لا اللواتى يقتبسن آخر أزياء البيچامات من شاطئ ستانلى باى .



ستانلى باى!

ستانلى باى أيضا . هذه أجنبية نحيفة، رشيقة، شقراء جدا ، فضة وذهب . ظهرها عار تماما والباقى فى البيچاما . رأيتها حائرة . إنها مع رجال، مع كثير من الرجال، مع رجال يتغيرون فى ستانلى وفى الكازينو ، ومع ذلك كأنها منفردة . إنها امرأة لا قلب لها . لو كانت واجمة، أو حزينة، أو ضاحكة لكان لها قلب . فى عينيها الخضراوين الزجاجيتين ترى الفراغ. شقراء بغير أنوثة . أين هذه من المصرية ، تلك التى كانت كغصن الزنبق، تلك التى لم تكن عارية ولا متجردة ولا فى بيچاما ولا فى ثوب البحر، تلك التى كانت فى ثوب أبيض ، وقفاز أبيض، وقبعة عريضة بيضاء، تسير مثل «فرنشسكا برتينى» فى «ذات الكاميليا» ... تلك التى كان فى صميمها الحياء الشرقى تنضح على وجهها العذرى النبيل .

ومع ذلك فإن الشبان تفتنهم تلك الأجنبية ، ذات الشعر

الأشقر، ذات الظهر العارى، ذات الخصر الذى ينتقل فى كل رقصة الى ذراع رجل جديد،ذات القلب الخلى، ذات الجسد بغير قلب .

ولكن هل يعرف الشباب أنهم فى السن التى تلمع فيها العيون ولا ترى شيئا ، أنهم فى السن التى تحكم فيهم عواطفهم لا عقولهم وقلوبهم ؟! وقد يزعمون أنهم يعرفون فى الجمال . وهذا نادر. إن الجمال فى الحشمة قبلما يكون فى التبذل . إنه فى التستر قبلما يكون فى التهتك . إنه فى السر المكنون قبلما يكون كاللحم المعروض عند الجزار .

قال لى صديق الأستاذ اسكندر مظهر : انظر خطر ستانلى باى على رجل متزوج . إنه يشوش ذهنه . إنه يجعله يزهد فى بيته . إن امرأته يستحيل أن تكون على غرار هؤلاء الفتيات . فيا للخطر الذى تتعرض له بيوت شريفة، هادئة، مطمئنة !

وهذه ملاحظة صادقة . وهى عندى ليست خطرا فقط على المتزوجين ولكن على العزاب أيضا . إن الذى يتزوج من

ستانلى باى سيتزوج الطيش والتبرج . إنه سيتزوج لشهوات طارئة لا تلبث أن تزول وتعقبها يقظة موجعة . إن فى كل مصرى الكائن الرجعى الخفى الغيور . الغيرة فى فطرتنا ، وقد احتفظنا بها ولازمتنا الدهور الطوال ، فالذى سيفتنه ذلك البريق و يخطفه ويرتفع به عن أرضنا لا يلبث أن يلقيه ثانية من حالق .

ليس الزواج الكريم ، الشريف ، الرزين ، الأمين ، الذى تطمئن اليـه القلوب ، من شاطئ ستانلى باى . إنه فى مكان آخر بعيد جدا . إنه مكافأة للواتى لم يبذلن أجسادهن تنتهبها الأنظار حبا فى الأنظار . إنه ينتظر اللواتى انتظرن الخير خالصا غير ممزوج بالشر .

جددوا حياة البيت !

فى الاسكندرية . «مساء السبت» . مرقص فى وندسور . مرقص فى سسيل . مرقص فى التريانون . مرقص فى اثنيوس . فى كل مكان مرقص . ومع ذلك ما أقل الإقبال على الرقص . رأيت فى اثنيوس بصحبة الصديقين الشاعرين الأديبين خليل وصديق شيبوب ، مائة يجلسون وخمسة أزواج يرقصون بل أربعة بل ثلاثة ، ويرقصون فى شبه خجل . وآثر الناس أن ينظروا الى بعضهم بعضا . وكان الجو كله مشبعا بشىء لا أدرى كيف أسميه هل هو زهد أو هو انكسار خاطر أو هو تعب أعصاب أو هو ملل وسآمة .

فى العشاء . فى مطعم ج ... أوثره لأنه مشهور بأصناف السمك . فاذا ذهبت الى الاسكندرية أكلت كل يوم سمكا غداء وعشاء . وكانت الموائد فى تلك الليلة قد غصت بالأسر الافرنجية تتلذذ بأكلة ليلة الأحد . وكانت هناك أسرة كبيرة

من اثنى عشر شخصا تأكل فى فرح ومرح . فمن عادة الكثيرين من الأجانب أن يخرجوا ليلة فى الأسبوع للعشاء فى مطعم . وهو ما أريد أن أشير به على الشاب المصرى الجديد الذى يتزوج . فلماذا لا يدعو امرأته يوما فى الأسبوع للعشاء خارج البيت؟ اذا كانت عنده سيارة، أو لم يكن، فلماذا لا يستقل القطار مرة فى الأسبوع أو فى الشهر الى الفيوم مثلا فيتغدى هناك على شاطىء بركة قارون ويقضى سحابة يومه ؟ ! بل ولماذا لا يقضى ليله أيضا فى فندق صغير من تلك الفنادق التى تحتها مطعم ومقهى وليس فيها بعد كهرباء ؟

والزوجة لماذا لاتدخر من مصروف البيت ، اذا لم تكن غنية ، وتدعو زوجها ، هى بدورها ، ترد له الدعوة، الى الشاى أو العشاء فى مكان ما ، من حين الى حين ، خارج البيت ؟ إن هذه الدعوات المفاجئة تجدد الهناءة . فالهناءة لاتأتينا تسعى على قدميها طائعة مختارة بل هى كالمال يجب أن نجد فى تحصيله .

تصوروا سيدة تقول لزوجها : « انا عازماك الليلة ياحبيبى » . بماذا يشعر ؟ أليس بسرور المفاجأة أولا ، وبأنه

سيغير منظر خادمه المنحوس ثانيا ، و بأن زوجتــه هى صاحبة الدعوة ثالثـا ؟ أليس فى هــذا ما يشعره بأن زوجتــه ليست زوجته فقط ولكنها أيضا صديقته ؟ !

وهو يذهب معها . لا يسألها الى أين ليرى تفننها . وهى قد تحتار مرة وتهتدى مرة . وهى قد توفق مرة وتخفق مرة . ولكنها لا تلبث أن تبرع ولا « يخرم » معها الحساب والنفقة وستجد لذلك لذة أى لذة . ولتكن دعوتها أحيانا بعض السندويتش يأكلانه على صخرة من صخور الأهرام ، فى ضوء القمر ، على أنغام حب يغنيها الزمن فى تلك البقعة الخالدة قائلا : « إن الحياة دقائق وثوان » ولتكن دعوته إياها مرة فى أحد الفنادق الكبرى على أبهة الأنوار ، وسحر الموسيقى ، ولذة الطعام وتنوعه وحسن تقديمه .

أعتقد أن كل بيت فى حاجة الى التجديد ، و إلا نسج عليه العنكبوت خيوطه . أعتقــد أن كل حب بحاجة الى العنـاية والخــدمة باستمرار . واذا ضحك السخفاء والسفهاء من هــذه المقترحات فذلك لحسن حظنا . و إلا وجدناهم أمامنا فى تلك الدعوات الخاصة ، يسدون علينا منافذ الطريق .

سيدى بشر

غروب الشمس فى سيدى بشر، سلام فى الطبيعة تستمد منه الأرواح سلاما . جلسنا الى البحر . ما أجمل البحر فى سيدى بشر! انه بحر عظيم نبيل، لا يشاهد الفضائح التى تجرى فى الجانب الآخر . ولعل هذه بركة سيدى بشر على شاطئه ! أليست البركة تجوز فى مثل هذا أيضا ؟

كانت الشمس لهيبا وذهبا . كانت كالفؤاد المعذب . لا يغنى اللهب عن الذهب ولا يغنى الذهب عن اللهب، كانت الشمس شاعرة غنية . تنثر النضار على صفحة السماء الصافية بسخاء تارة ، وتمزق أديمها بأسواط من نار تارة أخرى .

وما قيمة الغنى إذا لم يبذل فيشعر الغنى بأنه غنى، بأنه سيد، بأنه أمير، لا بأنه عبد ذليل للمال ؟

الوف الأغنياء يمرون ولا يقفون بسيدى بشر . إن جمال الطبيعة هو سر لايبدو الا للموعودين . إنه للفقراء والشعراء

والفنانين قبلما يكون للوسرين . إن الأثرياء قد امتلأت رءوسهم بمشاغلهم ومشا كلهم فلم يعد جمال الطبيعة يجتذبهم . وهذا توازن القدر . اذ يجب أن يكون للشعراء والفقراء شيء لا يشاركهم فيه سواهم . شيء لكل الناس ولكنه وقف عليهم، شيء مضنون به على غير أهله .

شبعت العين سريعا من رؤية الأجساد العارية . وزهدت النفس . فى كل عشرين جسما تجد جسما واحدا يستوقف النظر . ولكن لعل الوجه فى تلك الحالة يصرف النظر ! هل توجد امرأة جميلة حقا ؟! هذا سؤال يصعب الجواب عليه . لأنه عند ما توجد تلك المرأة، عند ما تثبت انها جميلة الجسد فعلا فإن روحها قد تكون تافهة أو شريرة وهذا توازن القدر .

حقا إن مالا سر له يخفيه فلا جمال له يبديه . لو أدركت النساء ذلك لاقتصدن فى العرى وفى التجرد عن الثياب . لو أدركت الفتاة ذلك لضنت بكل هذه التقاطيع تبرزها ؛ وكل هذه النظرات تبذلها .

غروب الشمس فى سيدى بشر ! لم تمر عنده ثلاث فتيات ، ولم تقف به ثلاث سيارات . ان الناس هائم بعضهم بالبعض . انهم يجدون الأثر باحثين بعضهم وراء البعض . انهم جاءوا يبحثون عن شئ آخر غير الرمل والماء والشمس والهواء .

انهم يبحثون عن قيود لأيامهم ولياليهم . انهم يمدون أيديهم للسلاسل والأغلال بدلا من أن يفتحوا صدورهم للهواء وعيونهم للسماء .

حسنا أن نعود من شاطىء البحر وأجسادنا سمراء نحاسية، ولكن ليس لنا أن نقصد البحر بنفوس كنفوس الجوارى والعبيد، تقول : هل من مشتر ؟ !

غاية الصيف

« ستانلى باى » موحش، والكابينات مقفلة صماء كأنها أكتفت بما مر بها من الهناء : العرس قد انفض ، وبدأ الفراشون يرفعون الكراسى .

هذه الكابينات الأنيقة كأنها حلقة الاولمبياد ، والبحر ملعبها . وهذه هى عرائس البحر، وجنيات البحر. حبذا جميع بنات المدارس يخصص لهن شاطىء من تلك الشواطىء التى تعدها البلدية ويأتين لقضاء أيام فىاللعب والمرح . نحن بحاجة شديدة الى الفتاة الرياضية ذات الجسم المرن القوى النشيط السليم الذى ليس فيه ترهل . وتلك الأيام التى اقترحها هى أفيد ألف مرة من تلك الحركات الجمبازية العتيقة الضئيلة التى لا تغنى شيئا . ويكفينا شقاء تلك الفتاة التى ظلت مكتومة الأنفاس دهرًا فاكفهر وجهها واغبر لونها وورّثت بعد ذلك أولادها الصفرة والسقم .

رأيت البيجاما على شاطىء البحر . ليست البيجاما شيئا إلا بمن تلبسها . كانت هناك سيدة بشعر أحمر وبيجاما بيضاء يتمنى الإنسان لو وضع نظارة سوداء حتى لا يراها .

ومرت على رصيف الكورنيش سيدة أجنبية فى بيجاما سماوية تجر بيديها كلا سلوقيا جميلا ، فكأنها « ديانا » آلهة الصيد والرشاقة عند القدماء ، أو كأنها « كريزيس » فى قصة أفروديت تمر بقناعها الذهبي على رصفة الاسكندرية وترسل السحر عن الشمال واليمين .

وجاءت أسرة مصرية فضربت شمسيتها الكبيرة على الشاطىء كما يضرب البدوى خيمته فى الصحراء ، واستقبلت البحر ونسماته ، واستقبلت الصحة والأمل ، وكانت الأسرة المصرية أمس تدفن أيامها ولياليها بين الجدران ، وتوصوص بعيونها من الشبابيك وثقوب الأبواب ، وإذا رأت رجلًا قالت «يوه!» ولهذه «اليوه» ما وراءها . أما الآن فقد أسفرت المرأة المصرية حتى إذا عفت فعفافها ليس عفاف الحجاب ، وفضيلتها ليست فضيلة السجون .

لذعات

الإنسان والحيوان

فى دفتر التليفون، نمرة « طبيب بشرى و بيطرى » ؟ ! !

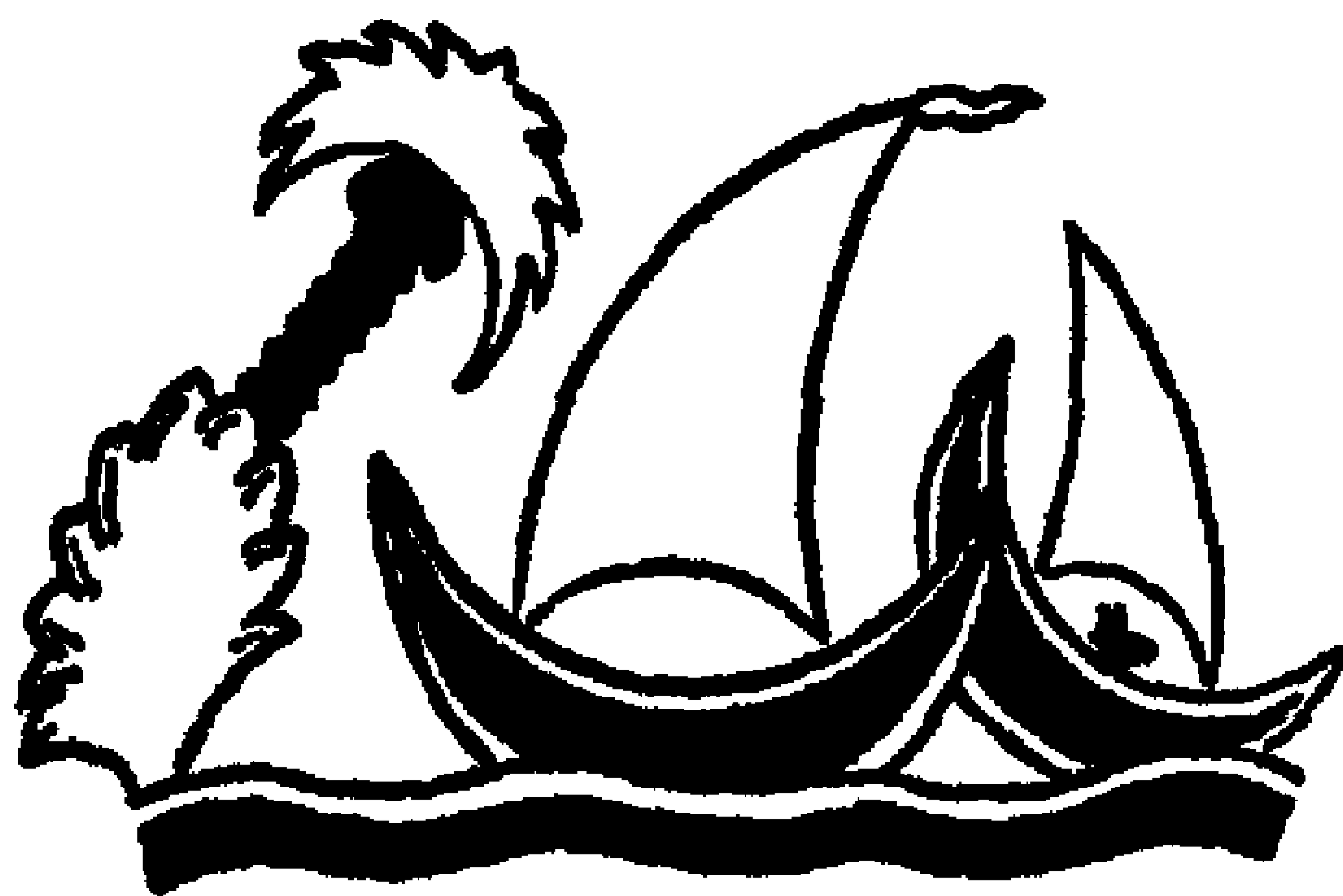
وهذا عنوان مناسب جدا . لأن الرجل يستطيع أن يذهب للكشف على نفسه، ويكشف على حماره، بالمرة! . وتذهب السيدة الأنيقة لتكشف على شيء ما يؤلمها ، وتأخذ معها كلبها للكشف عليه، بالمرة ! . .

ولكن المهم هو منظر اجتماع الحيوان والانسان فى صعيد واحد ! . . فإذا سكتنا للزبون حتى دخل بحماره فهل يذهبان الى غرفة انتظار واحدة أو ينفصلان ؟! وإذا نهق الحمار حزنا على فراق صاحبه ونبح الكلب انزعاجا لفراق سيدته وثار الثور مثلا لأن فرش قاعة الانتظار أحمر . . فماذا تسمى عيادة الطبيب البشرى البيطرى هذه ؟!

فى الحق إنها تسلية ! . . وكان يمكن قطع تذاكر للفرجة على قاعات الانتظار هذه مثل «سرك هاجبك» ! . . ولا بد من إناطة

خدم بإطعام الحيوانات .. حتى إذا « هوهو » فوكس أسرع اليه بقطعة سكر. وإذا صهل الحصان أسرع اليه بنخلاة الفول. وإذا نهق الحمار بادر اليه بالعليق والبرسيم .

ومثل هذه العيادات شيء لم يسبق له مثيل . وأنا أحب هـذه المتناقضات تجتمع هكذا لأنهـا تسلى القلب الحزين . وحبذا لو كثرت هذه العيادات لأنها تذكر الناس بما هم مدينون به لحيواناتهم ، وأنهم اذا كانوا أعقـل منها، فليسوا أفضل ، بدليـل أن هناك رجلا رحيما قد جمع الكل فى عيادة واحدة، لها طبيب واحد، وتليفون واحد .



البحث عن عروس !

" ان كنت قد نسيت حاجتى فانك معـذور لكثرة شواغلك ، وما عليك إلا أن تكتب للناس أن شابا مصريا بلغ أقصى درجات التعليم الدراسية بمصر وانجلترا يطلب عروسا عوراء أو عمياء أو عرجاء أو كسحاء أو سمراء أو سوداء ، ويشترط على نفسه أن يدللها كما تهوى بشرط أن تكون مستعدّة للقاهرة وإياه فى سبيل الحياة " .

"أريد عروسا تكتب وتؤلف معى القصص والروايات باللغتين الانجليزية والفرنسية ، وأن تكون على قدم الاستعداد للأسفار البعيدة والى مجاهل البلدان لا يؤنسها الا محبتى الأكيدة واخلاصى الشديد " .

" أريد عروسا لا تعترف بمسألة اسمها المهر ، ولا تعرف للمال قيمة الا فى سعادتها وهنائها وشهرتها ولا تعرف للذين يسعون وراء الشهرة وطنا ولا بلدا " .

" أريد عروسا تخرج معى الى المجتمعات سافرة قادرة على ضبط نفسها وسط الحفلات العامة من علمية وخطابية ورياضية ، تنظر الى الناس من عل لا يبهرها جمال أو كمال أو دلال " .

" أريد عروسا لا تأكل بأصبعها ولا تمضغ الطعام لوا كا فى شـدقيها ولا تتأفف فى شرب الماء كمصمصة الثعابين ولا تشخر فى نومها شخير الذبيحة " .

"وأريد أن أقول لتلك العروس انى فى ريعان الشباب جميل الطلعة حلو الحديث كثير النكات لا أسعى إلا للشهرة، وانى أرغب فى زوجة تساعدنى وتأخذ بيدى فى ذلك السبيل" .
«ع . ف»

إننا نسجل باغتباط هذا الطلب الجديد للزواج فى مصر، فهو وثيقة تدعو الى الابتسام فى هذه الأيام الحزينة . ولكننى أرجو «ع» أن يعدل الأساس، فانى أعتقد أن الفتاة المصرية التى ينشدها لا تعرف مصمصة الثعابين وانما هديل الحمام، ولا تشخر فى نومها وانما تحلم به !

ثم اذا كان يطلب حقا عروسا عوراء أو عمشاء أو كسحاء، فانى أعتذر اليه لأن ليس لدينا طلبه، فليست توجد واحدة بهذا الوصف بين قارئات «الاهرام» الكريمات .

واذا كان يصر على سيدة بهذا الوصف، مع معرفتها اللغتين الفرنسية والانجليزية، فنستطيع أن نرجو سعادة الدكتور شاهين باشا أن يرسل منشورا الى المستشفيات المختلفة بأنحاء القطر للبحث عن العروس، وبعد ذلك ندخلها مدرسة (برليتس) .

ومع هذه الدعابة فانى اسمع هذا النداء وأشعر بمقدار مافيه من مرارة وألم، فأرجئ التعليق الجدى الى غد .

طالب زواج !

« ع » شاب ظريف حقا . فقد نشرنا رسالته أمس التى يطلب فيها عروسا مهما كان شكلها على شريطة أن تكون فتاة عصرية تعرف الانجليزية أو الفرنسية لتؤلف بهما القصص والروايات ، وتغامر معه فى السفر الى أقطار بعيدة ، ولا تطلب مهرا ...

ونحن نشكر له حسن ظنه إذ يزعمنا قادرين على ذلك . واذا نحن حللنا هذه الرسالة استبعدنا عناصر تأليف الروايات والسفر الى مجاهل الأرض . فليس الكاتب فى حاجة الى أن يتزوج بكاتبة ، والفيلسوف لا تلزمه فيلسوفة شريكة لحياته . واذا كان حضرته يرغب فى الشهرة حقا فانه بالتماسها عن طريق الزواج بفتاة تشاركه فى التأليف يأخذ أبعد طريق الى الشهرة . وما شهرة الكاتب إلا نتيجة السهر الطويل والصبر الجميل وحسن الاستعداد وتذوق الحياة . وكذلك شرط السفر الذى

مازال فى عالم الغيب ؛ فهو يعدّ عندنا منفرا لا مبشرا ؛ والمرأة التى تحب زوجها حقا لا تتردّد فى أن تتبعه ولو الى جهنم .
أما اشتراط السفر (قبل الهنا بسنة) فهو سابق لأوانه .

إذاً نخرج من تصفية الرسالة الى أنك تريد ، باختصار ، فتاة مصرية عصرية راقية بلا مهر . واذا كنت حائراً كما تقول كل تلك المحاسن وخفة الروح وشهادة عالية من انجلترا فعليك أن تبحث . وقد سهّل مهمتك ما نشرناه لك . والطريقة الوحيدة المتبعة أصفها لك ، لأنك على ما يظهر عائد من انجلترا حديثا ومتشبع بأفكار متطرّفة ، واليك هى :

أن يبحث الخاطب عن خاطبة محترفة (بلانة أو دلالة أو عالمة أو نكيا أو دادة) أو ما شابه ذلك ، و يطبع مائة (كارت فيزيت با كاشيهات) باسمه وعنوانه وأصله وفصله وشهاداته ووظيفته ، مع توضيح اذا كان داخل هيئة العمال أو خارجها ، وماهيته و إيراده و إيراد والده وأجداده وأعمامه ومن ينتظر أن يرثهم . ويكتب على ظهر (الكارت) أنه لا يسكر ولا يقامر ولا يعشق . و يعطى تلك (الحرمة) أوّل مرة ٥٠ قرشا حتى

تذهب من فورها الى أحسن من عندها ، لأن هؤلاء الخاطبات متعوّدات على (الشلن ونصف الريال) . ويحسن صنعا اذا زوّدها بصورة (فوتوغرافية) اذا كان واثقا من أنه أبيض اللون (وطول وعرض) ثم ينتظرها بعد ثلاثة ايام اذ تجيء تصف له أجمل خلق الله (ولا جميل إلا سيدنا محمد . قوامها واعتدالها وفرنساوى و بيانو وعود وحسمة لاتخرج ولاتدخل أبوها غنى وأمها غنية وعمها ليس له ذرّية وعزبة فى البحيرة وعزبة فى الشرقية وسراى وأوتومبيل و ٧ خدّامين) .

فاذا سمع هذا الوصف المدهش فأرجوه أن يحلله أيضا تحليلا تستبعد منه عناصر (التهويش) فلعل الفتاة حسب طلبه هو : (عوراء أو عمياء أو عرجاء أو كسحاء . أو ...) وربما كان الفرنسي : (بنجور وأوريڤوار ومرسى وبنسوار) . وربما كان (البيانو شوية : «محمد لابس سيفه» على «يا لابس على السترة نجمة ») وربما كانت الضيعات الشاسعة عبارة عن ٧٠ فدانا ، مع وجود ٩ أولاد ، أو أطيانا تزرع جزرا أو ملانة . وربما كانت القصور المنيفة بيوتا متهدمة تحتها دكاكين ...

أما الشيء الوحيد الثابت الذى يجب أن تصدقه من الخاطبة وانت مغمض العينين وتقبله قضية مسلمة، وعلى عهدتى، فهو المهر ! ٣٠٠ جنيه يا حبيبى منها ٢٠٠ يسدد بها الأب بعض ديونه و يؤجل الزفاف شهورا وأعواما والمائة الثالثة يشترى بها فرش (٥ أود أو كازيون) .

ومبروك عليك !



طالب زواج آخر

« لى الشرف أن أحيط حضرتكم علما بأنى بكل سرور تلقيت عدد جريدتكم (...) وقد لفت نظرى العامود المبين به إعلان صحيفة رقم — ١٠ — بخصوص السيدة (...) والتى به تفيد أنها ترغب الزواج بالشاب الذى يجيد اللغتين الانكليزية والعربية . إنى أقدم نفسى لحضرتكم بما أنى شاب نابلسى الأصل من سلالة عربية محضة مخرج من الصف الثانى العلمى من الجامعة الأميركية فى بيروت ، حائز على شهادتين من الابتدائى وشهادة من القسم العلمى أى البكالوريا أجيد اللغتين جيدا . صاحب أملاك تقدر بخمسة آلاف جنيه . أرجو التوسط مع السيدة المار ذكرها لأجل زواجها كما هى ترغم على الشروط الآتية :

(أولا) أن تكون بكرا لأنى أعزب لا أعرف النساء .

(ثانيا) لا فرق فى الأعمار إن كانت أكبر منى أو أصغر .

(ثالثا) لا يهمنى إن كانت لها والدة تحب مرافقتها .

(رابعا) لا يهمنى إن كانت تعرف بشئون تدبير المنزل أم لا لسبب وجود الخـــدم .

(خامسا) لا فرق أن يكون جمالها عاليا أو متوسطا .

(سادسا) أهم شىء لدى هو كيان العفة والشرف والاخلاص .

فاذا كانت ياحضرة الأستاذ حائزة على هـذه الشروط بتمامها فانى مستعد لتبادل الرسوم بيننا . ولكم اليد البيضاء فى اتمام هـذا الوفق ما بيننا . ولا زلتم مصدر الانسانية والوفاء .

(صح) أرجوك أن تعلمنى جيدا حقيقة الست المذكورة إذا كانت ثروتها ثلاثين ألف جنيه كما هو موضح فى جريدتكم الغراء ولكم الشكر .

« نابلس » . « ... ... »

* * *

والله يا أخى لا أدرى كيف سولت لك نفسك أن تكتب الينا هـذا الخطاب ! فما نشرت "الأهرام" يوما ما اعلان زواج . ولم تطلب الينا سـيدة مصرية شابا يعرف الانكليزية والعربية مع أن ثروتها ٣٠٫٠٠٠ جنيه ، لأن ذلك يكون طلبا رخيصا وهى غالية !

وبالطبع إن ثلاثين ألف جنيه تملكها سـيدة سيأتى اليها (العرسان) لامن نابلس فحسب ، بل من الهنـد والسند أيضا .

وإنى أؤكد لك أن شباننا المصريين فى منتهى اليقظـة والتنبه الى مثل هذا ، فلو أنهم استنشقوا رائحة ثلاثة آلاف فقط ، لا ثلاثين ألفـا ، لوجدت على بابهـا (بضرب السـيف)

ولانصرف النـاس عن تجارتهم وصنـاعتهم الى اتقان اللغتين الانكليزية والعـربية، مادام ذلك يعود عليهم بعروس تحمـل فى (ألحفة) السعادة و (بطاطين) الهناءة ثلاثين ألف أهيف، تكال بالكيل، لأن مصلحة الاحصاء بجلالة قدرها «تتلخبط» فى عدها .

اطمئن ياسيدى الى ان هذا حديث خرافة، وأن صاحبالك قـد داعبك باسم «الأهرام» . واذا كنت تملك كما زعمت خمسة آلاف جنيه فاننا نرسل اليك من هنا طلبات من خمسة آلاف عروس، فان الزمن قد تغير وتبـدل، وأصبح النـاس مسعورين على المـال لا يفكرون فى الحب وسلام البيت وراحة القلب ، والمـال الذى يستخدمونه لسعادتهم هو الذى يذلهم ويشقيهم و يحيرهم و يجعلهم يزهدون فى بنات بلدهم، و يريدون أن يسافروا فى سبيل ذلك من مصر الى نابلس أو بالعكس ! ...

طالب زواج أيضا ! ...

يقول مراسل «الاهرام» فى طنطا أمس أن المدعو حمدى محمد عوض، من أهالى كفر الخادم، قد تناول حامض الكربوليك بقصد الانتحار لأن شقيقه تزوج قبله ، بينما كان الاتفاق بينه وبين والدته يقضى بزواج الشقيقين فى وقت واحد، وقد نقله رجال الإسعاف الى المستشفى الأميرى .

حقا أنه يصعب على أى أحد فى الدنيا أن يشهد للزواج بأحسن مما شهد له به هذا المنتحر ، الذى جاد بروحه حزنا لأنه لم يتزوج . فهو إذن من أعداء (جحا) الذى لعن من تزوج قبله لأنه لم يحذره ، ولعن من تزوج بعده لأنه لم يأت لاستشارته .

وما سمعنا حتى الآن بأحد ينتحر إلا من ضيق ذات اليد أو السقوط فى الامتحان أو المرض أو من الحب ، ولكننا لم نسمع عن إنسان ينتحر لأنه لم يتزوج . فلابد أن أهالى كفر

الخادم هم أسعد الناس بالزواج حتى يحسدهم الى هذا الحد حمدى محمد عوض» ويؤثر الموت على العزوبة .

واذا كان الافرنج يتشاءمون من زواج الأخوين أو الأختين فى يوم واحد فالظاهر أنهم فى ضواحى طنطا يتشاءمون اذا لم يتزوجوا جماعة .

ولا أدرى علام يحسد « حمدى محمد عوض » شقيقه الذى تزوّج قبله ! ونحن فى رمضان، وكان يمكنه أن يصبر قليلا ولو الى العيد الصغير، وعندئذ يعوض ما فاته، بل ربما سبق أخاه وآتاه الله ذرية قبله .

لم تكن السماء ستنقلب على الأرض (ياسى حمدى) ولم يتزوّج جميع بنات كفر الخادم . واذا كانت الدول تخلف اتفاقاتها وتلغى معاهداتها فان (الست أم عوض) لم ترتكب وزرا وأمرا إدا، ولعلها فقط تريد (أن تبلع ريقها) من المهر الذى دفعته، والفرح الذى تكلفته (والعزائم والمأذون وشيخ الخفر والحلاق وشوبش) .

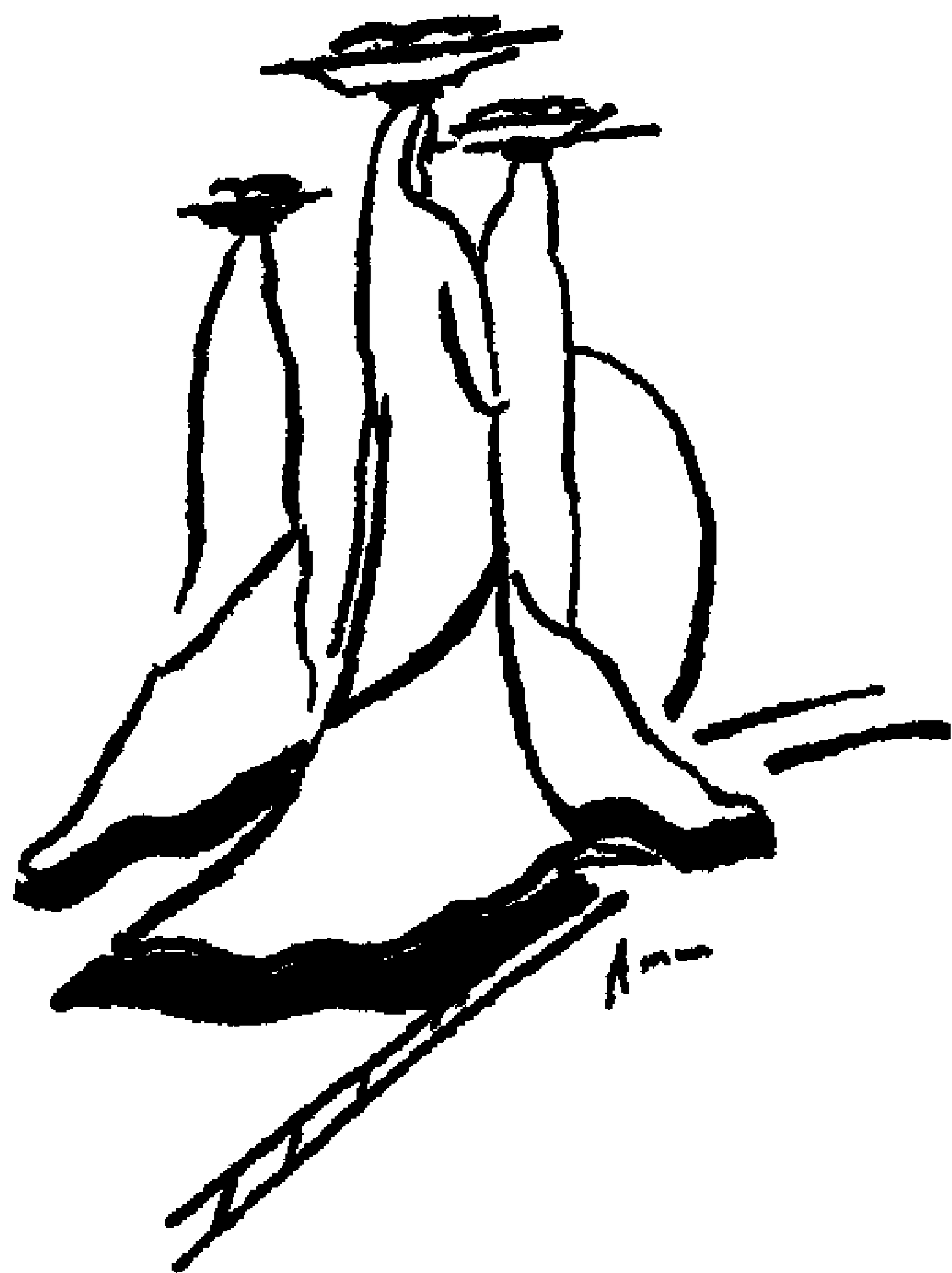
وهكذا شاء (الجدع) أن يقلب العرس مأتما ، وبدلا من

أن يرتفع (صوات) العروس ... [illegible]

أن تطلق الطلقات النارية فى الهـواء دق جرس الإسعاف .

لأنه بدلا من أن يأكل (الكسكسى) ويشرب الأوتار أكل الحزن قلبه وشرب حامض الكربوليك .

ولكن (معلهش)، هذه قسمة ونصيب فمن يدرى ! لعل المكتوب على جبينه قد ظهر قبل أوانه، ولو أنه كان قد تريث قليلا وتزوج فلربما كان بعد ذلك قد انتحر أيضا ! .



سندات الدين !

يا بخت اللى عنده سندات دين موحد ! لقد باضت له فى القفص بيضـة من ذهب وصدر بذلك أمس حكم المحكمة المختلطة . وهكذا سـوف تكع الحكومة أجوازا وأفـرادا . أو بالأحرى إننا نحن الذين سوف نكع ! .

ورأت المحكمة ألا تهز البورصة فلم تؤجل الحكم بل أعلنته من فورها ، و بذلك هزت فرائصنا نحن الغلابة اللى لا قدامنا ولا ورانا...ولا يلبث دولة صدقى باشا أن يفرض علينا ضرائب جديدة ،ضرائب للمشى فى الشوارع على الشمال ،وضرائب للأكل بالشوكة والسكين ،وضرائب على الكتابة فى الجرائد ،وضرائب على الضحك والابتسام! ... فأبو السباع بارع فى ذلك ولكننا نسأل الله ألا تصيب هذه الضرائب سكان العزب والكفور، والحارات والأزقة ، والبيوت الواقفـة بقدرة قادر ، فكفاهم

« ضريبة » الفقر و « دمغة » البؤس ... وكفاهم « احتياطى » الشقاء و « معاش » الغلب .

وسيجلس المعلم جعلص، ونحن فى رمضان ، بعد فطور المغرب وصلاة التراويح يشرب الجوزة، رجلا على رجل ، أو فردة بلغة فى الأرض وأخرى على الدكة ، وبعد كام نفس يسأل عن الدين الهباب ده وهوه لسه ما انسدش ... وكانت السبع دول اللى ملكت البحر والبر ساكتة على حكومتنا ليه لحد دلوقت... دى خيانة ! ... وايه تاخدها غدر كده فى السنة الهباب اللى القطن فيها يدفعوا عليه فلوس علشان الناس تشيله من الغيطان ... ولحد امتى تسكت الحكومة على الحكم ؟ وفين جيشها وعساكرها والمدافع اللى فى القلعة ... ولكن سيبك ... ده برضه ولس الانجليز! بقى يعنى لو الانجليز كانوا مش عايزين يفقرونا كان حد قدر يقول تلت التلاته دهب مش ورق ... وهوه يا ناس الدهب ده حد بيشوفه لما يحكموا به ؟ يا عم ... نهايته ... يحلها سيدك ... وياما بلاوى أكتر من دى وزاحها الكريم . شىء لله يا أم هاشم !

هذه هى فلسفة ابن البلد ، فلسفة الاستهتار والصبر على الشدائد والأمل فى الله... ونحن بحاجة اليوم الى هذه الفلسفة، لنروح عنا ما نشعر به من ضجر وضيق .

وأشهد أن للجهل فوائد ! !



حـــد الله

فى حديث مراسل «الأهرام» بمدينة جنيف مع عبد الحميد شديد بك جاء ذكر المملكة العربية السعودية فقال : إن حالة الأمن هناك على غاية ما يرام حتى إنك لتجد السجن خاليـا ، والأحكام تصدر بمقتضى نصوص الشريعة الغراء ، والقضايا لا تكلف أصحابها فلسا ، وهى يفصل فيها وقتيا ، وكل تاجر يشتغل بماله الخاص ، والتفاليس تكاد تكون معدومة ، والحكومة غير مدينة إلا لأغنياء البلاد أنفسهم بمائة وخمسة وسبعين ألف جنيه ، ولا دخل فى ذلك للأجانب مطلقا ، وهذه الديون قد صرفت فى المنافع العامة كفتح الطرق وإدخال اللاسلكى وتسهيل المواصلات . وهذه البلاد نسبيا أقل دول الأرض دينا . وعدد السكان يبلغ ثمانية ملايين نسمة من الرجال فقط فى جميع المملكة ... الخ

وأنا أرجو القراء الأعزاء ، والحالة هذه ، أن يحزموا معى حقائبهم ويحضروا «بقجهم» لأننى ناوى أحج على الحجاز .

فنحن فى بلاد سجونها مكتظة بالنزلاء الكرام وغير الكرام ، والقضايا فيها تكلف أصحابها أضعاف أضعاف ما يكسبونه من ورائها ، وبعض الأوصياء ونظار الأوقاف عاوزين قطع رقبتهم ، وكل تاجر يشتغل بالدين والتقسيط والدفع يؤجل مرة والتفاليس تسد عين الشمس . والحكومة مديونة لشوشتها للأجانب اللى عاملين صندوق الدين كالسيف يحز فى رقبتنا ويذل أنوفنا . والأموال تلتهمها ماهيات الموظفين والعلاوات الاستثنائية للمحاسيب والأقارب والحبايب وشوبش ...

ولكن الشيء الذى لا أفهمه ويجعلنى لا أقفل حقائبى وارجع فأفك البقجة وأتردد فى السفر هو أن بلاد الحجاز فيها ٨ ملايين رجل فقط ! . فهل النساء الحجازيات لا وجود لهن أو أنهن سواقط ؟ ! لا يا عم ! حمد الله ما بيننا وبين بلاد لا يحسب فيها للنساء حساب !

حدّ الله أيضا

جاءنى اعتراضان على مقالة أمس وقولى فيها : لا يا عم ، حد الله بيننا وبين بلاد لا يحسب فيها للنساء حساب !

أول الاعتراضين من (حجازى) يقول فيه ان التقاليد لها أثرها فى إسقاط عدد النساء من إحصائيات المملكة السعودية العربية (لأنهن يمعن فى الحشمة ويتأنقن فى الحياء . بلاد لا يمكن أن تعرف تعداد نسائها وليس هناك تبرج ولا سينما ولا خرافات وإنما امرأة مهتمة بواجبها تضحى بقواها فى سبيل سعادة الزوج عند قلبها الكبير) .

والاعتراض الثانى من سيد كريم هو « ع . م » الذى يقرأ « الأهرام » من خمسين سنة وهى بالاسكندرية لأن عمره ٦٨ سنة . وهذا الشيخ المبارك من زبائن ما قل ودل . وهو شرف لنا بلا نزاع . وهو يعتقد أنه لو منحت المرأة العربية ما منحته المرأة الغربية من الحريات لاكتظت

السجون وكثرت القضايا واغتيلت الحقوق من أوقاف وغيرها والتفاليس والاستدانة وبالجملة لساءت الأخلاق إطلاقا .

أما الرد على الحجازى الفاضل فهو أن دعواه تنقض نفسها . فعند ما تكون المرأة كما ذكر من الحشمة والكمال ومن الحرص على سعادة الزوج وعلى هناءة البيت فإننى أحصيها قبل الرجل وأعدها بمائة من الرجال . ومن أغرب الأمور أن دولة فى القرن العشرين تحرج من إحصاء نسائها نزولا على حكم الحشمة المزعومة . ان المرأة الفاضلة يجب أن نرفعها فوق رءوسنا ونهتف بكل قوانا : لقد ظفرنا بالمرأة الفاضلة .

ولست أضرب هنا مثلا بباريس وبالمرأة الفرنسية ولكن بالمرأة العربية الصميمة وبالنبي العربى الكريم .

فقد جاء فى الحديث الصحيح ما معناه أن بعض الحبشان كانوا يلعبون فى يوم عيد لعبة حبشية فأشرف عليهم صلى الله عليه وسلم وخلفه عائشة رضى الله عنها فوضعت خدها على كتفه لتتفرج على لعبهم فقال صلى الله عليه وسلم : « دونكم بنى ارفده ليعلم اليهود والنصارى أن فى ديننا فسحة » .

وهو مثل عظيم يصح أن تدركه الشعوب الإسلامية كلها والحجاز ضمنا . فإن وجود النساء قبل الرجال فى كشوف الإحصاء والتعداد لا يدل إلا على أننا نفهم الحياة ونقدر كرامة المرأة، كرامة أمهاتنا وأخواتنا وزوجاتنا ، أى كرامة أنفسنا .

وليست المرأة هى السبب فى ملء السجون والفوضى والديون ، ولكنها سياسة الرجل الذى يغلب شهواته وأنانيته ويقتل أشرف وأسمى ما فى المرأة ليقضى لبانته وبعد ذلك يعدها مرة آثمة ويعدها أخرى غير جديرة حتى بأن تذكر فى كشف إحصاء !

يا قلبـــه !

«أحيط حضرتكم علما بأنى كنت طالبة باحدى المدارس الثانوية ومكثت الآن بالمنزل مصير كل بنت، ولى أخ عمره ١٧ سنة طالب بالسنة الثالثة ثانوى، وأخى هذا غاوى أن يكون (حانوتى) وذلك لأنه حينما يعود من المـدرسة يذهب إلى دكان (الحانوتى) ويمكث عنده، واذا كان عندهم (ميت) اشتغل معهم فى غسله وتكفينه وحمله حتى مقره الأخير. كل هذا بدون أن نعلم، وكان إذا رآه أحد من الأصحاب أو الأقارب أخبرونا عن حالته مع الوصـف الدقيق مظهرين الاستغراب والتعجب ونحن أيضا مثلهم فنسأله عند حضوره فيكذب كل شىء، وبعد ذلك ضبطه والدى بنفسه فكان اذا ما رآه من بعد ترك حمل النعش لشخص آخر وولى هاربا كأن لم يكن، وحينما يحضر بالمنزل يلاقى جزاءه من والده من أنواع الضرب المؤلم والتوبيخ، ويعترف بأن لا يعود الى مثل هذا العمل مرة ثانية أى أن هذه آخر مرة؛ وبمجرد خروجه من المنزل يرجع لما كان عليه. وهدده والدى مرة بالطرد من المنزل، وفعلا طرده يوما واحدا فما كان منه إلا أن ذهب الى منزل (الحانوتى) ومكث عنده وحينما أتى المساء ذهب الى منزل خالتى وبات عنـدها وطلب منها أن تتوسط له أمام والده بأنه حرم ولن يفعل ثانيا. وكان ما كان بأن حالته لم تتغير ووالدى يريد أن يسير معه حتى يتم كل علومه لأن الولد نبيه وذاكرته

قوية جدا . وها قد أتت المسامحة و يذهب الى الحانوتى كل يوم عقب خروج والدى من المنزل ولا يطيق المكث بالمنزل ساعة واحدة ، ووالدى الآن مصمم على طرده من المنزل نهائيا مادام لم يعرض عن هذه المهنة الحقيرة الدنيئة التى لم يقبل أحد على مصاهرتها ومناسبتها . وقد لجأت الى حضرتكم بالقاء هذه القصة على مسامعكم لأنى من المغرمين بقراءة مقالاتكم « ما قل ودل » : فلعلى أجد من حضرتكم ردا مقنعا على صفحات «الأهرام» الغراء كى يقتنع به والدى و يعمل به أخى وأكون لحضرتكم شاكرة مع العلم بأن والدى من أرباب الأعمال الحرة .

« آنسة »

حقيقة يا سيدتى أن هذا الأخ مصيبة . فمن أغرب الأذواق الشاذة الهيام بغسل الموتى وتكفينهم وحملهم الى مقرهم الأخير (يا قلبه !) فإذا كان الأخ يبحث من وراء ذلك عن المكسب فلا أظنه واصلا اليه لأنه حانوتى نظيف مترهف ابن مدارس . . وإذا كان بعض الحمق قد أدخلوا فى رأسه أن ذلك عمل حلال له أجره عند الله فان من الحلال أيضا الا تضيع نقود والده التى يصرفها عليه فى المدارس هباء بل أن يعطيه ويعطى نفسه حقها من الدرس والتثقيف مقابل ذلك حتى يكون رجلا نافعا لبلاده . وعمل الحانوتى هو عمل آلى يفعله رجل يحفظ من

القرآن آيات قليلة يرددها بعينها ويكررها دائما . وعملية الغسل يقوم بها الصبيان ببساطة تامة . وحمل الميت يقوم به كل رجل تتحمل كتفه ثقلا معينا لمدة معينة ، فلابد من أن يكون قد أصاب أخاك مس فى عقله . ومن رأيى أن هذا الأخ هو حجر عثرة فى سبيل مستقبلك لأن كل خطيب سيقصدك ويعرف الخبر يقول : يانهار اسود ! . . أخوها حانوتى ! . . بيننا وبينها ربنا ! . .

وإذا كان هـذا الأخ المجذوب يريد أجرا عند الله (لأن الدنيا مش مالية عينه) فأخبروه أن الأشرف من ذلك والأنفع التطوع فى جمعية الاسعاف العمومية وإغاثة الجرحى والمنكوبين والملهوفين . فإن الأحياء أحوج الى أيد متطوعة من الأموات .

ويجب أن تتحروا مصدر هذه الغية . ومن هو هذا الحانوتى الذى يغويه ؟ وما سيره وسلوكه ؟ وكيف يسكت أبوك على صلة ابنه به وكيف لا يتحرى عنه ويهـدده إذا ظل على إغراء ابنه بالانصراف عن درسه وبيته وهو قاصر . فربما كان هذا الحانوتى مفسدا للأخلاق . وفى اعتقادى أن والدك متهاون فى هذا الشأن متسامح فلو كان ابنى لوضعت له شطة وفلفلا ، فى هذا الحر !

مداعبـــة

فكر بعض الشبان فى السفر الى السودان وفاتحونى فى قيام حمـلة كبيرة من الراغبين فى الزواج للانضمام تحت لواء المصلح الكبير السيد المهدى لأنه يزوج الناس هناك بالألوف و يقضى بمهر متواضع آسمىّ هو ثلاثة جنيهات .

وهـذا هو الذى يسمى الزواج « ببلاش » ... بالنسـبة للمغرورات والمفتونات فى هذا البلد . فإن الفتاة هنا تريد الرجال الجمال والمـال، والدخول فى هيئـة العمال ! ... تريده مقطوعا من شجرة : فلا أب، ولا أم، ولا أخت، ولا أخ ...

تقول عن أمه « الأُرمة » وعن أبيه « الساطور » وعن أخته «الحية» وعن أخيه «الثعبان» ... وتقول عن كل هذا : « قطيعة » ! ...

فإذا كان الرجل جميلا فإنها تظل غيورا كالذئبة، وإذا كان قبيحا فإنها تسخط على الدنيا .

وإذا كان غنيا اجتهدت أن تفقره بالصرف فى الكلام الفارغ، وإذا كان فقيرا نكدت عيشه .

وإذا كان كبير السن اعتبرته عجوزا، وإذا كان صغيرا عدته طائشا .

وإذا كان أسمر اللون قالت : ما أجمل البيض! وإذا كان أبيضه قالت : أسمر حليوه ...

وإذا كان سمينا غنت طول النهار : «يانحيف القوام! ...» وإذا كان نحيفا قالت : عصاعيص النقارية !

وإذا كان موظفا قالت : إيه الماهيه الدون دى اللى كلها معاش ودمغة واحتياطى وإضافى ؟! وإذا كان تاجرا قالت : والله شغل الحكومة قيمه وسيمه !

وإذا كان يحب الخروج تقول : ياميلة بختى دايما بره هو انت ملكش بيت ؟ !

وإذا كان يحب البيت تقول : دايما فى بوزى، أيوه اخرج اتهوا شوية ! ...

وإذا كان من هواة الموسيقى يعزف على آلة ماتقول :

قلبت دماغنا بلا دوشـه ! ... و إذا كان لا يحبها تقول : اللى ما تعرف عود ولا قانون تفرفش به قلوبنا !

و إذا كان يحب القـراءة تقـول : هو أنت ما تجـوزنى و إلا متجوز الكتب ؟! و إذا كان لايحبها تقول : اللى ماتيجى وفى إيدك رواية ؟ !

وإذا كانـ يحب السينما تقول : والنبي انت قصـدك تبصبص للبنات ! . وإذا كان لا يحبها تقول : وده مزاج إيه المقريف ده ؟ !

وإذا كان رزينـا تقول : بق دائمـا مبوز اللى سـنّك ما يضحك يا شيخ ! . وإذا كان مرحا تقول : بق ما تقعدش عاقل زى الناس ؟ !

وإذا تقـدّم للزواج منها قبل هذا كله تأمر وتنهر وتطلب مهربنت خمـارويه الذى كان فيه ألف هاون من الدهب .

أردت اليوم مداعبة المرأة، لأتحرى العين !...



فهرس

فهــــرس

شخصيات

اسكندريات

لذعات

تم طبع ثلاثة آلاف وثلثمائة نسخة من كتاب
« ما قل ودل » بمطبعة دار الكتب المصرية
فى يوم الخميس ٥ يوليه سنة ١٩٣٤
(٢٣ ربيع الأوّل سنة ١٣٥٣)

محمد نديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٤/٨/ ٣٣٠٠)